AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

النكسة

الهدف - فلسطين - العدد 60 (1534) - حزيران / يونيو 2024

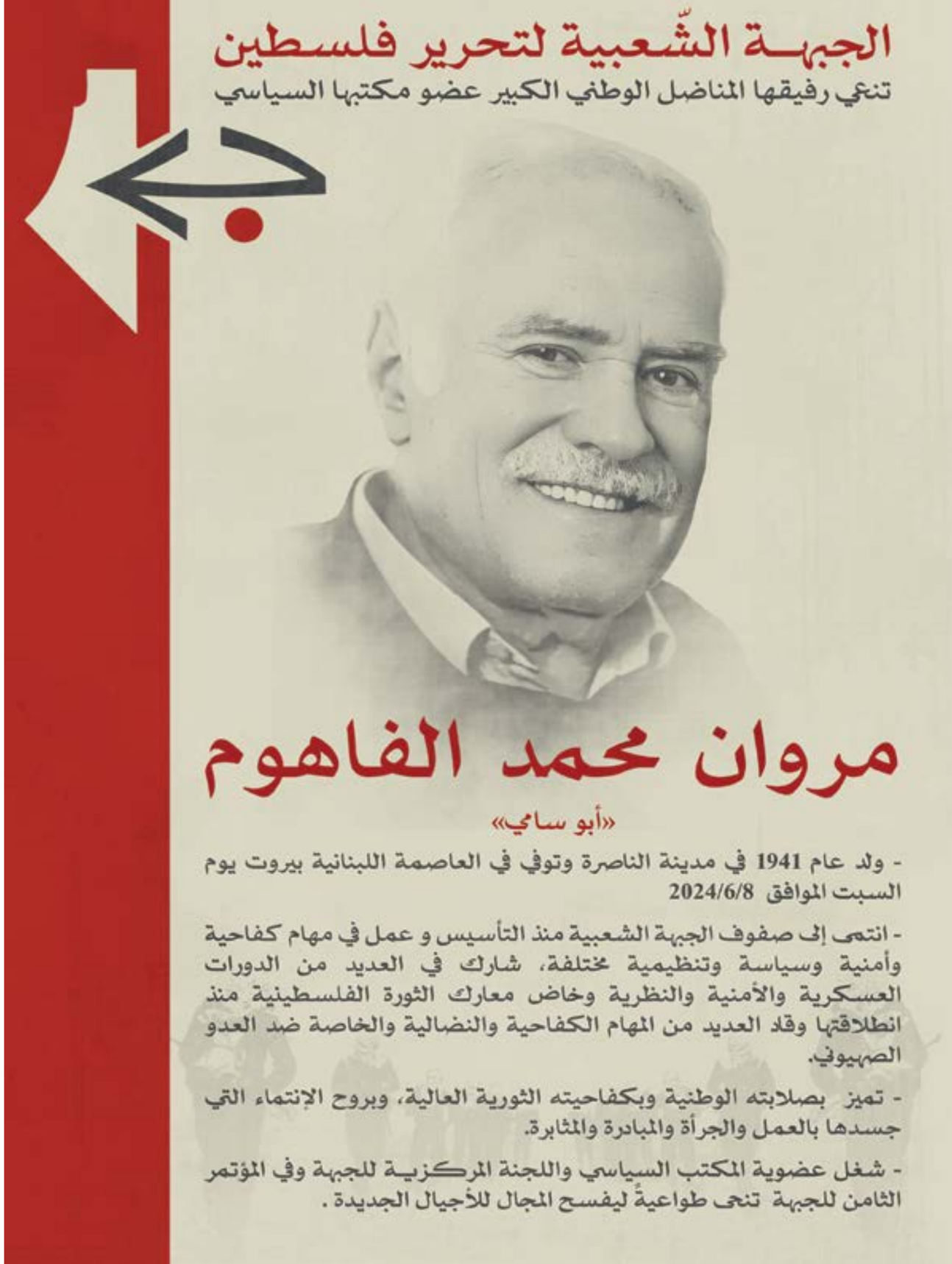

الافتتاحية

كل الحقيقة للجماهير

برسم القيادة الرسمية الفلسطينية

إلى متى التردد و...؟!

تستمر حكومة التطرف الصهيوني بقيادة المجرم نتنياهو في حرب الإبادة والتطهير العرقي على شعبنا في قطاع غزة، وتواصل هجمات المستوطنين، وبمشاركة الجيش وقوات الأمن الصهيونية على أهلنا في الضفة الغربية والقدس، وتتصاعد إجراءات التنكيل والقمع والملاحقة والاعتقال بحق أبناء شعبنا في الجزء العزيز المحتل من أرضنا عام 1948. ويستمر العدو الصهيوني في ارتكاب المجازر بحق الأطفال والنساء والمدنيين ومصادرة الأراضي وبناء المستوطنات حيث سيطر المستوطنون وقوات الاحتلال على 60% من ما يسمى «المنطقة ج» التي تشكل ثلاثة أرباع مساحة الضفة.

إن نقطة الضعف الأكبر هي في المستوى الرسمي الفلسطيني؛ أي القيادة المتنفذة في المنظمة والسلطة التي ما زالت أسيرة رهاناتها وأوهامها وخياراتها السياسية مع أن كل شيء في هذا العالم والمنطقة يتغير، ونقول ذلك من دون التقليل من الجهد المبذول على جبهة العمل السياسي والدبلوماسي في المحافل العربية والإقليمية والدولية وخاصة على مستوى الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة على الرغم من التنكر لدور المقاومة وصمود شعبنا في تحقيق المكاسب السياسية والاعتراف المتزايد بالدولة الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني، وكأن الأساس لتحقيق ذلك هو دماء الأطفال والأبرياء من أبناء شعبنا، وحنكة الأداء السياسي، ولو كان الأمر كذلك كما يدعون ألا تقتضي الحنكة السياسية والوطنية الالتفات لجمع الشمل الفلسطيني ومبادرات رصّ الصفوف الفلسطينية... ألا تدرك هذه القيادة أهمية المبادرة والسعي الجاد لإعادة الاعتبار للمشروع الوطني الفلسطيني ولمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد، وجمع الكلّ الفلسطيني في أطرها القيادية ومؤسساتها المختلفة حتى تتمكن من قيادة هذه المرحلة ومواجهة العدوان وما يسمى تحديات اليوم التالي. متى ستدرك هذه القيادة بأن الوجود الفلسطيني على أرض فلسطين التاريخية في دائرة الاستهداف الصهيوني والمخططات التصفوية؟

نحن الفلسطينيين ما زلنا في مرحلة التحرير الوطني والأرض الفلسطينية محتلة وتحت السيطرة الصهيونية، فحقنا في المقاومة وبكل أشكالها يجب أن يكون مصاناً وفقاً لشرائع الحق والقانون الدولي، ولا يحق لأحد أن يشوّه كفاح الشعب ومقاومته وكأنها سبب لما يحل بشعبنا من مجازر وإبادة وقتل وتدمير. إن للمقاومة كلفتها وهي كلفة الحرية والاستقلال وتحرير الأرض، لا يوجد ثورة في العالم انتصرت من دون تضحيات، وصلت إلى مئات الآلاف وعشرات الملايين من البشر ودمار مدن وعواصم بأكملها.

إذا كانت القيادة المتنفذة في السلطة والمنظمة تؤمن بأن قادة الكيان الصهيوني هم من أجهز وقضى على اتفاقات أوسلو، فلماذا ما زالت تراهن عليها وتتمسك بها وكأنها الأمل الوحيد للوصول إلى الدولة.

إنه الوهم والرهان الخاسر، أما الإصرار على جمع الأطراف والفصائل الفلسطينية على خيار التسوية وعدم القطع مع اتفاقيات أسلو والتزاماته المختلفة أيضاً ما هو إلا وهم وضيق أفق، وتفسيره التمسك بالمصالح والامتيازات الخاصة لحفنة من المتنفذين وهذا يجب ألا يستمر ويدوم، وهذا ما لم نعد نطيق تحمله أبداً، ولم يعد بوسعنا الانتظار.

ليس أمام هذه القيادة المتنفذة إلا العودة إلى خيار الوحدة والمقاومة لإنجاز المشروع الوطني الفلسطيني بكل معانيه وأهدافه، ونأمل ألا يكون ذلك وهماً وخيالاً.

ربما استبشر البعض خيراً بدعوة الصين للأخوة في فتح وحماس، وما تم الاتفاق عليه بينهما وإمكانية أن يؤسس عليه للقاءات موسعة لاحقاً، هذا التوافق الثنائي في الصين تم توثيقه، وبَنَت عليه الصين الآمال بإمكانية جمع الفلسطينيين وتوحيد صفوفهم، فدعت إلى حوارات فلسطينية ومهَّدت لها باللقاءات الثنائية مع الأطراف المعنية بالدعوة والحضور، وكانت الأجواء إيجابية، إلا أن المفاجأة كانت بطلب التأجيل من القيادة المتنفذة تحت ذريعة خطورة الأوضاع في فلسطين، وربما سبق ذلك التنكر لما تم الاتفاق عليه بين وفدي حركة فتح وحركة حماس في الصين.

تقتضي المسؤولية الوطنية التصدي لسياسة العبث والتعطيل لجهود لمّ الشمل الوطني، وتوحيد الصف الفلسطيني، احتراماً لتضحيات شعبنا واستجابة لضرورات مواجهة كل الأخطار والتحديات.

أسسها عام 1969
الأديب الشهيد
غسـان كنفـاني

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
سامي يوسف

سكرتير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منـير الرفـاعي

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة
لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة
الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

تصدر عن
دائرة الإعلام المركزي
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

العدد رقم (60) - (1534) - حزيران (يونيو) 2024

الافتتاحية

• برسم القيادة الرسمية الفلسطينية: إلى متى التردد و...؟! 2

حوار الهدف

• حوار مع المناضل البحريني الرفيق إبراهيم شريف — حوار: محمد أبو شريفة 4

شؤون فلسطينية

• فشل المفاوضات والحوارات: ما هو السرّ؟ — عمر مراد 6
• نحن والتاريخ: أسئلة الحرب بين زمنين — وسام الفقعاوي 7
• على اتساع وطن ـ في الهدف — أحمد علي هلال 12
• أرض فلسطين: الصراع بين التطهير وإرادة الوجود — وائل الزريعي 13
• التحديات الاجتماعية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الصهيوأمريكية على غزة — عزمي منصور 14
• إشارات من الطوفان.. أهمية الوعي السياسي والإنساني — كاظم الموسوي 15
• الخيارات الوطنية في ضوء المستجدات الجديدة — مسعود أحمد 17
• معايير أخلاقية الصراع بين المقاوم الفلسطيني وجيش الاحتلال — حاتم الإستانبولي 18

شؤون عربية

• هل تمثل الأزمة السودانية نكبة عربية ثانية؟ — د. محمد حسب الرسول 20
• لبنان بين رهان الانتظار ومظاهر الاحتضار — سمير دياب 22
• العدوان الاقتصادي الأمريكي على اليمن: التداعيات والردود — شرف حجر 24
• قراءة الأهداف والواقع للتحالف الأمريكي الصهيوني في حرب الأيام الستة — حمدي عبد العزيز 25
• هزيمة حزيران في ظل معركة الطوفان: النظام العربي يموّه هزيمته — وسام رفيدي 27
• عندما تصمد مقاومة غزة تتألق جبهات المساندة — رضي الموسوي 28

شؤون دولية

• الصراع على أوروبا بين اليمين التقليدي واليمين المتطرف — محمد صوان 30
• عن الاعترافات الأممية وخاصة الأوروبية بالدولة الفلسطينية — علي بدوان 32
• السياق التاريخي للدور الأمريكي في حرب حزيران 1967 — عليان عليان 34
• الطوفان والانزياح في المواقف لصالح غزة وفلسطين — د. صياح فرحان عزام 37
• مقترح بايدن: نتنياهو فشل في الحرب والمفاوضات — حمزة البشتاوي 39
• قراءة في قرارات المحكمة الدولية بشأن الحرب الصهيونية على غزة — بسام عليان 40
• المركز والأطراف: محاولة لفهم ما يحصل في النظام العالمي — د. أدهم شقير 42

شؤون العدو

• الولايات المتحدة والكيان الصهيوني شركاء في حرب الإبادة والإجرام — علي زيدان 44
• قراءة عبد الوهاب المسيري للصهيونية — د. موفق محادين 46
• أول عاصفة داخل ائتلاف نتنياهو منذ السابع من أكتوبر — نبال عمر 47
• طوفان الأقصى يبدد أوهام الصهاينة وأحلام حزيران 1967 — إبراهيم أبو ليل 48
• متلازمة الأنفاق والنقطة صفر تؤرق الجيش الذي لا يقهر — إلهام الحكيم 50
• إسرائيل على الحافة — محمد نذير جبر 51

شؤون ثقافية

• دور المثقف في معركة طوفان الأقصى — د. حورية الصفدي 53
• سردية المقاومة بين العمل الإعلامي والإنتاج الإبداعي — د. انتصار الدنّان 54
• قراءة في مفردات الخطاب الإعلامي الغربي بعد «طوفان الأقصى» — رامي حاج سعيد 55
• طوفان الأقصى وانعكاسه على المشهد الثقافي الغربي — د. حاتم الجوهري 57
• تحية الوداع مظهر من ثقافة المقاومة — سلامة عبيد الزريعي 59
• على مهلٍ قشّر الحديد بدنه من الكسل — عبد النور الهنداوي 60
• ديوان طوفان الأقصى — د. صلاح جرار 63

حوار مع

المناضل البحريني إبراهيم شريف

الأمين العام الأسبق لجمعية العمل الوطني الديمقراطي البحريني «وعد»

◄ أجرى الحوار: محمد أبوشريفة

سكرتير تحرير مجلة الهدف ـ بيروت

- كان7 أكتوبر حدثاً مهماً على مستوى الوعي والشعور ليتلمس الناس أن هناك قضايا كبرى ومصيرية تجمعهم ويمكن أن تتحول إلى رافعة تساهم في التقارب بين فئات المجتمع وطوائفه.
- ما زال لدينا حوالي 600 سجين سياسي، كثير منهم من ذوي الأحكام المؤبدة وبعضهم تزيد أحكامه عن 100 عام.

■ كيف تنظر إلى الوضع في البحرين بعد 7 أكتوبر 2023؟

فيما يتعلق بالوضع المحلي، فالأمور «محلَّك سِرّ». الحكومة تعتقد أنها لا تحتاج إلى تقديم تنازلات للمعارضة، حتى في حدودها الدنيا: تبييض السجون من مئات المعتقلين السياسيين وإعادة الوضع على ما كان عليه قبل 2011، حيث كان هناك نشاط ملحوظ في العمل السياسي الحزبي والجماهيري وهامش معقول في الصحافة والإعلام وحراك لا بأس به في مجلس النواب. تدهور الوضع الاقتصادي والمعيشي خلال السنوات القليلة الماضية بسبب مجموعة من العوامل بينها البطالة والضرائب والتضخم وكلفة الدين العام وجمود الأجور والمعاشات التقاعدية، وهذه أمور أصبحت محل إجماع وطني عابر للطوائف، لذلك لا تجد الحكومة مصلحة في السماح للمعارضة بممارسة عملها السياسي خشية أن يفتح ذلك الباب لتحويل حالة التذمر الشعبي إلى حراك سياسي واسع يطالب بالتغيير الشامل للسياسات الفاشلة التي قادتنا إلى هذه اللحظة.

من جانب آخر، فإن 7 أكتوبر كان حدثاً مهماً على مستوى الوعي والشعور ليتلمس الناس أن هناك قضايا كبرى ومصيرية تجمعهم ويمكن أن تتحول إلى رافعة تساهم في التقارب بين فئات المجتمع وطوائفه. لذلك نشهد حراكاً تضامنياً واسعاً مع أهلنا في غزة ودعماً للمقاومة وحق الشعب الفلسطيني في تحرير أرضه من البحر إلى النهر.

■ برأيك كيف تسير الأوضاع في المنطقة في ظل العدوان الصهيوني على قطاع غزة؟

ساهم العدوان على غزة وصمود المقاومة وتكالب الغرب وإعلامه وتخاذل النظام العربي الرسمي في تكشّف أمور كثيرة. كان السابع من أكتوبر والملحمة البطولية المستمرة ما يقارب الـ9 أشهر لحظة استفاقة وعودة للوعي الذي غُيّب بسبب نكبات وانتكاسات وهزائم وخيانات تم تحويلها إلى أساطير مثل «الجيش الذي لا يُقهر»، و«أمريكا تملك أوراق الحل»، و«عدم جدوى المقاومة»، و«الإعلام الغربي المحايد» و«القانون الدولي العادل». لقد انقشعت روح الهزيمة وتحطمت هذه الأصنام وتبين أن خيار المقاومة مجدٍ، بل هو الوحيد القادر على تحقيق أهدافنا في التحرر والاستقلال، وخاب أمل غولدا مائير التي قالت «غداً يموت الكبار وينسى الصغار» بعد أن انتقل عبء النضال إلى جيل جديد لا يقل انتماء لكنه في الوقت نفسه أكثر إبداعا ومعرفة بأساليب العصر ولغته.

■ كيف تقيم الموقف العربي والإسلامي تجاه ما يحدث في غزة؟

الموقف العربي والإسلامي الرسمي يعبر عن خذلان مستمر لا يعكس الموقف الشعبي المتضامن، مع أن الضربة الموجعة التي وجهتها حماس والمقاومة في 7 أكتوبر والأشهر الطويلة من المقاومة الأسطورية التي أوقعت العدو الصهيوني في مستنقع لا يعرف كيفية الخروج منه، كانت كافية لتحسين شروط العلاقة الذليلة مع الولايات المتحدة، لأن الكيان الذي لا يستطيع حماية نفسه من دون تدخل أمريكا لا يمكن التعويل عليه لضمان الأمن في المنطقة. بطبيعة الحال، هناك استثناءات عبرت عنها جبهات محور المقاومة.

أما فيما يتعلق بالموقف العربي الشعبي فقد كشف استطلاع أجراه مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في يناير 2024 إجماعاً في الشارع العربي على اعتبار القضية الفلسطينية «قضية جميع العرب وليست قضية الفلسطينيين وحدهم» بنسبة 92% وبزيادة16%، عن استطلاع 2022. لكن هذا الرأي العام المؤيد لفلسطين لم يُترجم تماماً على أرض الواقع، ربما بسبب واقع الاستبداد العربي الذي يمنع حرية التعبير والتظاهر ولا يسمح بترجمة الرأي العام إلى سياسات تُلتزم بها حكومات مستبدة تحكم بالحديد والنار، مع أن هناك أيضاً استثناءات أبرزها اليمن التي تخرج فيها مسيرات مليونية كل أسبوع وتساهم في معركة فك الحصار عن غزة.

■ هل تعتقد أن حراك المعارضة البحرينية حقق جزءاً من مطالبه وخاصة فيما يتعلق بالملف الحقوقي؟

ربما ما زلنا بعيدين عن تحقيق ذلك. الملف الحقوقي واسع يقع على رأسه تبييض السجون. ما زال لدينا حوالي 600 سجين سياسي، كثير منهم من ذوي الأحكام المؤبدة وبعضهم تزيد أحكامه عن 100 عام. كثير من الذين أطلق سراحهم لانتهاء مدة الحكم أو من خلال العفو الملكي أو العقوبات البديلة لا يجدون وظائف في سوق عمل غير موات، والشباب

> **نعم، لم يكن طوفاناً بالمقاييس العسكرية فحسب، بل كان طوفاناً على مستوى الوعي عربياً ودولياً.**

منهم لا يتمكنون من إكمال تعليمهم الجامعي. وفي المقابل فإن من السهل استدعائك بسبب تغريدة ناقدة وتوجيه تهمة «الحض على كراهية النظام» وعقوبتها 3 سنوات أو غيرها من التهم التي يحتويها قانون العقوبات.

أما على صعيد الإعلام فالسياسة المتبعة تقوم على مبدأ «ما أريكم إلا ما أرى» حيث الصحف العربية الأربع تنطق بلسان واحد، ولا تجد أثراً فيها لأقلام معارضة أو تصريحات قوى معارضة أو بيانات تصدرها جمعيات سياسية موالية لكنها تنتقد تشريعات وسياسات الحكومة.

■ يقال إن ثمة تيارات في السلطة البحرينية تريد الإصلاح، ولكنها ضعيفة، كيف تقرأ ذلك؟

في يوم من الأيام، في بداية ما سمي بالمشروع الإصلاحي، كانت هناك بعض التوجهات الإصلاحية بسبب وجود جناحين متنافسين في الحكم. هذا الوضع انتهى، وعدنا للسيرة القديمة: اتخاذ قرارات مصيرية من دون أدنى تشاور أو مراعاة لمصالح الناس، حيث الشفافية والمساءلة شبه معدومة، وتهميش دور مجلس النواب الذي من سخرية القدر أن الدعوة لحله وتوفير نفقاته أصبحت مطلباً شعبياً بعد أن ضحّى الناس بأرواحهم من أجل استعادته بعد حلّه عام 1975.

■ أين وصل وضع حرية التعبير في البحرين؟

تقريباً عدنا إلى مرحلة التسعينيات حيث السجون ممتلئة بالسياسيين والمنافي تعج بالمطالبين بالحرية الذين أُسقطت جنسياتهم بقرارات إدارية. لم يعد هناك أي منفذ للرأي الآخر في الصحافة المحلية، ومجلس النواب أصبح شبيهاً بمجالس الشورى المعينة التي تعرف ما يجب أن يقال أو ما لا يقال.

المنظمات الدولية المهتمة بتصنيف الحريات في العالم تضع البحرين في مواقع متأخرة. مثلاً مؤسسة فريدوم هاوس الأمريكية تمنح البحرين فقط 12 نقطة من 100 في مجال الحريات السياسية والمدنية. أما مراسلون بلا حدود فتقول: «البلد تُحكم بقبضة من حديد ومعروفة بسجن الصحفيين»، وتضع البحرين في مواقع متأخرة جداً في الترتيب العالمي لحرية الصحافة (رقم 173 من 180 دولة). وفي مؤشر الديمقراطية الذي تنشره مجلة الإيكونومست فان تصنيف البحرين يقع في المرتبة 139 من أصل 167 دولة تحت مجموعة الدول «المستبدة».

■ هل ينجح الضغط الحقوقي والصحفي في تحسين الأوضاع؟

بالطبع ينجح، لكن الأمر يحتاج إلى نضال وتضحيات جسام وصبر طويل، وفي الوقت نفسه حراك جماهيري واسع تقوده معارضة قادرة على تشكيل كتلة تاريخية كبيرة تستطيع صناعة التغيير.

■ أعلنتم رفضكم انضمام البحرين للتحالف الدولي لحماية الملاحة البحرية في اليمن لفك الحصار البحري عن الكيان الصهيوني، برأيكم هل حقق هذا التحالف أهدافه؟

خلال أسبوع واحد من إعلان التحالف في ديسمبر الماضي بدأ التحالف في التضعضع، إذ انسحبت إسبانيا وإيطاليا، ولم تشارك إلا دولة عربية وإسلامية واحدة. وعلى مدى 6 أشهر أثبت التحالف فشلاً مدوياً في إنهاء هجمات أنصار الله على شركات الملاحة المتعاونة مع الاحتلال الصهيوني. في الأول من مايو المنصرم نشرت وكالة بلومبيرغ خبراً يقول إن عدداً من شركات الشحن والمراقبين أكدوا أن الملاحة في البحر الأحمر متعذرة حتى نهاية هذا العام على أقل تقدير، وقدروا عدد السفن التي تم مهاجمتها بين نوفمبر وأبريل بـ 65 سفينة. أما أمريكا التي تسيطر على بحار العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فقد فقدت اليوم سيطرتها على أحد أهم الممرات المائية الدولية، وهذا مؤشر مهم على أن أمريكا في حالة أفول مستمر.

> **من السهل استدعائك بسبب تغريدة ناقدة وتوجيه تهمة «الحض على كراهية النظام» وعقوبتها 3 سنوات أو غيرها من التهم التي يحتويها قانون العقوبات**

■ في ظل السياسة المتبعة للنظام البحريني تجاه المعارضة ما هي رؤية الشعب البحريني في الاستمرار بالنضال السلمي لمواجهة سياسة القمع؟ هل هنالك سيناريوهات وخطط؟

نضالنا السلمي مستمر وشعبنا لم يتوقف عن تقديم التضحيات. السجون المكتظة بالمناضلين والمنافي التي تعج بالمهجرين خير شاهد على ذلك. لا يوجد أفق للإصلاح على المدى القصير، لكن الضغوطات الشعبية على الحكم ستتعاظم بسبب فشل سياساته الاقتصادية ومشاريعه السياسية وهذا سيسمح في المستقبل غير البعيد في بناء جبهة وطنية عريضة تساهم في دفع عملية الإصلاح إلى الأمام.

■ هل عرضت عليكم السلطات أثناء اعتقالكم الأخير أية صفقات؟

لا لم تُعرض أي صفقات، ربما لأنهم يعلمون أن المناضلين لا ينتظرون أسفل الموائد لالتقاط فتات ما يسقط منها.

■ معركة طوفان الأقصى عرّت منظومة حقوق الإنسان التي يتغنى بها النظام الدولي، وتوسعت رقعة الرأي العام الشعبي الدولي المساند للحقوق الفلسطينية، كيف تقرأ هذه التحولات؟

نعم، لم يكن طوفاناً بالمقاييس العسكرية فحسب، بل كان طوفاناً على مستوى الوعي عربياً ودولياً. الحقيقة أن منظومة حقوق الإنسان لم تسقط، لكن الذي سقط في الامتحان هو ذلك الغرب الذي وضع نفسه أستاذاً متعالياً يعلمنا حقوق الإنسان فإذا به يفشل مثله مثل طالب خائب حفظ الكتاب ولم يفهم منه حرفاً.

أما «الشرعية الدولية» فتحولت في ليلة وضحاها إلى شرعية القوي. الأمر الهام هنا هو أن الوعي بزيف الحضارة الغربية، بازدواج معاييرها، بإعلاء مصالحها على مبادئها، أصبح وعياً يعيد تشكيل أفكار شبابنا العرب، وينتشر في جامعات الغرب نفسه ووسط شبانه الذين لم تعد تخدعهم الشعارات الليبرالية حول الحرية، تلك الحرية التي تتلاشى أمام سطوة المال واللوبيات.

> **لقد انقشعت روح الهزيمة وتحطمت الأصنام وتبين أن خيار المقاومة مجدٍ، بل هو الوحيد القادر على تحقيق أهدافنا في التحرر والاستقلال**

فشل المفاوضات والحوارات... ما هو السر؟!!

عمر مراد ـ عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ربما لا يستغرب المرء أن تتعثر أو تفشل المفاوضات غير المباشرة بين المقاومة الفلسطينية أو حركة حماس مع العدو الصهيوني حول وقف إطلاق النار أو وقف العدوان على قطاع غزة، مع أن ذلك كان مطلباً فلسطينياً بالدرجة الأولى منذ بدء العدوان إثر عملية السابع من أكتوبر (طوفان الأقصى)، لكن العدو يريد فرض شروطه، وتحقيق ما لم يستطع تحقيقه في حرب الإبادة الجماعية والتطهير العرقي وتدمير مقومات الحياة كلها، إلا أن المقاومة، وعلى مدار تسعة أشهر، ما زالت تقاتل وتقاوم بكل جدارة، وتكبّد العدو المزيد من الخسائر في الأرواح والعتاد، ترفض الاستسلام والإذعان، معلنة أن من يقرر مستقبل غزة بعد وقف العدوان هم الفلسطينيون وحدهم وبأنفسهم، وترفض المقاومة بعد كل هذه التضحيات وهذا الدمار الشامل مطالب الصهاينة وتصرّ على المواجهة والصمود وقطع الطريق على الأهداف التي ما زال يصر عليها العدو.

أما الغريب في الأمر هو أن تفشل الحوارات الفلسطينية التي تبحث منذ سنوات طويلة بالاتفاق على ترتيب البيت الفلسطيني، وإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية بشراكة الكل الوطني الفلسطيني على أساس سياسي واضح أقلّه القطع مع الرهان والتعويل على التسوية السياسية أو التحلل من الالتزامات المشينة التي فرضها، ومازال، اتفاق أوسلو؛ أي المطلوب هو فقط إعادة الاعتبار للمشروع الوطني الفلسطيني وحق الشعب الفلسطيني بمواصلة مسيرة الكفاح باعتباره ضرورة موضوعية لإنجاز مهام مرحلة التحرر الوطني وأهدافها.

أما أن تتعطل الحوارات اليوم وتفشل، وأن يتم التهرب من تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في الحوارات السابقة فهذه جريمة لا تغتفر، وخاصة أن العدو يستهدف الوجود الفلسطيني والسيطرة على أرض فلسطين بكاملها عبر آلاف المجازر والجرائم التي يرتكبها في حربه المفتوحة على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وفي الوقت نفسه عدوانه اليومي على مدن وقرى ومخيمات في الضفة الغربية، وهجماته المستمرة على القدس بهدف مصادرة الأرض، وبناء المستوطنات، والضغط بكل سبل القتل والملاحقة والاعتقال، وهدم البيوت، وحرق الحقول والمحاصيل بهدف تهجير الفلسطينيين واقتلاعهم من أرضهم.

متى سيقف الفلسطينيون إذاً أو متى سيتحدون حول خيار واحد وهدف واحد، ألا يكفي ما يجري وما حل بشعبنا حتى الآن، ألا يكفي عشرات آلاف الشهداء وعشرات آلاف الجرحى والمفقودين، ونزوح ما يقارب المليوني إنسان من بيوتهم، وتدمير ما يزيد عن 85% من المساكن والأبنية والبنى التحتية وكل ما له علاقة بالاقتصاد والتعليم والصحة والخدمات الأساسية من كهرباء وماء ونقل واتصالات.

ألا يكفي هذا الوضوح بأهداف العدو بأبعادها الاستئصالية والاقتلاعية وكل ما يتعلق بالوجود الفلسطيني بشراً وتاريخاً وحضارة وهوية.

ما هو السر إذاً في فشل المفاوضات مع العدو حول وقف العدوان وفشل الحوارات الفلسطينية الداخلية حول ضرورات الوحدة الوطنية، وما هو العامل المشترك الذي يقف وراء الفشل؟

إذا كان قادة الكيان الصهيوني يصرون على عدوانهم إلى أن يحققوا أهدافهم كاملة التي أقلها الآن السيطرة الأمنية والعسكرية التامة على قطاع غزة.

فمن هو الفلسطيني الذي يصر على إبقاء الانقسام وخاصة أن الانقسام مصلحة إسرائيلية من الدرجة الأولى؟ وهل استمرار الرهان على المفاوضات والتسوية السياسية والرعاية الأمريكية والحفاظ على السلطة الفلسطينية بواقعها ووظيفتها الحالية إحدى هذه الأسباب؟ هذا السؤال برسم من يضع المصالح العليا للشعب الفلسطيني فوق كل اعتبار.

نحن والتاريخ: أسئلة الحرب بين زمنين

د.وسام الفقعاوي ـ رئيس تحرير مجلة وبوابة الهدف السابق ـ فلسطين

إن أية مناقشة لما انتهت إليه القضية الفلسطينية سنة 1967، لا بد وأن تنطلق من بديهة مفادها: أنه ما كان لقضية فلسطينية أن تقع، بل أن تنشأ أصلاً، لولا موقع فلسطين ودورها في مركز القلب من المنطقة المُستهدفة أساساً من مشروع إمبريالي شكل رافعة تاريخية وراهنة للمشروع الصهيوني، وتأسيساً على ذلك، ولكي لا نقع في خطأ يمس أسس الصراع وجوهره، فإن المنطقة العربية هي الأصل، وما عدا ذلك، بما فيه فلسطين، لم يكن إلا فرعاً ونتيجة، حتى ولو بلغ الفرعي حجماً، حجب الأساسي وفاقه حضوراً مباشراً.

هذه البديهة، صحيحة ودقيقة وعلمية، ولكنها عربية، أما البديهة الفلسطينية، فهي أن مسرح الجريمة المستمرة وضحيتها المباشرة، كانت فلسطين؛ أرضاً وشعباً، وهذه المسألة بالنسبة إلى الفلسطينيين، كانت وما زالت، مسألة وجود، أولاً وأخيراً، أكدته كل مجريات الصراع المفتوح وطبيعته الشاملة، وتتأكد يومياً في ضوء المقتلة وحرب التدمير والإبادة الجماعية المُشنَّة ضد قطاع غزة وأهله، منذ السابع من أكتوبر، وعليه؛ كان الاختلاف في عمق ردة الفعل وطبيعته بالنسبة إلى الفلسطينيين، هو اختلاف في حجم الضرر ودرجة المباشرة فيه. كان الضرر بالنسبة إليهم مباشراً وكاملاً ومستمراً؛ جماعياً وفردياً، ولذا كان من الطبيعي، أن تكون ردة فعلهم سريعة وتبحث عن المباشر في الأفعال والأقوال، وهذه سمة طبعت مسار حركة التحرر الوطني وحتى من بدأ منها بمنطلقات قومية واحتفظ لنفسه بوجود وفعل على مساحة الوطن العربي، كحركة القوميين العرب، التي كانت أكثر تعبيراً عن المناخ الحقيقي للهزيمة وأثرها في الشعب الفلسطيني، لجهة التحولات الفكرية والتنظيمية وصولاً لحلها نهائياً.

لقد انبرى البعض من منظري الهزيمة، الذين نجدهم في مجمل زماننا العربي ومنه الفلسطيني؛ حاضرون باستمرار، «يتطوعون» بقصد أو بدونه، لإكمال ما أنجزه وينجزه العدو عسكرياً، من خلال التنظير دائماً لنصف الحقيقة، وهي انتصار إسرائيل المادي كما جرى سنة 67، وهو ذات التنظير الذي «تطوعوا» به، منذ ما بعد السابع من أكتوبر الماضي، بحيث صوبوا سهام تنظيرهم في الحالتين، في ذات الوقت الذي كانت حمم النار الصهيونية؛ تنصب على رؤوس الجيوش العربية من جهة، وما زالت على أهل القطاع من جهة أخرى، ولم يعلن من يَصُب هذه الحمم انتصاره النهائي، رغم مرور 57 سنة على حرب حزيران/يونيو، وما يزيد عن ثمانية شهور من حرب الإبادة على القطاع، بل ما زال يعلن الحرب الدائمة على الجميع.

في المقابل وعلى الضفة الأخرى، ضفة الشعب الواسعة، كان الإيمان بالحق كاملاً؛ كان العداء لإسرائيل كاملاً؛ كان الحق في المقاومة كاملاً، كان ثمة قاعدة مبدئية عريضة، ومادية في الوقت نفسه، جوهرها الحق والموقف منه؛ فالجرح المفتوح والنازف دماً ومأساةً وتهجيراً وضياعاً وسحقاً، غير مطالب، ولا يملك ترف تمييز الأساس الفكري أو لون ومصدر السهام العاملة فيه ذبحاً وتنكيلاً، أو أن يقرر التألم تبعاً لجنسية الضربة وهويتها الفكرية؛ فما حدث ويحدث ليس مناظرة فكرية، بل شأناً يمس البشر ووجودهم نفسه. تاريخياً كان الإيمان بالحق والعمل المباشر من أجله والسعي لتجاوز كل العقبات التي تقف في طريق ذلك الحق صحيحاً بالكامل، كرؤية سياسية، ولكن لنا الحق أن نسأل بالمقابل: هل كانت الرؤية كاملة وعميقة وشاملة، بحيث تحيط بكل الشروط التي أنتجت الهزائم المتتالية وتحافظ وتراكم على الإنجازات المحققة؟ واستطراداً، هل ما طرح من حلول في حينه كان كافياً ومستجيباً وقادراً على تأمين الرد المطلوب.. وصولاً إلى واقعيتها...؟ وعليه، هل يمكن أن نؤمّن جواباً صحيحاً، يحفظ لنا توازننا الداخلي، في ظل الانكسارات والاختلالات العنيفة التي نتعرض لها؛ أمةً وقضيةً؟

أسئلة بل اشكاليات كبيرة، قد لا يتسع هذا المقال لتناول الإجابة عليها تفصيلاً، لكنها

تبقى مفتوحة للإجابة في سياقه وضمن حدوده، بما يجعل الباب مفتوحاً لإسهامات كل من يهمه الأمر من الكُتَّاب الوطنيين. لكن، ما يجب التأكيد عليه قبل الولوج إلى مقاصد الأسئلة التي سيتناولها المقال، هو أن اختيار السؤال ليس مجرد اجتهاد نظري ولا امتحان للإرادة الفردية الحرة، وإنما هو مراجعة للحاضر بجذوره في الماضي القريب وامتداداته في المستقبل المنظور، أي أنه «الشك» في صلاحية اليقين السائد كمجموعة من الأنساق الفكرية والقيم المعيارية، وهو أيضاً «الاختراق» لأستار الغد المُحتَجِب في محاولة استكشاف المجهول، والإشكالية المضمرة بين الشك والاختراق هي الزمن كفضاء غير مكتمل القسمات، إذا لم نشارك في ملئه لن ينتظرنا أحد، فالزمان كالمكان كلاهما لا يعرف «الفراغ». فمن ضمن الثابت هو أن صحة الفكرة ومشروعيتها مسألة منفصلة بالكامل عن واقعيتها، وهنا أهمية التمييز بين القيمة النظرية للفكرة وبين القيمة العملية لها، كقيمتين منفصلتين؛ أما أن تستغرق الأولى في الثانية فهو الخطأ بعينه. وهنا يجب التنبيه إلى أن ثمة معادلة خاطئة وجهها الأول إدانة الفكرة وسقوط قيمتها، إذا ما فشل أصحابها في تحقيقها، أو نجح أعداؤها في منع تحقيقها، أما وجهها الثاني، فهو افتراض تحقق فكرة بمجرد امتلاكها للمشروعية والأخلاقية السياسية المطلوبة. لكن، يبقى الشيء الثابت، بأنه رغم الانتصارات التي حققها العدو الصهيوني والاختلال الكبير في ميزان القوى لصالحه، لم يتمكن من إغلاق صفحة التاريخ، وإبقائها «إسرائيلية» فحسب، بل كانت في المقابل مقاومة الأمة العربية والشعب الفلسطيني التي لم تخبو يوماً وتعددت أشكالها ووسائلها وأدواتها، وصولاً ليوم 7 أكتوبر الذي كان تاريخياً بمقاييس الصراع الشامل ومحددات ميزان القوى، وما أثبته من قدرة على إلحاق هزيمة مدوية بالجيش الإسرائيلي، ودك أسس المشروع الصهيوني في المنطقة، وما استدعاه ذلك من حشد القوى الإمبريالية (الحلف المعادي)؛ الصانع والناظم والحاضن والراعي له، وشنها حربها الشعواء على قطاع غزة، بحيث وقع عبء المواجهة والتصدي وتحمل النتائج على الكتلة الجماهيرية وقوى المقاومة التي تقاتل في الميدان، في ظل غياب شبه كامل للمؤسسة الرسمية الفلسطينية من جهة، وتواطؤ وتخاذل ومشاركة رسمية عربية في الحرب/العدوان من جهة أخرى، خاصة وأننا نتحدث عن «أنظمة»، جاءت كامتداد لحركة التحرر، سواء الفلسطينية، ممثلة بمنظمة التحرير وما عبرت عنه كفاحياً، أو جاءت كاستمرار للتجربة الناصرية، لكن في سياق الثورة المضادة لمجمل أفكارها الوطنية/القومية والاجتماعية – الاقتصادية، وهذا ألقى بثقله الكبير، بل القاسي بكل معانيه ومضامينه وتعبيراته على الكتلة الجماهيرية التي وجدت نفسها شبه وحيدة في ميدان المعركة، إلا من بعض التضامن الشعبي العربي والأممي الآخذ في الاتساع، إلى جانب المساندة من قبل جبهات قتال مهمة أخرى، وهذا الأمر مع سوء إدارة الوضع الداخلي وثقله في آن، وضع الكتلة الجماهيرية/الشعب أمام أعباء صعبة، لا بد إزائها من طرح الأسئلة ومعالجتها - قدر الإمكان -.

سؤال الحرب: هل هي مشروعة؟!

إن تقصي الخلفية الفكرية التي قامت عليها حياتنا السياسية عربياً وفلسطينياً منذ ما قبل هزيمة 1948 مروراً بهزيمة 1967 وصولاً إلى فتح/نصر السابع من أكتوبر كما أسميته في مقالة سابقة نشرت في بوابة الهدف، بعنوان: (طوفان التحرير: المستحيل غدا ممكناً)، سنجدها عبارة عن تاريخ النضال ضد الاستعمار بمختلف أشكاله، سواء تدثر بالخلافة الإسلامية كالدولة العثمانية، أو تلَحَفَ بعناوين الحرية والإخاء والمساواة كالدولة الفرنسية، أو تسلَّح بالتفاهمات مع الزعماء والملوك العرب كالدولة البريطانية، أو حاملاً لسيف «يهوه» ووعده «بأرض الميعاد» كالدولة الصهيونية واستعمارها الاستيطاني الإجلائي الاحتلالي... بمعنى آخر، أن تاريخ الوطن العربي بمجمله، منذ ما يزيد عن خمسة قرون هو تاريخ الصراع السياسي ضد الاستعمار/الاحتلال والذي كان هدفه الأساسي - وما يزال - إبقاء هذا الوطن خلف أسوار التمزق والتخلف والحرب الأهلية المضمرة والمعلنة ونهب الثروات ومصادرة الحقوق والحريات، وصولاً إلى ما يمكن تسميته بالاستلاب التاريخي لإرادة الأمه العربية ومنها الشعب الفلسطيني وإخضاعها لإرادة المُستعمِر/المحتل بالكامل.

من على منصة «أوسلو» المنتصبة في ساحة البيت الأبيض، يوم 13 أيلول/سبتمبر 1993، وقف اسحق رابين، قائلاً: «نحن الجنود العائدين من الحرب، ملطخين بالدماء (...) نحن ضحايا الحرب والعنف، لم نعرف عاماً واحداً أو شهراً واحداً لم تبكِ فيه أمهاتنا أبناءهن»، وهو يمد يده «لسلام الشجعان»، دون أن ينطق من يقابله بحرف واحد في دحض ذلك، بل ارتسمت البسمة على الشفاه، في الوقت الذي كانت الحرب تقطر دماً من بين أنياب رابين الميت جسداً والباقي فكرةً وأداةً ووظيفةً، وكان رابين قادراً على أن يبدأ من ثانياً؛ طمساً للحقيقة والأسئلة الصحيحة: من الذي بدأ الحرب؟! ومن هو الضحية الفعليّة لها؟! ومن المُستمر بها؟!

وهذا يعني، بأننا كنا وما زلنا حتى في زمن توهم السلام، أمام حرب دائمة طرفها التحالف الاستعماري الصهيوني وإن تغيرت أسماؤه وأنظمته، فهو في الجوهر واحد طالما أهدافه واحدة ومشتركة، وعليه فإن القراءة التاريخية الصحيحة، هي تلك التي تبدأ من النقطة الصحيحة وتنتهي بها. القراءة التي تحاول رؤية كل شيء. القراءة التي تأخذ بعين الاعتبار المسار العام في سياقه العريض على ما فيه من صعود وانكسار وتشابكات خارجية، هي الحصيلة الطبيعية لمسيرة الاشتباك التاريخي مع عدو خارجي، كان حاضراً في صناعة السياسات الداخلية ويُلقي بكل ثقله عليها، وأكثر من ذلك، اضطلع، ولأسباب موضوعية تاريخية؛ بدور حاسم في تقرير كثير من النتائج الماثلة أمامنا اليوم.

يحق لأي قارئ أن يبدأ من التاريخ الذي يراه مناسباً أو ملائماً للقراءة التاريخية الموضوعية، حال تَوَضحَ أمامه الهدف المشترك بين كل التواريخ التي حفلت بواقعنا العربي والفلسطيني، منذ كانت الضربة الأولى التي وجهت للتجربة الفلسطينية المسلحة سنة 1970 على يد النظام الأردني، حيث لم تخسر التجربة أرضاً صلبةً ومناسبةً فحسب، بل أطروحتها السياسية أيضاً. في 1975، أُغرقت في الوحل اللبناني، وانصب جهدها هناك. في 1982، أُخرجت عبر القوة الإسرائيلية المغطاة طائفياً من لبنان. في 1991 دخلت مدريد ومن بابه الخلفي؛ تسللت إلى أوسلو، فالبيت الأبيض، حيث تحقق الهدف الفلسطيني لإسرائيل من حرب 1967، التي حرثت لها أرضاً خصبةً سنة 1948، وقفت على ما أثمره سايكس- بيكو/بلفور...

نجد بين كل خطوة/تاريخ أكثر من بُعد له، بدءاً من 1970، حيث تقاطعت مصلحة النظام الأردني مع الإسرائيلي تحت المظلة الأمريكية. في 1975 كان الحريق اللبناني ودخانه غطاءً وتغطية لأكثر من مصلحة وطرف مستفيد من تمرير اتفاقية سيناء والنهج الساداتي – الكامب ديفيدي. في 1981 فشلت قمة فاس العربية؛ فتدخل المبضع الإسرائيلي ليفتح لها الطريق سنة 1982. مع أن الدور السعودي كان حاضراً وبكثافة من خلف الستار دائماً - كما هو في هذه اللحظة القائمة – ولكن مهمة تمرير قرارات «فاس» أوكلت مباشرة وعلانية للسعودية، فانتهت فاس بمدريد، فأوسلو، وصولاً لأبراهام، وكان لكل جهده في التكييف والترويض.

يكاد الزمن/التاريخ أن يتلاشى أو يختلط أو يتوقف عند: 1917 أو 1948 أو عند 1970 أو 1975 أو 1982 أو 1993 أو 2014 أو أي تاريخ آخر أو وسيط وجامع بينهما 1967 في ذكرى حضوره الحزيراني السابعة والخمسين، حيث كان الزمن هو زمن البترودولار، وكان المطلوب من النظام الإمبريالي العالمي وأداته الصهيونية، من خلال ضربة 1967، انتزاع «الدور» من الموقع، وليس تغيير الوظيفة، ذلك أن الدور في «الموقع المصري» بقاؤه مرهوناً بوظيفة محددة: هي وظيفة العضو في الجسم، العضو العربي في الجسم العربي، والذي لم يكن من الممكن أن يتحول إلى مضاد لأمته العربية، إلا بالحرب ضده وقلبه من داخله، وهذا ما اضطلع به أحد القادمين من رأس النظام وثورة ضباطه الأحرار، في شخص السادات، ليصيغ معادلة السلام المستحيل وزيارة القدس عام 1977 ومن ثم كامب ديفيد؛ محمولاً على أكتاف محاربي نصر السادس من أكتوبر العسكري؛ لهذا لم تكن هزيمة 1967، عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية فقط، بل هزيمة شاملة، ليس لمصر فقط، بل للعرب جميعاً، لأنه حين سقطت الناصرية في مصر، سقطت أرقى مراحل «النهضة» وأكثرها تقدماً، وهذا السقوط المدوي لا يمكن حصره للفشل في امتحان الديمقراطية بكافة مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية فقط، على أهمية هذه النقطة وجوهريتها، في سياق التجربة الناصرية والعربية عموماً ومنها الفلسطينية، لنصل لاستنتاج مفاده بأن سايكس – بيكو ونهجه، كان يدفع بكل قوته وبكامل أطرافه صوب تحقيق أهدافه المتعددة والمنضبطة لنظام أساسي هو مصلحة النظام الإمبريالي الصهيوني الأم؛ ربما لا جديد البتة إلا درجة العلانية/الوقاحة/الشكل الذي يربط بين كل هذه التواريخ/الأسماء وتاريخ وأسماء المشاركين في حرب الإبادة المستمرة منذ ما بعد 7 أكتوبر.

تأسيساً على ما سبق، هل نحن في حرب دائمة أطرافها معلومة تاريخياً؟ وبالتالي، هل هناك مشروعية للحرب من طرفنا، خاصة إذا ما عرفنا أن كل هذه الحرب الدائمة، لم تكن إلا حرب سياسية طويلة تهدف لإلغاء أي مشروع عربي موحد وتصفية القضية الفلسطينية، إذا أردنا عدم تضييع الخط الرئيسي للصراع بأبعاده القومية والوطنية؟

صحيح أن هناك قول قديم مأثور: «لا تتمنوا لقاء العدو»، قد يحاول البعض توظيفه في دحض فكرة مشروعية الحرب من طرفنا، وتشريع انهزامهم أو انسحاقهم أمام العدو، لكن هذا البعض يتجاهل أو يتحايل على أن من نُسب إليه هذا القول، هو من قاد حربه المشروعة، في أكبر عملية «توحيد» للدولة العربية الإسلامية التي استمرت ما يقرب من عشرة قرون... وعليه، فإن لقاء العدو في هذه الحالة، يجب أن يكون هدفاً دائماً كما هي الحرب دائمة، وهنا بالضبط موقع المقاومة العربية والفلسطينية للمشروع الاستعماري الصهيوني قبل ظهور الأحزاب والزعامات، وكذلك استمرت بعد نشأتها، وبعد أن تخلى العديد منها عن دورها ووظيفتها، بل وغدا جزءاً منها، من الحرب الدائمة على القضية العربية والفلسطينية.. فالحرب/المقاومة/حق الدفاع عن النفس من قبلنا، تأتي في سياق الصراع المفتوح مع العدو، وهنا موقع فتح/نصر السابع من أكتوبر بالمعنى التاريخي، الذي كان يحتاج لرد صهيوني يُعيد تأسيس الصراع من على قاعدة مقدماته الصحيحة، بين مشروع استيطاني - إقتلاعي – إبادي، يمثل رأس حربة ووكيل للغرب الاستعماري - الإمبريالي؛ يريد أن يُبقى الأمة أسيرة النهب والتخلف والتجزئة والاستلاب، وضد التاريخ وحقائقه الراسخة في آن، وبين الأمة العربية والشعب الفلسطيني في مقدمتها، التي تعمل كي تعيد التاريخ إلى مجراه الصحيح؛ إذا وعينا أن التاريخ لا يحرق المراحل ولا يقفز في الهواء ليعود إلى قواعده «سالماً».

ومع أن الاستعمال العام لمصطلح المقاومة، قد يوحي بأنها ردّ أو ردّ فعل، إلا أن كارل ماركس يعتبرها هي الظاهرة الأولى للقوة، وفي عصر القوة الحيوية والسياسة الحيوية، لا بد من أن تتداخل الحرب/المقاومة بشكل محكم مع المسائل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وبالتالي؛ فإن صحة التركيب الاجتماعي للكتلة الجماهيرية/الشعب، هو الذي يقوي وينفخ الحياة في المقاومة ضد حالة الحرب العدوانية الدائمة. فعندما غدت الحرب العنصر المؤسس للسياسة، وعندما صارت حالة الاستثناء دائمة، فإن المقاومة يجب أن ترتفع لتأخذ القيمة التي لا تعلوها قيمة؛ كشرط ضروري للتحرير، وقد يكون علينا أن نقول: إن حروب التحرير الكبرى، يجب أن تكون موجهة في المطاف الأخير، نحو «حرب ضد الحرب»، أي أن تكون مجهوداً قوياً فعّالاً لتدمير النظام المُديم لحالة الحرب الدائمة على أرضنا: العدو ومن يدعم نظامه الاستعماري - الإمبريالي. لهذا، نحن بحاجة دائمة لإعداد استراتيجي، كما دوام الحرب حتى النهاية، وأولى دروس الإعداد على هذا الصعيد عربياً وفلسطينياً؛ ضرورة سد الفجوة العميقة القائمة بين تحرير الأرض من ناحية، وتحرير الإنسان من ناحية أخرى، وبين ربط التحرر الوطني والتنمية الوطنية والسياسية من جهة، بالتنمية الاجتماعية – الاقتصادية والثقافية من جهة أخرى.

سؤال الجماهير بين حربين/ زمنين: هل من خلل بنيوي؟!

اهتم عدد من المفكرين ومنهم ماكس هوركهايمر وهربرت ماركوز وغيرهما، من مدرسة فرانكفورت التي أسسها الأول، «بنظريات الصراع الاجتماعي» والتي يطلق عليها أيضاً «النظريات النقدية»، وتناولوا مسألة فشل التغيير الاجتماعي الثوري، الذي نسبوه إلى البنى الفوقية وخاصة للنظم الرأسمالية، وإلى وسائل الاتصال والتواصل التي أجهزت على السيرورة التاريخية للتغيير الاجتماعي. وترى هذه النظرية، أنه إذا كان التاريخ قد أخطأ طريقه، فإن ذلك يعود إلى أيديولوجيا الطبقة المهيمنة التي استطاعت تكييف الأساس الاجتماعي – الاقتصادي والثقافي عن طريق تخريب الطبقة العاملة وتمثيلها لها. قد تصلح هذه المقاربة لأن نعتمدها في نقاش السؤال المطروح حول الجماهير، خاصة وأن موضوعها يتجاوز مسألة «الصراع الطبقي» بالمفهوم الماركسي الكلاسيكي، إلى طبيعة الصراع التاريخي الوجودي والمصيري الذي تخوضه الجماهير العربية ومنها الفلسطينية،

مع العدو الصهيوني في ظل ميزان قوى مادي وتكنولوجي مختل لصالحه على طول الخط، بحيث يجعل أمر الصراع مرهوناً دائماً بتطور الحالة الجماهيرية، بالمعنى الأشمل للصراع وأبعاده الوطنية والقومية، التي كانت أمام أكثر من احتمال وهو رهن الموقف من الجماهير وكيفية التعاطي معها. ولا نقول هذا من ضمن الرؤية السياسية النظرية التي تحترم الجماهير وحقوقها من حيث المبدأ، بل من زاوية عملية أكثر ارتباطاً بواقع الصراع، ومفادها: أن عنصر القوة الوحيد المُختبر والمُجرب المتوفر كان الكتلة الجماهيرية ودورها.

بكلمة أخرى، إن إطلاق فعاليات الجماهير، ليس مصلحة حق أخلاقي لهذه الجماهير/الشعب، خاصة من قبل الذين ينطقون باسمها ويعملون من أجلها فحسب، بل ضرورة عملية وسياسية لمشروع المجابهة مع المشروع الصهيوني. استطراداً، فإن الموقف من الجماهير، التي حمت المشروع الوطني وتصدت للغزوة الصهيونية قبل بروز قيادة رسمية للمواجهة، كان يفترض أن يكون موقفًا مبدئيًا بالانحياز الكامل لها، حيث لم يمنع نشؤ سلطة جديدة «ثورية» من الاحتفاظ بالنظام القديم.. سلطة لا قوة لديها ولا سلاح أساسي إلا الجماهير؛ تهمش دور الجماهير وتسطحه، والحصيلة، نعم للجماهير ولا للديمقراطية، نعم للكتلة الجماهيرية كأفراد، ولا لهذه الكتلة منظمة ومؤطرة.. رويداً رويداً، بدأت رواسب المسافة بين القول والفعل تصبح أكثر اتساعاً وأكثر انكشافاً، وبدأت في الترسب الثنائيات المتناقضة، التي كانت تنتج باستمرار ثنائيات جديدة أكثر تناقضاً وضرراً. فمع غياب الديمقراطية وتأصيلها الاجتماعي - الثقافي، كان على القمع بأشكاله المختلفة أن يحفظ التوازن، ويملأ الفراغ في مصدر الشرعية والسلطة. كان يجري الاعتداء على حرية الإنسان/المواطن وحقوقه ومصلحته باسم حرية الوطن والحصيلة وضع الفرد والجماعة ومصلحة الوطن والمواطن في تناقض، وعبدَّت بعض الأحزاب والأنظمة الطريق إلى فلسطين عبر الأحكام الثورية تارة والعرفية تارة أخرى، بحيث أصبحت المعادلة أو الحصيلة لذلك، أن حرية الوطن تعادل القمع في الذهنية العامة، دون أن يبادر أحد لطرح سؤال: هل يُعقل أن من يقاتل من أجل حرية شعبه يصادر حرية شعبه في الوقت ذاته؟!

فات هؤلاء بأن حصيلة تغييب التاريخ والفكر والشعب؛ أن غابت الحرية، وبقيت حبراً على ورق طوال تاريخنا الحديث، وكذلك فاتهم بأن الخطأ التأسيسي، عندما يدخل حيز الواقع يأخذ مداه، ويتشظى أخطاء في الاتجاهات كافة، ويصنع لنفسه عالماً على مقاسه وانطلاقاً منه. إن الخطأ لا ينتج خطأً فحسب، بل يتغذى منه في علاقة تبادلية وبالاتجاهين من ناحية، وانشطارية من ناحية أخرى، وذلك في عملية قسرية لا تنتهي ولا تقف عند حد، لدرجة غدت معها كلمة الجماهير/الشعب دون معنى، ولكن هذه النهاية، لا تَلغي حقيقة أن هذه الكلمة قد احتاجت لحوالي ثلاث أرباع قرن كي تُستهلك وتُجوف، وهي لم تدخل القاموس السياسي عبثاً، وتمجيد دورها، لم يكن منّة من هذا المفكر أو الزعيم أو ذاك الحزب أو التنظيم؛ دفعت الثمن المطلوب وقامت بدورها المطلوب لتستحق المكانة التي احتلتها في الضمير السياسي.. إن ذاكرة أيّ منا، حافلة ومثقلة بالأمثلة التي تؤكد أن أكثر صفحات المجد في تاريخنا الحديث قد كتبتها الكتلة الجماهيرية، ولعل أصدق تأكيد على ما سبق هو ما قاله الدكتور جورج حبش، أهم قائد لأكبر حزب يساري فلسطيني: «تحدثنا كثيراً في أدبياتنا ووثائقنا حول أهمية العمل بين صفوف الجماهير وتحسس آلامها ومعنوياتها ومزاجها إلا أننا وبكل صراحة أقول تأثرنا بأمراض الظاهرة العلنية وأمراض المقاومة بشكل عام، بحيث أصبحنا نعاني من البيروقراطية والمكتبية والمراتبية، وهي أمراض فتكت بالعديد من الأحزاب الشيوعية العالمية». لكن الأدهى والأمر، أنه بعد مرور أربعة وثلاثين سنة على قول/نقد «الحكيم»؛ استغرق مفهوم الحزب/التنظيم السياسي، الذي هو أرقى أشكال العمل الجماهيري المنظم، في مفهوم السلطة، وهذا بدوره استغرق في الأشخاص التي يتولونها، لأن العبرة ليس في الشعار/القول فحسب، بل في المناهج والسياسات والممارسات الفعلية - التي لم تختلف عند الجميع - وفي القلب منها الموقف من الجماهير، حيث قاد عدم الوضوح النظري والسياسي على هذا الصعيد إلى توفير الشروط الموضوعية إلى استمرار اختلال البنية الداخلية، وإلى تآكل عنصر القوة الأساسي؛ أي الجماهير التي خضعت والحال هذا إلى ما يثير انفعالها، ولم يقدم لها ما يكفل تفعيلها واستثمار طاقاتها إلى أقصى حد ممكن، وإذا كان الحد الفاصل بين موقف حزب أو نظام ونقيضه هو الموقف من الجماهير، فإن ضمان الحرية والديمقراطية كنظام حياة، بحواملها الاجتماعية الثقافية، وليس آلياتها فقط، هي الخط الفاصل أيضاً بين موقف حزب/نظام صحيح، وبعيد المدى والنظر يمكن أن يقود إلى تفعيلها وتحويلها نوعياً، وبين موقف حزب/نظام خطأ، قصير المدى والنظر يقود إلى انفعالها، وابقائها كماً، وهو ما كان، حيث تجاوزت المسألة ذلك، أو استمرت على ذات السيرورة بمعنى أدق، إلى أن وصلت أدوات قمع الحزب/النظام - من وصل منهم السلطة، ومن لم يصلها منهم فعلياً - لأعضائه المختلفين والمبدعين أو لأبناء شعبه؛ حبساً فكرياً وفعلياً وإقصاءً تنظيمياً وفصلاً وظيفياً واغتيالاً مادياً ومعنوياً.. إلى آخر أشكال القمع والسلب والاضطهاد، وبالتالي انغلاقاً داخلياً، حتى أصبح الحزب السياسي كما الوطن، ملكاً حصرياً للأمين العام أو الزعيم.

والحال هذا، كنا ومنذ البداية عربياً وفلسطينياً أمام أخطاء تأسيسية - بنيوية، لا بد وأن تظهران عاجلاً أم آجلاً، وعلى أية حال، لم تتأخر النتائج في الظهور؛ فجملة الأخطاء التأسيسية والبنيوية هذه، والتي حولت الجماهير/الشعب إلى سلاح تكتيكي، لم تُحسن حتى استخدامه، مما أدى في فترات عديدة إلى شله وفي أخرى تحوّل إلى سلاح مضاد، حينما يتقدم تبديد الموارد والطاقات، على تركيمها وتفعيلها.

تنحصر نتائج الأخطاء التأسيسية هذه في نتيجتين بارزتين: أولاهما، توفير الشروط الموضوعية لاستمرار اختلال البنية الداخلية وعدم توازنها، بحكم انعدام الآليات التي تكفل ذلك التوازن. أما الثاني، فهو توفير الشروط الموضوعية أيضاً، لاستمرار الاختلال في ميزان القوى مع العدو، الذي كان يملك آليات تكفل تحقيق التوازن في بنيته الداخلية وإطلاق فعاليتها، وتركيم مزيد من الطاقات، وتحسين ميزان القوى لصالحه، وهنا حتى لا يخطئ أحد القراءة؛ فالأمر يتجاوز السابع من أكتوبر ولا يتجاوزه في الوقت ذاته، يتجاوزه بالمعنى التاريخي بالنظر إلى مستقبل الصراع، ولا يتجاوزه بما وضعه هذا اليوم/التاريخ من تحديات أمام «المجتمع/النظام» الإسرائيلي برمته، وبالتالي لم يكن اختلال/اختراق ما درجنا على تسميته بالجبهة الداخلية في قطاع غزة - مع حذري الشديد في تناول هذا المفهوم كما درج - بالأمر غير المنزوع من سياقه التاريخي، كما لم ينفع عسكرة المجتمع المصري في تفادي هزيمة 1967 أو تحاشي وقوعها؛ كون الأخطاء التأسيسية والبنيوية، من طبيعة وجنس واحد.

سؤال النقد.. هل هو عقاب للذات أم دفاع عنها؟!

لا ينفصل هذا السؤال الحيوي عن مسألة غياب الديمقراطية وحاملها الاجتماعي الثقافي، رغم إكثارنا من القول بالنقد في الحالتين العربية والفلسطينية، إلا أنه ما يزال مستوى ومنسوب الأخطاء يتسع باستمرار، وهذا ما يعطي النقد مشروعيته الدائمة، انطلاقاً من حقيقة إنسانية وهي استحالة منع الوقوع في الأخطاء، ولكن الممكن، هو الحد منها إلى أقصى قدر، وهذا الحد الذي أعنيه؛ رهن حسن التدبير والتفكير، وهذا بدوره رهن كفاءة صاحب الممارسة التي لا بد في المحصلة، وأن تصنف في خانة سلبية أو إيجابية، وعليه؛ فإن مسألة النقد ضرورة حيوية، وتتوقف على مدى الاهتمام بجوهر النقد وموضوعه وعمقه، وأن يكون جزءاً لا يتجزأ من قاعدة أشمل هي المراجعة العلمية والدورية والمتقاربة، وهذه بدورها يجب أن تكون جزءاً من نظام الحياة نفسه، في المؤسسة؛ دولة أو حزب، بما لا يُخضع النقد للتسطيح والشخصنة أو الابتذال وعدم الاهتمام والتواطؤ والتجاوز الممنهج، وبالتالي تشريع الانقضاض على من يمارسه، بما يفضي إلى عدم تمليك النقد عناصر الدفع الداخلي التي تضمن استمراريته بطريقة سليمة وصحيّة. ولقد دلت التجربة الملموسة والمعاشة، على أن من يتوهم أنه بالانقضاض على النقد وصاحبه، يمكن أن يُخفي الحقيقة أو يعمل ضدها، فإنه سينتهي الحال به عند نقطة أسوأ مما طاله النقد.

إن أولوية النقد في هذه الحالة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمكانة الوعي في درء أي خطر محتمل، ولكن إزالته نهائياً تبقى رهن حسم مسألة، كيفية التعامل معه، وإدراك متأصل بأن حصيلة أداء وواقع أطرف الحركة السياسية هو الذي يقرر صورة الأداء الوطني وحقيقة واقع حال القضية والشعب والوطن، وأنه سيرتد، إن عاجلاً أو أجلاً، على الجميع، بما في ذلك الفرقاء الأكثر بعداً والأقل دوراً في الحصيلة المحققة سلبية كانت هذه أم إيجابية.

في حال هكذا، يغدو النقد عبارة عن تجليات عميقة معبرة عن الجدل القائم في فضاء الفكر القومي والوطني في حركيته اليومية، مستنداً ومؤسساً على رؤية فكرية - تاريخية، تجعله جماعياً أكثر من أن يكون فردياً، ليصل إلى هدفه المرجو في تصحيح الذات وحفظ توازنها وتعزيز المشترك بينها وتركيم عوامل نهوضها، وبالتالي؛ ضمان استمرار تقدمها، وهنا يتسم النقد بصفة الدفاع عن النفس مرتين.. واحدة كي لا تتعسف على ذاتها وأخرى كي تحفظ وجودها، وعدم فقدانها لذاكرتها كما يذهب الدكتور غالي شكري؛ وذاكرة الأمة، ليست التاريخ السياسي للحكام أو الأحزاب، وإنما هي التاريخ الجماعي للشعب؛ تاريخ الأرض والناس والقيم؛ تاريخ الزراعة والصناعة والثقافة؛ تاريخ العلاقات الاجتماعية والضوابط والمعايير؛ تاريخ الفنون والآداب والعلوم؛ تاريخ اللغة والأفكار والأخلاق والجمال... والذاكرة ليست التاريخ المكتوب أو المحفوظ في المتاحف والملفات فقط، ولا هو التراكم السردي للحوادث، فهناك مصفاة داخلية في العقل الجماعي لا تُبقي على غير التاريخ الحي، باعتباره حياة مستمرة، وليس آثاراً من الماضي.

وكون النقد لم يتمأسس في الذهنية القومية والوطنية، كمسألة منهجية ويومية، نجده في أحيان كثيرة، يعبر عن حالة من عقاب للذات والنقمة والغضب، خاصة في المراحل التي تتعرض فيها المجتمعات لهزائم أو اختلالات عنيفة، تفقد تحت أثرها توازنها الداخلي، ويصبح النقد رمياً في كل اتجاه، ورغم كل ما فيه من شرعيّة، إلا أنه قد يشكل في جوهره محاولة للهروب إلى الأمام والتنصل من الواقع عن طريق المبالغة في عقاب الذات، لتغدو ظاهرة تشكل خطراً عاماً، لأنها تضيف مخاوفاً وأعباءً وأوهاماً جديدةً، تُفقد صاحبها تحت ضغطها؛ قدرة التقييم الموضوعي والحقيقي لواقعه وقدراته، ويتحول النقد في هذه الحالة من طاقة للبناء إلى طاقة للهدم، ويصل في نهاية المطاف، إلى تَمزُّق الذاكرة؛ تَمزُّق الوطن والشعب الواحد وتضرب في جذور الوحدة الوطنية وهذا ما حصل فعلياً، بالوقوع بين الطائفية على صعيد القاعدة الشعبية في الحالة المصرية، والانقسام على مستوى الأحزاب السياسية في الحالة الفلسطينية، وقد تناول وكثف غسان كنفاني ذلك في امتزاج حالتي النقد معاً في تيارين: الأول، تيار من المراجعة الشُجاعة والموضوعية الهادفة. والثاني، تيار من العويل والتخذيل والرمي في كل اتجاه، والذي لا يرمي في نهاية المطاف، إلا إلى التمفصل وراء ستار النقد، باسم النقد والمراجعة في فترات الهزائم والاختلالات، حيث يمارس التيار الأقل قدرة على الصمود؛ لعبة الانتحار، فيدخل في فوضى تقييم الأشياء والأمور والمواقف، ويرتكب أخطاء جسيمة في إدراك حجومها الحقيقية وأمكنتها في الصورة المهزومة/المختلة برمتها، وتلقى هذه «اللعبة»؛ أرضاً خصبة للاستقبال، وسط الانكسار الذي تعممه الهزيمة/الاختلال، ومن هنا يكتسب خطورته، وهذا ما نجده مشتركاً في الكثير من النقد الذي طال هزيمة 1967 وعملية السابع من أكتوبر، ففي الحالتين اشترك النقد في «تهديم» التجربة الأولى التي باغت العدو فيها دولنا العربية بحربه عليها وفي مقدمتها مصر الناصرية، بما تمثل من رأس حربه في حينه في مواجهة الاستعمار والإمبريالية والصهيونية؛ محلياً ودولياً، دون الاستفادة من الكثير من منجزاتها، وصولاً للانقلاب عليها من أقرب حلفائها أو صنّاعِها في خط صاعد من الهبوط. والأمر ذاته، يطال النقد الذي وجه للسابع من أكتوبر، الذي لأول مرة في تاريخ الصراع، نباغت نحن العدو بهذا المستوى من التخطيط والكفاءة والذكاء والعدد، دون أن يتوقف أصحاب هذا النقد برهة، تحت ضغط ما جرى منذ الثامن من أكتوبر وحرب الإبادة المشتة ونتائجها المأساوية، وأمام وعي العدو وحلفه المعادي، أكثر من غيره - حتى بعض من يدَّعي أنه صاحب القضية - للأبعاد الاستراتيجية لهذه العملية على وجوده ومستقبل وآفاق الصراع ككل، لذلك عدَّ أن حربه على القطاع، هي حرب وجود وتأسيس الاستقلال الثاني لإسرائيل... لكن الأقسى من ذلك كله، أن سهام النقد هذه اشتركت أيضاً بأنها تزامنت في سنة 1967، وفي 2023 - 2024، مع صواريخ وقذائف الحلف المعادي على مصر وقطاع غزة في الوقت ذاته، فأي مصادفة تلك؟ أو أي خسارة وفقدان لحاجتنا للنقد الذي يقع ضحية للارتجال والعفوية وعدم الإمساك بمفاصله الحقيقية تارة، وللتوجيه المخطط والتهشيم المقصود تارة أخرى؟

في ختام أسئلة لا تنتهي، فلقد كشفت حرب 1967 الحضور الكثيف للعلم في الصراع وتكوين ميزان القوى للطرفين، وإن أخذ مع تقدم الفترات؛ دوراً متزايداً

وشكل رافعة سياسة العدو للتفوق النوعي في مواجهة كم عربي هائل، لم تقلل إسرائيل البتة من مخاطره، ولذا كان خيارها لموازنته تحسين قدراتها النوعية وهو ما كان. صحيح أن هذه الهزيمة؛ وضعت القيادة المصرية أمام مراجعة جدية للدولة والحكم ومؤسسة الجيش، والاتجاه نحو التحديث واعتماد معيار الكفاءة والشروط الفنية، وجسر الهوة بين مقتضيات تحقيق الهدف ومعطيات الواقع، وأشير على هذا الصعيد إلى مفصلين رئيسيين على صعيد تحديث مؤسسة الجيش، الأول، تسليم مهمة التحديث إلى عسكريين محترفين يجمعان الكفاءة والنظافة، وهنا يبرز الثنائي فوزي – رياض. والثاني، قرار «نسف» البنية البشرية القديمة ورفع نسبة المؤهلين، أي حملة الشهادات إلى حوالي 40% من قوام الجيش... ورغم ذلك، إلا أن جملة الأحداث التي سبقت سنة الهزيمة وما تبعها؛ دللت جهل/عدم معرفة القيادة المصرية حينذاك، بالمهمة التاريخية الملقاة على عاتقها، التي كانت تحتاج إلى إدارة سليمة ورؤية وممارسة سياسية من نفس المستوى، حتى لا ينقلب النظام فيما بعد من داخله على ذاته، كما حصل ما بين 73 – 1979. وهذا يضعنا أمام عدم النضج الداخلي الكافي للتجربة الناصرية، حيث حفلت بالعديد من المتناقضات، ولم تعرف مظهراً رئيسياً واحداً يحدد هويتها - دون تجاوز أية إنجازات كبيرة حققتها بالفعل – وكأنها كانت تعيش في كل مرحلة مخاض داخلي حاد جداً: فهل هي (لا) الكبرى لهزيمة 1948 التي أُطلقت عام 1952؟ أم الهزيمة الكبرى سنة 1967؟ هل هي وحدة عام 1958؟ أم الانفصال سنة 1961؟ هل هي ركام هزيمة 1967؟ أم الخروج وبسرعة قصوى منها وبناء جيش هو الذي تمكّن من العبور عام 1973؟ وهل هي الجيش الذي ضيع منجزات السياسة في 1967 وما قبلها؟ أم السياسة التي ضيعت منجزات العسكر سنة 1973؟ أهي القيادة التي اختارت أكفأ الضباط وأنظفهم لمسؤولية تحديث الجيش؟ أم القيادة التي وقع اختيارها على السادات ليكون نائباً للرئيس، واستطراداً إلى مواقع المسؤولية السياسية الأولى؟ والأمثلة كثيرة على هذا الصعيد.

لعل خير نموذج للبطل/الضحية كان القيادة الناصرية وعلى رأسها عبد الناصر نفسه الذي بمقدار ما صنع التاريخ، بمقدار ما هزمه. لقد دخل من بابين متناقضين تماماً، باب الانتصار الكبير الساكن في الضمير الجمعي للأمة، وباب الهزيمة الكبرى التي ألقت بظلالها ولم تزل على الأمة جمعاء.

في المقابل، لقد كان السابع من أكتوبر خير توظيف لمنجزات العلم التي «افتقدتها» التجربة الناصرية قبل 1967، ولهذا سُجل هذا اليوم، باعتباره أعظم يوم عربي وفلسطيني، منذ هزيمة 1948، وتبقى دائماً البداية الصحيحة لكي يستطيع أي عمل أن يصل لأهدافه هي التعرف الدقيق والعميق على البنية الاجتماعية وتناقضاتها العميقة؛ الأساسية والتفصيلية في آن؛ الخارجية والداخلية في الوقت نفسه، كي لا يكون كل عمل أو سياسة جهداً ضائعاً ومعلقاً في الفراغ، حيث السياسة بما في ذلك المراجعة السياسية - التي باتت ضرورة ملحة أكثر من أي وقت مضى - من البنية الاجتماعية ذاتها، لأن كل فشل أو نجاح، لا بد أن يُقرأ انطلاقاً من تلبية أم عدم تلبية السياسة لمتطلبات هذه البنية والتعبير عنها؛ فالسياسة هي أولاً وقبل كل شيء القدرة على البقاء في حيز المجتمع وفي التحديد الدقيق للوظيفة المطلوبة واتخاذ القرار المناسب. وبكلمة محددة، إن السياسة هي المزج المبدع بين إطلاقية الأيديولوجيا وقسرية الواقع، هي فتح الأفق دائماً.

في الهدف

على اتساع وطن

أحمد علي هلال
كاتب وناقد أدبي فلسطيني ـ سورية

أيها النسر الحر مهلاً قبل أن ننشغل
بما تقوله عيناك، وأنت الخارج من أسر الجسد
لا الروح، ماذا تقول عيناك، وبم تبوح به... حسبه
الكلام يتطاير كنثار الزنبق، ليصبح معنى جليلاً
وطن بتمامه، وحبة تراب استعصت على الغزاة...
كروح طليقة في وطن طليق، هل ثمة حكاية ما
أو حدوتة بعينها استوت في نظرة مسكونة
بالفزع وارتعاشة القلب، لا تكذب العينان وهما
تجهران بليل المحتل وجنون المغتصب، يا لمجاز
هذه النظرة التي تأسر القلب كما اللغة، وتُنهض
كل أقانيم التأويل، لنقرأ سيرة موجزة عن وطن
تأبى على غزاته، عن ضراوة المحتل حينما تقهره
نظرتك التي أفشت سر الكابوس الذي يرزح تحت
ظلاله آلاف وآلاف من أسرانا الأبطال، وأنت
قطعة من الوطن أو الوطن على اتساعه لتوزع علينا
غصتك المكتومة وأنينك الناحل بما يكفي وردتان
بين البيوت في غزة تشقان الركام لتعلنان الحياة
رغم ألف موت وموت أُريد لنا –في هذه المقتلة-
أيها المناضل، أيها الإنسان، وأنت تحمل الوطن
في عينيك الضاجتين بتراجيديا السيرة الفلسطينية
وبسرديتها الباذخة، كم تنهض في عينيك البيوت
والأشجار وضحكات الأطفال، بل كم ينهض خوف
الغزاة ممن أصبحوا الوطن بعينه أرضاً وسماء
وحلماً يطوف في الأرجاء وفي الجهات والتخوم
والأقاصي، هي حريتك لكنها المشدودة والمشتدة
والعالية، لأنها حرية وطن مازالت ترسم خريطته
دماء المقاومين والجمرة التي تلهب أقدام الغزاة.
وبعد وقت تشرق شمس ابتسامتك لتضيء
البلاد، فتقوم حقا تقوم.

أرض فلسطين: تناحرية الصراع بين خوارزميات التطهير وإرادة الوجود

د. وائل الزريعي ـ مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية والانتماء

منذ النكبة تصطدم المشاريع الإمبريالية والصهيونية لمحو الذاكرة وتزييف التاريخ وتهويد الجغرافيا الفلسطينية، بمقاومة الشعب الفلسطيني لكافة المحاولات لطمس هويته وإبادته جسدياً وثقافياً، لتتحول مقولة شعب بلا أرض لأرض بلا شعب من لبنة أساسية للمشروع الصهيوني الجاثم على صدر الشعب الفلسطيني منذ 76 عاماً، إلى كابوس دائم يقض أحلام السياسي الصهيوني، وهشيم يتفتت على صخرة الوجود الفلسطيني على الأرض.

لقد مثل إخلاء أرض فلسطين التاريخية من سكانها هدفاً استراتيجياً للمشروع الصهيوني، وهو ما دُبّر في 10 مارس عام 1948، تحت عنوان الخطة «دالت» كخطة استراتيجية لقيام دولة يهودية القومية، وفي سبيل الوصول إلى الهدف المنشود اعتمدت العصابات الصهيونية كافة أشكال الإرهاب، والإخلاء العدائي، من تدمير للقرى والتجمعات السكانية، واستخدام الترويع من قتل وحرق واغتصاب للدفع بأكبر كتلة سكانية خارج حدود الدولة الصهيونية، لقد استغرق تنفيذ الخطة «دالت» ستة أشهر للتخلص من نصف سكان فلسطين التاريخية، وتحويلهم إلى لاجئين في أصقاع الأرض، ومازالت دوائر الاحتلال تحارب السردية التي تروي أبعاد هذه الجريمة، على الرغم من شهادات بعض المؤرخين والمشاركين في الجريمة من داخل الاحتلال والتي تؤكد حقيقة ما حدث، في مواجهة سردية صهيونية توصف الفعل بكونه (حرب تحرير)، وأن المعركة فرضت على اليهود في مواجهة الهجمات من العرب. منذ وضع الخطة (دالت) وتنفيذها والاحتلال يمارس جرائمه وفق نسقية تهدف لخلق حيز جغرافي متجانس عرقياً، هذا الحيز عليه أن يتسع بلا توقف حتى يطرد أصحاب الأرض ويفسح المجال للمزيد من الصهاينة، فلا يوجد توصيف لهذه السياسة الممنهجة، منذ النكبة سوى كونها سياسة تطهير العرقي، وهي سياسة تتبدل آليات تنفيذها وفق المتغيرات الدولية وبتبدل الحكومات المتعاقبة على دولة الاحتلال، ولكن يبقى الهدف الأساس هو إفراغ أرض فلسطين من سكانها الأصليين، لكن مع صعود حكومة اليمين المتطرف برئاسة مجرم الحرب نتنياهو وفي ظل قانون يهودية الدولة أصبح الطريق إلى الهدف لابد أن يمر عبر جسد الشعب الفلسطيني دون مواربة، فأطلق العنان للاستيطان في الضفة الغربية والقدس، وتحولت قرية بدوية لا تتوافر على أدنى ظروف الحياة إلى هدف لدولة الاحتلال ليتم هدمها أكثر من مئتي مرة، وبذلك تكون قرية العراقيب شاهدة على الوجه الحقيقي لعنصرية الكيان، وأهدافه القائمة على إخلاء أرض فلسطين التاريخية من سكانها بشتى السبل، أما قطاع غزة الذي تشكل كتلته السكانية غصة في حلق الاحتلال فهو عرضة لسياسات مختلفة منذ النكبة التي كان من انعكاساتها الديموغرافية زيادة سكان القطاع ثلاث مرات، فمن بين 750000 فلسطيني طُردوا إلى المنفى بين سنتي 1947 و1949، لجأ إلى قطاع غزة نحو 200.000 فلسطيني ليشكلوا في الوقت الراهن حوالي 80 بالمئة من سكان القطاع. منذ ذلك الحين والاحتلال يتبع سياسات مختلفة تجاه قطاع غزة هدفها النهائي التخلص من أكبر كتلة سكانية، من خلال الاحتلال المباشر، أو إصدار قوانين تمنع حق العودة، إلى الحصار الخانق، مع خلق جميع الظروف التي تدفع سكان القطاع للهجرة فتشير الاحصائيات لمغادرة ما بين 185000 إلى 200000 من سكان القطاع، أي حوالي 10 بالمئة من السكان خلال سنوات الحصار، ولا مانع لدى الاحتلال من تحفيز هذه الهجرة بين فترة و أخرى من خلال الحروب التي تشن على قطاع غزة في إبادة للحجر والبشر، فساسة الاحتلال لا يضيعوا فرصة لمواجهة ملف الديموغرافيا عبر التطهير العرقي، لذلك فمنذ السابع من أكتوبر، وتحت ذريعة القضاء على المقاومة واستعادة الاسرى يتم إعادة تفعيل الخطة «دالت» التي لم تغادر أدراج ساسة الاحتلال، ويعود الهدف الأول الذي صاحب ولادة الكيان الصهيوني، وهو استكمال مخطط التطهير العرقي في فلسطين، وتحديداً في قطاع غزة الذي يعد تحدياً ديموغرافياً بكتلته البشرية المقدرة بـ2141000 نسمة أي حوالي 40 من الفلسطينيين داخل حدود فلسطين التاريخية. خلال العدوان الحالي على قطاع غزة يقوم الاحتلال باستخدام الذكاء الاصطناعي لهندسة الإبادة والتطهير العرقي والقضاء على أكبر قدر ممكن من السكان العزل، فيعترف مجرمي الكيان بأن منظومة الذكاء الاصطناعي «غوسبل» تمتاز بكونها مصنع للاغتيالات الجماعية، ويصفها الناطق باسم جيش الاحتلال بكونها «مصنع أهداف يعمل على مدار الساعة»، وأنه عند أي ضربة عسكرية ضد السكان المدنيين يتوافر لديهم بشكل مسبق تقدير لعدد الضحايا، ففي اليوم السابع والعشرين للعدوان على قطاع غزة، قام جيش الاحتلال بتحديد 12 ألف هدف مدني باستخدام الذكاء الاصطناعي. لقد تدربت «منظومة غوسبل» وغيرها من أدوات الذكاء الاصطناعي على الإبادة و التطهير العرقي على يد العصابات الصهيونية المتعاقبة على أرض فلسطين منذ النكبة، وتشربت بفكر المجرم بن غوريون الذي خط مشروع دولة يهودية قومية على أرض فلسطين بدماء الشعب الفلسطيني عام 1948 رافعاً شعار (العرب

يجب أن يرحلوا)، حيث تفضح الأرقام بعد تسعة أشهر من العدوان حجم الاستهداف لسكان قطاع غزة الذي ألقي عليه ما يقارب 80 ألف طن من المتفجرات، وبلغت مجازر الإبادة ما يقارب 3400 مجزرة أغلب ضحاياها من النساء والأطفال، تم هندسة العدوان على غزة لإفراغ القطاع من سكانه من خلال إحداث أكبر قدر من الدمار لكافة مناحي الحياة، وتدمير جميع المرافق الصحية وتعميق الكارثة من خلال نشر الأوبئة باستهداف قنوات المياه الصالحة للشرب وشبكات الصرف الصحي، وكذلك ملاحقة السكان والنازحين في كل مكان باستخدام طائرات الكواد كابتر، وبذلك يكون العدوان الحالي على قطاع غزة هو أول حروب التطهير العرقي ضد الإنسان باستخدام الذكاء الاصطناعي. منذ السابع من أكتوبر والاحتلال يدق طبول الحرب معتقداً أن الظروف أصبحت مواتية لاستئناف الخطة دالت عبر حملة للتطهير العرقي استخدم فيها جيش الاحتلال كافة السبل من قتل وتشريد وتجويع لإبادة ما يقرب من 2 بالمئة من سكان غزة مع الدفع بـ100 ألف شخص إلى خارج القطاع، أي حوالي 5 بالمئة من السكان. لكن من الواضح أن المحتل الصهيوني لم يقرأ التاريخ، ولم يستوعب الدروس التي لقنتها الشعوب الحرة في فيتنام والجزائر وغيرهما من الشعوب المناهضة لقوى الشر والاستعمار الإمبريالية الأمريكية والفرنسية ومن سلك طريقهما، في سرقة أراضي الغير. هذه القوى الإمبريالية التي وصفها الجنرال جياب بطل الحرب الفيتنامية في زيارته عام 1976 إلى الجزائر المستقلة، وهو القادم من فيتنام المستقلة بأنها أسوء التلاميذ في مدرسة التاريخ، لذلك تحتاج أن تلقن الدرس تلو الدرس. والاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين هو أسوء تلاميذ الامبريالية وأغباها، فهو يواجه شعب يخوض معركته متسلحا بذاكرة تاريخية محفور فيها 76 عاماً من اللجوء والنزوح والتآمر على حقوقه الوطنية، شعب أدرك أن أي حوار مع هذا الكيان هو حوار بين السيف والرقبة، وأن أرض فلسطين لا تتسع لهويتين، فهي تناحرية الصراع بين صاحب الأرض وسارقها؛ إنه صراع لن تكون الغلبة فيه إلا للحق وهي سنة التاريخ وقدر الجغرافيا.

التحديات الاجتماعية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الصهيو أميركية على غزة

د. عزمي منصور ـ أستاذ علم اجتماع ـ الأردن

يتسم المجتمع الفلسطيني على الرغم من نكبة عام 1948، بأنه مجتمع التكافل والتضامن الاجتماعي؛ سواء في المخيمات أو الأرياف؛ وحتى في المدينة؛ حيث ما زال المجتمع الفلسطيني يتراوح بين الأسرة الممتدة والأسرة النواة، وقد جعلته الأحداث أكثر تضامناً وتكافلاً، وقد تجلى ذلك في الهبَّات والانتفاضات المتكررة، مثل الانتفاضة الأولى عام 1987 حيث عمّت الاضرابات وتعطلت الأعمال، وزادت الاشتباكات مع العدو الصهيوني الذي لم يتورع عن تكسير عظام الأطفال ممن يقاومون بالحجر، ففي هذه المرحلة ساد الأمن الاجتماعي شعبياً، ولم يكن الفقير يشعر بفقره، بل كان يجد قوت يومه أمام باب بيته، وعلى مستوى التعليم وتعطل للمدارس والجامعات أصبحت البيوت مكانا لتلقي العلم، وكان الشعب الحاضنة الرؤوم لكل عائلة شهيد أو جريح أو أسير أو لكل من ينسف الاحتلال منزله بسبب المقاومة فكان يحظى بالرعاية والاهتمام مجتمعياً.

بعد اتفاقية أوسلو المشؤومة، وفي ظل سلطة أوسلو حصل تغيير في البناء الاجتماعي للمجتمع ففي ظل ما يسمى المشروع الوطني لإقامة دولة في الضفة الغربية وقطاع غزة وإيجاد مؤسسات أمنية عديدة، وما يسمى حكومة ووزراء ومجلس تشريعي ومؤسسات للأسرى والشهداء واقتصاد ريعي قائم على المساعدات الدولية من الدول المانحة والارتباط باقتصاد العدو أصبح لدينا فئات اجتماعية متنفذة وطارئة على المجتمع واقتصاد استهلاكي ما أدى إلى ضعف روحية التكافل والتضامن الاجتماعي إلا من بعدها الديني حيث بقيت محافظة على حالها انطلاقاً من نظرة إيمانية أكثر منها اجتماعية، وقد تجلت في قطاع غزة أكثر منها في الضفة الغربية حيث أصبحت رام الله، مثلاً، مدينة مشوهة بين الحداثة والنيوليبرالية والمحافظة إضافة إلى إحياء روابي منفصلة عن الواقع الاحتلالي البغيض إضافة الى إحياء جزر أخرى في المدن المختلفة من الضفة الغربية أقيمت بفعل الفساد والمحسوبيات لمحدثي النعمة.

بعد السابع من أكتوبر 2023، وخلال معركة طوفان الأقصى أصبحنا أمام واقع جديد وملحمة بطولية في تاريخ الشعب الفلسطيني، وأمام مرحلة تحول كبرى في المفاهيم بفعل التضحيات الجسام، فبات الانتصار الممكن، ليس عسكرياً فقط، انتصاراً للصمود والتضحيات والصبر، ورفضاً التهجير، وانتصاراً للإرادة والعدل؛ وعليه فإن معركة طوفان الأقصى ستواجه تحديات ما بعد الحرب من إعمار واستيعاب العدد الكبير من عوائل الشهداء والجرحى ومواجهه مشكلة الأيتام ممن فقدوا ذويهم، فمع أن مجتمع قطاع غزة ما زال يعيش حالة التضامن والتكافل الاجتماعي إضافة إلى البعد الديني، فإن بعض حالات الأيتام قد يستوعبهم أقاربهم بالتنشئة والتعليم والصحة، ولكن هناك حالات عديدة تعد بالآلاف لم يعد لهم معيل، مما يستدعي إيجاد مؤسسات إيواء وتنشئة تهتم بالصحة والتعليم والعمل لهؤلاء الأطفال وتشجيع مؤسسات دولية تهتم بالطفولة، وكذلك تشجيع دعم المغتربين لهم لحمل بعض الأعباء تحت إشراف الجهات المختصة، وضرورة بناء اقتصاد فلسطيني منتجاً فكراً وصناعة وغلالاً للتخلص من التبعية الاقتصادية لاقتصاد العدو وبالتالي التخلص من التبعية السياسية للدول المانحة التي باتت تشترط تغيير مناهجنا الدراسية، وعدم الاهتمام بمؤسسات الأسرى والشهداء؛ بوصفهم (إرهابيين)، أو فرض شروط معينة تتماهى مع العدو الصهيوني والفكر الاستعماري.

لقد باتت التحديات الاجتماعية من أهم التحديات التي تواجه فصائل المقاومة الفلسطينية، وهي تحديات تفوق قدرتها وطاقاتها وإمكانياتها، لذا لابد من إيجاد مؤسسات دولة تقوم بهذا الدور الوطني والاجتماعي بما يليق بهذه الحاضنة الشعبية التي ضحت بشكل أسطوري وبطولي وبما يليق بصمودهم وتضحياتهم الجسام على طريق النصر والتحرير، وبهذا العدد الكبير من الشهداء والجرحى والأسرى والأيتام الذي بات يقارب عشرات الآلاف عبر عقود من زمن التضحيات والنضال.

إشارات من الطوفان: أهمية الوعي السياسي والإنساني

د. كاظم الموسوي ـ باحث سياسي ـ البحرين

هزت ملحمة السابع من تشرين الأول/ اكتوبر العام الماضي العالم، وليس الإقليم أو المحيط الجغرافي فقط، وفرضت واقعاً مميزاً لمراحل تاريخية بمواصفات جغراستراتيجية متوالدة في الواقع، على الأرض، والتاريخ السياسي، لما قبلها وما بعدها. وأمام هذا المتغير الكبير والتحدي الرئيس تبرز إشارات مهمة تدور في إطار الطوفان الذي حمل في بدايته اسم طوفان الأقصى، وما أثاره من جدال حوله حيث غطت إشعاعاته، أو الأصح ارتداداته، امتداداً له، من الطوفان الأول لطوفان آخر حمل سماته في ظرف آخر، وتفرض الإشارة له من خلال تأثيره الفعلي وقدراته التي استخدمت فيه وواصلت ملحمة الطوفان الأول، ويصح عليه اسمه، الذي حمله، طوفان الوعد الصادق، الذي رسم ملامح جديدة لمقاومة العدو وتكريس قوة وقدرات واضحة لدعم محور المقاومة من جهة، ومشاركة فعلية تاريخية أيضاً من جهة أخرى، تواصل روح الطوفان الأول.

وليس ما انطلق في الجامعات الامريكية أولاً، وخاصة في جامعات النخبة، طبقياً وسياسياً، إلا امتداد متجدد لمعنى الطوفان الأول، أو تحولات أساسية، عاكسة وعياً جديداً ومؤثراً في الواقع السياسي والاجتماعي، مواز للطوفان ومتوال له، كحراك اجتماسياسي لطليعة شابة وواعية وقادرة على حمل رسالة الطوفان في كشف المتغيرات والتحولات الجديدة في طبيعة الحراك وأهدافه وشعاراته.. والأبرز في ديمومة التحولات والمتغيرات اعتمادها على الوعي الحقيقي لمهام القضية الأساسية، حقوق الشعب الفلسطيني وما تعرض الشعب له تاريخياً والآن بعد طوفان الأقصى، من مجازر وحشية فاشنازية (فاشية - نازية) لا تشبهها كل المجازر التي سجلها التاريخ في ملفات مجرمي الحروب والعدوان الإمبريالي ومخططاته الاستعمارية والاستيطانية والإبادة الجماعية والتهجير والقتل والتوحش في التدمير والتخريب والإجرام. وانتشرت احتجاجات الطلبة وحراكهم إلى جامعات الغرب والشرق، جغرافياً، وفرضت نفسها امتداداً لحراكات الغضب الشعبي العام في كل العواصم والمدن الغربية والشرقية، مكونة طوفان الطلبة، مرحلة متقدمة من تحولات الوعي والموقف الإنساني وجرأة الفئات الاجتماعية والثقافية البارزة في المجتمعات الغربية خصوصاً في اتخاذ مثل هذه القرارات والمواقف والممارسات الكفاحية وتعرية مؤسسات الحكومات الغربية وادعاءاتها المنافقة والمزورة للواقع والتاريخ.

أمام هذا الوعي والإدراك الواقعي لمجرى ما حصل ويجري في غزة خصوصاً وفلسطين عموماً، جرى التركيز على الجانب الآخر، المجهز بكل الوسائل والقدرات التي تملكها الرأسمالية العالمية ومجمعاتها المستثمرة فيما جرى ويجري، على تشويه الوقائع وغسل

الأدمغة وكيّ الوعي والتضليل الإعلامي والهيمنة الكونية على وسائل الإعلام المختلفة، وشراء الذمم والمؤسسات الإعلامية، والناطقة باللغة العربية أولاً. وهو أمر معروف أو مخطط له بديهياً لما له من أهمية استراتيجية في طبيعة الحرب واتجاهات العدوان وما تقوم أدواته به من ممارسات فاشنازية تسعى عملياً إلى التستر عليها والتضليل والتشويه والتدمير المعنوي والتركيز على الوعي والمرتكزات الثقافية لمخططات العدوان ومصالح مرتكبيه؛ العلنية والسرية. والأخطر في هذا المجال الاختراقات المعادية داخل المؤسسات الإعلامية المحسوبة ضمناً أو فعلاً لمحور المقاومة أو فصائل منه، واقعاً أو تمويلاً أو إشرافاً ومشاركة تسجل في إطار الأهداف والمصالح المعادية أو التي تخدم أو تتخادم مع العدو الغادر..

أذكر هنا إشارات فقط وأرجو الانتباه لها، وعدّها من تحديات الطوفان وتداعياته أيضاً، ولابد من إيقافها فوراً والسير في الطريق الصحيح ووضوح الوجهة، لا ازدواجية أو تناقض أو استغلال الفرص المكثفة والحاجة لأمور غير قليلة ولها أهميتها لوحدها.. وعلى الرغم من بيان بعض من تلك المصادر أو الوسائل وهي كثيرة، ولكن بعضها ولاسيما وسائل الإعلام المرئية؛ الفضائيات أنموذجاً، التي تزعم أنها من إعلام المقاومة، أو التغطي باسمها، تميز بين شهداء المقاومة فتسمي شهداء حزب الله مثلاً بقتلى وتطلق على فصائل المقاومة بمليشيات مدعومة من إيران.. وهي تترجم ما تنشره أو تذيعه وسائل العدو أو المشتراة منه بلغات مختلفة ومنها طبعاً وسائل الإعلام العربية الخليجية خصوصاً، أليست هذه ازدواجية المعايير التي ندينها عند العدو ونتفرج عليها في تلك الوسائل موفرة مجالات للعدو للاستغلال والاستثمار فيها أو العمل نيابة عنه في مثل هذه السلوكيات المرسلة له أو المعتمدة عنده.

إضافة لما سبق تقوم بعض هذه الوسائل باستضافة أشخاص معادين أو على الأصح مبرمجين بأثمان مغرية في معاداة المقاومة والكفاح الوطني ضد الاحتلال والإرهاب والقمع والدكتاتورية وداعميها؛ مثل الجمهورية الاسلامية في إيران والدول المقاومة أو الداعمة والمشتركة معها.. وقبل وبعد استخدام مصطلحات معادية للمقاومة والإسناد وهناك من يمثل ذلك في الحضور والمناقشات والمشاركات في عديد المؤتمرات والفعاليات، التي ترفع شعارات محور المقاومة، والمواجهة للحرب والاحتلال والعدوان.. وهناك اجتماعات تعقد علناً في مدن إقليمية أو محلية أيضا وتصدر بيانات تروج إعلاميا وتشكل مسميات تحمل عنوان محاربة "الاحتلال الإيراني"، وشتم شهداء المقاومة على طريق القدس بأقذع الأوصاف. ويستغلون بلا حرج وظائفهم المكلفين بها كناطق رسمي لحزب أو حركة أو عضو قيادي في إحدى تلك التشكيلات، سابقاً في الأكثر ومستمراً في أحيان أخرى، وهذا اختراق صارخ وتدخل كبير والتفاف لا يمكن الصمت عنه. إذ لا يرون الاحتلالات الصهيو-أمريكية والغربية عموماً للعديد من البلدان العربية والإسلامية والمواجهة المباشرة في الحرب الإجرامية في فلسطين، ويتسابقون دفاعاً عن القاعدة الاستراتيجية العسكرية المحتلة والمستوطنة في قلب الوطن العربي فلسطين التي يكافح شعبها وكل المناضلين الأحرار من أجل تحريرها بكل حروفها من الفاء إلى النون.

وفي مؤتمرات تحمل شعارات العروبة أو التضامن مع فلسطين أو ما شابهه أعضاء يشوهون سمعة فصائل المقاومة التي تقدم الشهداء وتتحمل الكثير من الظلم الإمبريالي بسبب دعمها الشجاع طوفان الأقصى وامتداداته وينعتونها بأسماء مختلفة تعبر عن كنههم ومعدنهم ووعيهم أو تعبر عن تكليفهم المقصود والموظف المقبوض الثمن سلفاً.

ومن الأمور التي تلفت الانتباه، تبرع تلك الوسائل الإعلامية أو ضيوفها بتكرار أو ترديد ما تقوله وسائل إعلام الأعداء وخاصة الغربية، والأمريكية أبرزها، وتحتفل بما تحتفل به، أو تصفق له بكل أحاسيسها التي تفضح حقيقتها وجوهرها، وتكذب في النقل والتصوير والتعبير، وهناك قصص معروفة منها، لاسيما الخطيرة منها، التي تقدم للعدو المجرم إحداثيات عسكرية مهمة أو معلومات سرية تودي بحيوات إنسانية مقاومة أو داعمة للمقاومة ومنشغلة في قضايا المقاومة والدفاع عن حقوق الشعوب العربية والإسلامية، وفلسطين عنواناً، وهناك أسماء كثيرة وكبيرة استشهدت بسبب ذلك أو بتوجيه وإرشاد وتهادن وتخادم، لم يعد سرياً أو مخبئاً، وليس ما حدث في ضواحي العواصم المقاومة: بيروت ودمشق وبغداد إلا شاهد واحد وصفحة من سجل طويل يزيدها إمعاناً في الصمت على ما سبق او التهاون معه لأسباب وحسابات ضيقة ومجاملات ليست بريئة في كل الاحوال.

تطرح في العديد من المؤتمرات والكتابات لأحزاب أو منظمات إقليمية أو محلية توصيات محترمة ولا يمكن إلا الإشارة إليها بالإيجاب والقبول والتأييد، ولكن مرة أخرى، المأساة فيها أنها تظل كلمات معسولة وصفحات مؤجلة، ترتبط بانتظار فرصة أخرى أو تطوى ويفوت الأوان.

بينما تقف دول غربية وشرقية مواقف إنسانية تتحدى فيها إرادة الدولة الأكبر، ومحاولات هيمنتها على القرار السياسي والاقتصادي العالمي، فمنها من أدخل إدارة المستعمرة الصهيو-أمريكية المحاكم الدولية، لأول مرة في التاريخ، وطالب بعضها في محاكمة قيادات عسكرية وسياسية فيها وفي إدارات دول غربية أيضا ولأول مرة أيضاً، بتهمة الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني، وكذلك السعي لعزل القاعدة الاستراتيجية الكيان الاستيطاني وفضحه وتعرية روايته الكاذبة، وقامت منظمات دولية باتخاذ قرارات ومنها منظمة الأمم المتحدة مع كل ما عليها ولها من مواقف أو سياسات معروفة في وضعها اسم الكيان ومرتزقته في القائمة السوداء لقتله الأطفال ولم تنفعه الحماية الصهيو-غربية. وفي كل الأحوال تتحول هذه التوصيات والمؤتمرات، والابتعاد عن دعم وتشجيع الحكومات الجريئة في الاستمرار في تصعيد مواقفها وحمايتها أيضاً بكل قدر مستطاع وممكن، تتحول إلى عبء ثقيل وعائق مؤثر في نتائج الملحمة والطوفان، أو تعكس صورتها بالمقلوب من أهدافها واختياراتها وتجارب التاريخ كثيرة.

طوفان الأقصى الأول في السابع من تشرين الأول/أكتوبر وارتداداته في طوفان الوعد الصادق ومن ثم استمراره في طوفان الطلبة والغضب الشعبي في الجامعات والعواصم والمدن الكبيرة والصغيرة في الغرب والشرق من الكرة الأرضية، منذ اندلاعه وإلى اليوم يسجل تحولاً تاريخياً في الوعي والموقف، ويقدم تقديراً معبراً ومحطة جديدة للقضية الفلسطينية وانتصارها التاريخي مع كل الدم والدمار.

الخيارات الوطنية في ضوء المستجدات الجديدة

مسعود أحمد ـ صحفي وكاتب سياسي/عُمان

منذ تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط المنظومة الاشتراكية وشعوب العالم تعيش تحت هيمنة القطب الإمبريالي الأوحد، ولفترة من الوقت اعتقدت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها بأن زوال المعسكر الاشتراكي الذي جيّشوا طاقاتهم الفكرية والسياسية والعسكرية لمواجهته سيمكّنهم من ترتيب خريطة العالم وتأبيد سيطرتهم الطبقية.. وفي منطقة الشرق الأوسط تضع الاستراتيجية الأمريكية في سلم أولوياتها حماية الكيان الصهيوني وضمان تدفق النفط من المنابع للمصبّات وهذا يتطلب من وجهة نظرها استكمال تدمير ما تبقّى من عناصر القوة العربية لجهة القضاء النهائي على كل ما يمكن أن يهدد مصالحها حاضراً ومستقبلاً.

وبحكم صلاتها العميقة بالمنطقة تدرك حجم الظلم الواقع على الجماهير العربية وأن إمكانية استمراره مسألة غير مضمونة؛ لذا فقد أعدت خلال العقود المنصرمة بدائل تستند إليها في إجهاض كل توجه يتعارض مع أهدافها؛ حيث رعت تلاوين سياسية وثقافية عديدة منها الإسلام السياسي وضغطت على النظم الرسمية الموالية من أجل إدغامها قسراً في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومنحها هامشاً واسعاً من حرية الحركة والتنظيم تحسباً للتطورات القادمة؛ وبعد تغول البرجوازية الكمبرادورية الطفيلية الموغلة في الرجعية والتخلف والعمالة والتخلي عن الحد الأدنى من التزاماتها وواجباتها الوطنية توفر ظرف موضوعي كاد أن يفتح أفقاً تاريخياً غير مسبوق؛ وكان لابد من استدعاء القوى الاحتياطية التي تحكمها على الدوام علاقة التنافر والانسجام مع النظم الرسمية على أرضية خدمة المشروع الأمريكي كما دلت التجربة القريبة والبعيدة؛ وأن التناقضات الجزئية حول المكاسب السياسية والاقتصادية الضيقة مكّنها من ممارسة أشكال من الديماغوجية والتضليل انطلت على قطاع جماهيري محبط؛ بهذا المعنى فإن جسور التعاون ما زالت قائمة؛ وعلى ضوء هذا التحليل فان المستجدات الراهنة مهما كان حجمها لن تغير كثيراً من الصورة العامة لاتصال معظم الأطراف الفاعلة بالقوى الرجعية ذات الصلة بالدوائر الإمبريالية التي لم تقطع روابطها الإيديولوجية والسياسية معها؛ الأمر الذي يحدد سقوف أفعالها؛ وبما يبقي الأبواب مفتوحة للتقاطعات السياسية البعيدة عن تطلعات الجماهير الشعبية في الحرية والاستقلال. وما دام المشهد الوطني تحت سيادة مفاهيمها وبرامجها وأجندتها السياسية فإن المحاذير ستبقى مشروعة. بيد أن الوقائع المادية على الصعيد العالمي بدأت تتراكم وإن ببطء، وستلقي بظلالها وانعكاساتها على مسرح الأحداث السياسية وإن لم تتمكن إلى الآن من توفير مظلة تاريخية قادرة على استيعاب كل تلك التفاعلات القائمة والمحتملة. وتشير المعطيات الأولية إلى أن الهيمنة الإمبريالية الأمريكية الأحادية بدأ عدها التنازلي وأن البدائل الأخرى بدأت ترسو على أساس التعددية القطبية. إلا أن ترسيخ هذا الواقع ما زال محفوفاً بالمخاطر من كل الاتجاهات. ولعل الحرب الإمبريالية الغربية على روسيا بنتائجها العسكرية والسياسية ستقرر مصير العالم أكثر من أي حدث آخر؛ وأن الانتصار الروسي على الرغم من كل المخاوف ربما يكون مرجحاً؛ وسيفرض بالضرورة حالة من التوازن العالمي يمكن أن يفتح عصر التحرر الوطني الديموقراطي؛ غير أن العوامل الموضوعية مهما كان نضجها يبقى تأثيرها محدوداً ما لم تستند إلى العامل الذاتي. وأن التحولات الخارجية الإيجابية التي يعول عليها في خضم هذه المواجهة على أهميتها سيبقى دورها ثانوياً. وما يهم تأكيده أن التيار البرجوازي اليميني الرجعي بشقيه العلماني والديني وبتركيبته الإيديولوجية والطبقية غير مهيئ لقيادة مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وغير قادر على استنهاض الحالة الشعبية وطنياً وقومياً، وتوظيف المستجدات الإقليمية والدولية -إذا سلمنا بوجودها- بما يخدم المشروع الوطني. وفي هذا السياق فان معضلات العمل الوطني ستبقى قائمة، وأن الخطاب الشعبوي مهما كان زخمه فلن يخرجها من أزمتها الخانقة، وما دامت القوى التقدمية العربية أسيرة واقعها الراهن، وما لم تشق مجرى نضالياً جديداً تلمس من خلاله الجماهير العربية التمايز الفكري والعملي الذي ينتشلها من حالة التيه الذي أدخلت فيه عنوة ستجد نفسها مع كل منعطف في منحى مغلق لا يقربها من أهدافها في التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعي. وفي ظل التفاؤل النسبي بوقف الحرب العدوانية على الشعب الفلسطيني، وبما أن الواقع العربي لم يطرأ عليه تغييرات ملموسة فإن نتائج وآفاق هذه الجولة من النضال الوطني التحرري يبدو أنها محكومة بإحدى الخيارين الأول: توافق وطني مقبول إقليمياً ودولياً، وإذا تعذر الإجماع ربما الذهاب بالاتجاه الثنائي والدخول في عملية سياسية بصرف النظر عن نتائجها، والثاني: الإبقاء على الحالة الانقسامية وهو وضع مشوه وشاذ وغير قابل للاستمرار وطنياً، ولم يعد بمقدور القوى الإقليمية تمويله في هذه المرحلة، وأعتقد أن الخيار الأول هو الذي سينتصر في الفترة المقبلة وذلك استجابة لجملة استحقاقات ضاغطة أهمها الدوافع الخاصة في حماية الوجود وفق المعادلات الواقعية من ناحية وتجيير النضالات والتضحيات الوطنية لخدمة المصالح الفئوية من ناحية أخرى، ولاستجلاء إمكانية هذا الاحتمال لا يكفي الانطلاق من اللحظة الراهنة بكل تعقيداتها ورهاناتها فحسب، بل من خلال تحديد علمي للمواقع الحقيقية في خارطة الصراع الاستراتيجي الشامل

معايير أخلاقية الصراع بين المقاوم الفلسطيني وجيش الاحتلال الصهيوني الإحلالي

حاتم الإستانبولي ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ القدس

يخوض المقاوم (الفلسطيني واللبناني والعراقي واليمني) معركة شاملة ومتشابكة ومتعددة المستويات والأبعاد الزمانية والمكانية العسكرية والأمنية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والإعلامية والنفسية.

المعركة التي حدد الفدائي الفلسطيني توقيتها وسيمفونيتها المتداخلة وحرص على إعلان إطارها الأخلاقي بأن «لا تقتلوا طفلاً أو شيخاً ولا تقطعوا شجرة» وحملت بعداً سياسياً وأمنياً واقتصادياً. (بيان المقاومة الأول بصوت محمد الضيف).

بعد أكثر من ٧٥ عاماً اقتحم المقاومون الفلسطينيون الجدران والأسلاك وواجهوا الجنود الإسرائيليين الذين لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم فمنهم من قتل أو استسلم، ومارس المقاومون الفلسطينيون القوانين الحربية للمقاومة الشعبية التحررية في مُجابهتهم جنود الاحتلال الإحلالي الإسرائيلي.

هذه المعركة كان لا بد منها عاجلاً أم آجلاً بعد أن تخلى العالم عن الشعب الفلسطيني وحقوقه وعدالة قضية مخيمه، ووصل التعنت والصلف والاعتداء اليومي على الشعب الفلسطيني بكل فئاته من شيوخ ونساء وأطفال وشباب الذين كانوا هدفاً عدوانياً يومياً لقطعان المستوطنين المحميين من جيش الاحتلال الإحلالي الذي يعتمد نهجاً إجرامياً عبر القتل والتصفية الميدانية تحت ذرائع واهية، وصل إلى حد لا يمكن تحمله.

وضع المقاوم الفلسطيني إطاراً أخلاقياً منطلقاً من ثقافته التي تتقاطع مع القوانين الدولية التي تقر أن الشعب الفلسطيني الملحق منه يعاني من تبعات نظم المكان عبر الزمان، والمهجر منه يعاني من الإلغاء والإلحاق وتبعاتهما، والباقي منه في الوطن يقبع تحت الاحتلال الصهيوني منذ أكثر من ٧٦ عاماً.

غزة هي أكبر مخيم فلسطيني من حيث العدد والمساحة، ويقبع تحت حصار متعدد الاتجاهات والاطراف جواً وبحراً وبراً لأكثر من مليوني فلسطيني.

مليوني فلسطيني مطلوب منهم أن يعيشوا في حالة متطلبات غرفة الإنعاش الطبية أي ضرورة بقائهم أحياء ولكن بلا قوة وإذا امتلكوا القوة يجب جَزّها بشكل دوري (مصطلح عسكري جزَّ العشب أي قَصَّهُ بهدف إعادة مواطني غزة لغرفة الإنعاش).

جيش الاحتلال الإحلالي الصهيوني هو في الحقيقة امتداد للمنظمات الإرهابية الصهيونية الرئيسة شتيرن وهاغانا وأراغون التي شرعت عمليات القتل والاغتصاب والتدمير الممنهج لكل جوانب حياة الفلسطينيين برعاية الانتداب البريطاني الذي مهد مسرح الجريمة المركبة والمتعددة الاتجاهات لإعلان دولة للمجموعات الإرهابية الصهيونية.

دولة قامت من أجل المجموعات المسلحة الإرهابية الاستيطانية الإحلالية التي كانت نواة جيش الاحتلال الصهيوني الإحلالي أي إنه جيش أسس على قيم أخلاقية إرهابية إجرامية في الفكر والسلوك تعتمد بشكل منهجي المجازر والقتل والتدمير للممتلكات والتجويع للاستيلاء على الأراضي والأملاك الفلسطينية وتهجير أهل الأرض الأصليين وطردهم، هذا النهج هو في الجوهر منبع الإرهاب الذي بدأته المجموعات اليهودية الصهيونية التي شكلت عقيدتها القتالية على هذه الأسس الإرهابية.

هذه المنظمات الصهيونية نواة جيش الاحتلال الإسرائيلي الصهيوني الإحلالي الذي يدعي أنه أكثر جيش أخلاقي أو أنه أحد أكثر الجيوش أخلاقية.

وفي هذا الصدد يطرح سؤال: حول أخلاقية الجيش وما هو معيار الأخلاقية؟

أخلاقية الجيوش تعتمد على عقيدتها القتالية التي بالضرورة يجب أن تعبر عن معايير العدالة الإنسانية السائدة في البلد المعني وهذه العقيدة تحدد الدور الوظيفي للجيش وسلوكه الأخلاقي.

تنقسم الجيوش لثلاث فئات:

- جيوش ملكية تخدم العائلة المالكة ومصالح تحالفاتها الداخلية والخارجية وتعبر عن القيم الأخلاقية الخاصة بالعائلة المالكة وفي كثير من الأحيان تحرص على القيم الملكية الفردية وإذا خيرت ما بين مصالح الشعب أو الملك أو الإمبراطور فإنها تختار مصلحة الملك ولا تعير لمنظومة العدالة الإنسانية أي اعتبار كونها جيوش تعتمد الولاء للفرد والعائلة.

- جيوش نظم سياسية تخدم سياسة هذه النظم ومصالح الحلف السياسي الحاكم وفي كثير من الأحيان تلعب دوراً سياسياً في منظومة الحكم مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى عدم استقرار سياسي لمنظومة الحكم وفي أحيان أخرى تتدخل بشكل مباشر لتستولي على الحكم وتربط مفاهيم العدالة الإنسانية ومؤسساتها القضائية برؤيتها السياسية والاقتصادية.

- جيوش وطنية تعتمد سياسة وعقيدة وطنية تعبر عن مصالح كافة فئات الشعب ولا تتدخل في المنظومة السياسية الداخلية وتعتمد قيم أخلاقية تعبر عن منظومة العدالة السياسية والاجتماعية السائدة التي تحرص على استقلاليتها عن المنظومة السياسية للفئة الحاكمة أو التحالف الحاكم.

وهذا يفرض سؤالاً: أين موقع جيش الاحتلال الإحلالي الإسرائيلي الصهيوني من هذه التصنيفات الثلاث.

الجيش الإسرائيلي حالة خاصة كونه يحمل صفة إحلالية استيطانية تبيح القتل والتهجير والسرقة للمجتمع الفلسطيني بكل فئاته، وعلى أساس هذه المفاهيم تم صياغة النظام القانوني والقضائي الذي يعتمد التمييز والعنصرية في دولة أُسِسَت لهذا الجيش الاستيطاني جيش المنظمات الصهيونية الرئيسية (شتيرن وهاغانا وأراغون وغيرها) التي تشكلت من المهاجرين اليهود الصهاينة الذين يحملون عقيدة دينية صهيونية تبرر لهم ارتكاب الجرائم بكافة أنواعها وأشكالها وتصنيفاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية على أساس أنهم شعب أعطاه الله أفضلية تاريخية على الشعوب الأخرى عبر الزمان والمكان.

أي بالجوهر هم يُرَوِجون أنهم جيش الله الذي يخدم العقيدة الدينية الصهيونية التي تقوم على أساس الأفضلية والاستثنائية التي لا تخضع للقوانين الإنسانية بل للقانون الإلهي الذي يعطيها أحقية استثنائية لممارسة الحق في القتل وارتكاب الجرائم ضد الإنسانية التي يعتبرونها شكلاً أدنى من الصفة الإلهية التي يتمتعون بها.

لذلك فإن سلوكهم الاستعلائي والعدواني الذي نراه في المحافل الدولية لكل منتقديهم حتى لو كانوا أصدقاءهم أو مناصريهم، أو حتى إذا دققنا في تعبيراتهم التي أطلقوها في استخدام الطاقة القتالية المفرطة للقتل المعلن للأطفال والنساء أو إعلانهم صراحة عن حرب التجويع والتعطيش وتدمير المستشفيات وملاحقة المسعفين والصحفيين الفلسطينيين ومنع الصحافة الدولية من الحضور في غزة والضفة كل هذا السلوك المعلن والممنهج في ارتكاب جرائم الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني على مدى عقود كل ذلك يستند إلى العقيدة الإجرامية للفكرة الرأسمالية الصهيونية التي لا تختلف من حيث الجوهر عن الفكرة الإرهابية القاعدية والداعشية التي ترتكز على ذات الأسس المعرفية التي تستخدم الفكرة الدينية لتوظيفها في القتل والتدمير باعتبارهم جنود الله على الأرض.

بالنتيجة فإن الجيش الإسرائيلي الصهيوني الإحلالي حالة استثنائية خاصة من حيث المنشأ والعقيدة والوظيفة والممارسة هي حالة خارج سياق السلوك الإنساني وقوانينه ولا يعطي أية قيمة لمفاهيم العدالة الإنسانية وقيمها. فالجيش الإحلالي الصهيوني هو ظاهرة إرهابية إجرامية ترى نفسها فوق القوانين الانسانية وليست مجبرة أن تخضع لمؤسساتها القانونية.

هذه المؤسسات هي ذاتها التي شرعت قيام دولة للمنظمات الإرهابية الصهيونية نواة الجيش الإسرائيلي الصهيوني الإحلالي في فلسطين تحقيقاً للحلم الرأسمالي الصهيوني بدعم كامل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

القضية الفلسطينية ومقاومتها تحمل جوهر أخلاقي موثق مستند إلى القانون الدولي الذي يعتبر أن إسرائيل هي قوة احتلال استيطاني الذي يُعتَبَر الأسوأ شكلاً وسلوكاً للإرهاب الذي تمارسه دولة إسرائيل بكل مؤسساتها السياسية والقضائية والأمنية والعسكرية والمدنية الاستيطانية.

لهذا فإن الصراع الأخلاقي يدور بين فكرتين: فكرة إجرامية يهودية صهيونية للاحتلال الاستيطاني الصهيوني الإحلالي الإجرامي، وبين فكرة تحمل جوهراً أخلاقياً إنسانياً تدافع عن الحقوق الإنسانية المشروعة للشعب الفلسطيني في الحياة الكريمة العادلة في أرضه ووطنه.

لا يمكن إظهار قباحة وإجرامية وعنصرية الفكرة الصهيونية الاستيطانية إلا من خلال إبراز عدالة الفكرة التحررية الفلسطينية وإنسانيتها وجماليتها التي هي معيار للعدالة الإنسانية ونقيضها.

هل تمثل الأزمة السودانية نكبة عربية ثانية؟

د. محمد حسب الرسول
عضو الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي، كاتب وباحث في القضايا الإقليمية – السودان

ثمة تشابه كبير بين ما جرى في السودان منذ عام 2019 وما جرى في فلسطين قبل إعلان قيام دولة الكيان الصهيوني في 15أيار/مايو 1948، ومن تلك الأوجه ما يلي:

هجَّرت قوات بالدعم السريع التي ينتمي غالب أفرادها إلى دول الساحل والصحراء الأفريقية، هجّرت الملايين من عربان الشتات الذين تحدروا منهم إلى السودان بعد أن تعذر عليهم العيش في تلك الدول، وتعذر عليهم الانسجام مع مجتمعاتها أو الاندماج فيها على الرغم من إقامتهم الطويلة فيها، الأمر الذي صنع لهم حالة ووضعاً أشبه ما يكون بحالة اليهود الذين ضاقت بهم المجتمعات الغربية وصنع ذلك ما عرف بالمسألة اليهودية.

رأت نخب عربان الشتات أن حل أزمة وجودها في دول الساحل والصحراء الأفريقية يكمن في إقامة وطن بديل أطلقت علية اسم دول قريش، ورأت في السودان وطناً بديلاً وأرضاً لميعادهم الجديد، وقد وجدت تشجيعاً من الغرب في ذلك وتأييداً ودعماً.

- قامت قوات الدعم السريع وبدعم غربي عربي صهيوني بعمليات تهجير منظمة لعربان الشتات إلى السودان منذ 2019، كما قامت بعمليات تصفية وتطهير عرقي في قرى ومدن في ولايات دارفور، استهدفت سكانها الأصليين، وجعلت منها مستوطنات لعربان الشتات الذين أقاموا في بيوت وقرى ومدن سكان دارفور الأصليين الذين طالتهم يد التطهير العرقي، وهنا يتبدى وجه شبه بين ما قامت به قوات الدعم السريع وما قامت به منظمات أرغون والهاغاناه في فلسطين قبل عام 1948.

- وسعت قوات الدعم السريع من جغرافيا الاستيطان، فقامت بشراء البيوت والأراضي الزراعية في مناطق ذات أبعاد تاريخية وحضارية، وبشكل خاص على امتداد نهر النيل، وبين النيلين وعلى امتدادهما، وجعلتها مسرحاً للتوطين والاستيطان، وهو الذي قامت بها المنظمة الصهيونية في فلسطين عامة وفي المدن الفلسطينية، وبخاصة جماعة شوفوبانيم، ومنظمة لاهافا.

- محو الذاكرة الوطنية ومحاولة صناعة سردية تاريخية جديدة يدعي فيها المستوطنون الجدد امتلاكهم لأرض السودان، والادعاء بعدم أحقية السكان الأصليين بحقوقهم التاريخية وكافة حقوق المواطنة، وفي ذلك صدى للسردية الصهيونية التي ادّعت وتدّعي أحقيتها التاريخية لفلسطين الذي ترجمته عبر تهجير الفلسطينيين واقتلاع بيوتهم ومحاولات السطو على تراثهم وإرثهم الحضاري، وترجم كذلك في منعهم من حقوقهم كافة ومنها حقوقهم المدنية، وهو يشبه ما قامت به جمعية عطيرا اليوشنا في فلسطين.

- سعى الدعم السريع إلى السيطرة على موارد السودان الاقتصادية، فوضع يده على المعادن، وعلى المصارف، وعلى التجارة وبخاصة تجارة السلع الرئيسة مثل البترول وغيرها، وسعى للتحكم في الموانئ، وفي الزراعة، وقام خلال أشهر الحرب بتدمير القدرات الاقتصادية لسكان السودان الأصليين، فنهب ثم حرق ودمر المصارف والأسواق والمناطق الصناعية والمتاحف ومراكز الدراسات والبحث العلمي، ففير بذلك المراكز المالية لصالح أعراب الشتات «المستوطنين»، وهو الأمر الذي قامت به المنظمات الارهابية الصهيونية في فلسطين، وقد سبق أن جرى الأمر نفسه في فلسطين على أيدي الصندوق القومي اليهودي «كرين كايمت»، وكرين هايسود، وصندوق الائتمان اليهودي للاستعمار 1899 مفوضية، وقد استفادت شركة الجنيد التابعة للدعم السريع وبقية شركاته من تجارب الصناديق والشركات الصهيونية في تمويل عمليات الاستيطان وتعزيزه، وقد كان لمفوضية الأراضي التي أنشأها قائد الدعم السريع في2022/1/5 دور رئيس في عمليات الاستيطان.

إن أبرز أوجه الشبه بين تجربة استيطان عربان الشتات ويهود الشتات تتمثل في التشابه إن لم يكن التطابق في خطط الاستيطان، وتتشابه في واقع المهجرين من عربان الشتات ويهود الشتات في عدم انسجامهم في المجتمعات التي عاشوا فيها قبل تهجيرهم إلى السودان وفلسطين، كما أن التشابه يشمل أهداف الاستيطان وآلياته التي حولته من خطة إلى ملموس معاش.

ثمة أسئلة ملحة تفرض نفسها في هذا الأمر، منها: هل كان التشابه في تجربتي الاستيطان محض صدفة؟ وكيف لقائد الدعم السريع ونائبه وأسرته وهم من غير المتعلمين، ولم تتوافر لهم القدرة على التعرف على طرق التخطيط وأنماطه، كيف لهم أن يضعوا خطة لتأسيس دولة يجتمع فيها ذويهم من دول غرب أفريقيا على هذا النحو الدقيق من التخطيط والتنفيذ؟ وهل لمشروع الاستيطان في السودان صلة بالمشروع الذي تم تنفيذه في فلسطين؟

أبرز الانتهاكات التي قامت بها ميليشيا الدعم السريع

• جرائم القتل والتصفية العرقية

- قتلت مليشيا الدعم السريع في شهور الحرب الأولى 18500 مواطن مدني في الخرطوم والجزيرة وجنوب دارفور.
- قتلت مليشيا الدعم السريع نحو 15.000 من أبناء قبيلة المساليت في مدن الجنينة، أردمتا وزالنجى في إطار عملية التصفية والتطهير العرقي.
- قتلت مليشيا الدعم السريع 5.200 رجل وطفل ذكر من قبيلة المساليت في يوم واحد في مدينة الجنينة، في إطار عملية التصفية والتطهير العرقي، وبقرت بطون النساء الحوامل حتى لا ينجبن أطفالاً ذكوراً.
- دفنت الميليشيا عشرات الشباب من قبيلة المساليت أحياء في إطار عملية التصفية والتطهير العرقي.

• التهجير القسري

هجرت مليشيا الدعم السريع:

- 370.000 مواطن من مدينة الجنينية، وأمثالهم من مدينتي زالنجى وأردمتا.
- 7.000.000 من ولاية الخرطوم
- 6.000.000 من ولاية الجزيرة
- الاعتقال والاخفاء القسري للمدنيين 12.000 مدني تعرضوا للاعتقال والاخفاء القسري

• تصفية أسرى الحرب

وثقت مليشيا الدعم السريع تصفيتها للأسرى في مدن: الخرطوم وزالنجى، نيالا، وفي مدن وقرى ولاية الجزيرة

• تدمير البنيات التحيتية

قامت مليشيا الدعم السريع ب:

- تعطيل محطات إنتاج المياه وتدميرها في الخرطوم وبحري وأم درمان، وحرمان ما تبقى من سكان تلك المدن من المياه لإجبارهم على الهجرة والنزوح عن مدنهم وبيوتهم.
- تدمير محطات توليد وتوزيع الكهرباء بولاية الخرطوم.
- تدمير الجامعات بولاية الخرطوم، وولاية الجزيرة وولاية جنوب دارفور.
- تدمير 10 مناطق صناعية في ولاية الخرطوم، وتدمير نحو 6.000 مصنع بشكل كلي أو جزئي، وسرقة بعض المصانع، وسرقت مخازنها وحرقت الذي عجزت عن ترحيله.
- تدمير المستشفيات والمراكز الصحية واحتلالها
- احتلت مليشيا الدعم السريع معظم المستشفيات والمراكز الصحية بولاية الخرطوم (600 مستشفى ومركزاً صحياً)، وحولت جلها إلى ثكنات عسكرية تأوي قواتها، وحولت البعض منها إلى مراكز علاجية خاصة بتلك القوات.
- سرقت مليشيا الدعم السريع أكثر من 250.000 ألف سيارة من ولايتي الخرطوم والجزيرة.
- نهبت مليشيا الدعم السريع جميع البنوك بفروعها المختلفة في ولايات: الخرطوم، الجزيرة، غرب دارفور، وجنوب دارفور.
- نهبت مليشيا الدعم السريع جميع الأسواق في ولايات: الخرطوم، الجزيرة، غرب دارفور، وجنوب دارفور.

تدمير المساجد والكنائس.

تقدر الخسائر الإجمالية لهذا النهب والتدمير الممنهج بأكثر من 130 مليار دولار

•جرائم العنف والاسترقاق الجنسي

- من خلال الرصد الذي قامت به منظمات حقوقية وعاملات متطوعات بالمجال الطبي بولاية الخرطوم وولاية الجزيرة وولاية غرب دارفور وشمال دارفور، فان ما لا يقل عن 180 حالة وثقت لجرائم اغتصاب ارتكبتها مليشيا الدعم السريع، وهذا الرقم هو ما استطاعت رصده وحدة مكافحة العنف ضد المرأة.
- قامت مليشيا الدعم السريع باختطاف مئات النساء من ولايات: الخرطوم، الجزيرة، وغرب دارفور من قبائل محددة وأجبرن على البغاء وتم بيع بعضهن في أسواق داخل دارفور وفي غرب أفريقيا.
- قامت مليشيا الدعم السريع بإكراه مئات الأسر في ولايتي الخرطوم والجزيرة على تزويج بناتهن قسراً لبعض أفراد المليشيا.

لبنان:
بين رهان الانتظار ومظاهر الاحتضار

سمير دياب - المنسق العام للقاء اليساري العربي

وصل اهتراء النظام السياسي الطائفي في لبنان إلى مرحلة لم يعد فيها انتخاب رئيس للجمهورية على أهميته الدستورية والوطنية يشكل فرقاً، فالتبعية والفساد والمحاصصة الطائفية فعلت فعلها في تدمير مؤسسات الوطن وإفقار الشعب وهجرة شبابه.

فمع بداية تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2022، وانتهاء عهد الجنرال ميشال عون، وعداد الفراغ الرئاسي شغال، وجلسات المجلس النيابي الفولكلورية لإيصال رئيس جديد بالنصف زائداً واحداً (65 نائباً) باءت بالفشل الذريع، وتكاد تكون مستحيلة لمحاور الأطراف السياسية المتصارعة على جلدة الرئيس العتيد، والمتفقة على توليد الأزمات وإدارتها، وعلى توزيع المحاصصات والغنائم.

يتكرر سيناريو الفراغ الرئاسي للمرة الرابعة في لبنان: فالأول، حدث بعد انتهاء عهد أمين الجميل عام 1988، لينتهي بعد أكثر من عام بانتخاب رينيه معوض، أما الثاني فقد حدث عام 2007 بعد انتهاء عهد إميل لحود، وانتهى بعد ستة أشهر في أيار/ مايو 2008 بانتخاب ميشال سليمان، وحدث الثالث بعد انتهاء عهد ميشال سليمان عام 2014 واستمر سنتين ونصف وانتهى بانتخاب ميشال عون في أكتوبر/ تشرين الأول 2016.

وها هو لبنان يشهد فصول الفراغ الرئاسي الرابع وسط جملة من المتغيرات المفصلية الدولية والإقليمية، وفي ظل استمرار أعتى عدوان صهيوني بالشراكة مع الإمبريالية الأميركية والأطلسية على غزة وجنوب لبنان بعد عملية «طوفان الاقصى» النوعية للمقاومة الفلسطينية، وفشل أهداف حرب الإبادة الجماعية والتطهير العرقي والتهجير والتدمير الوحشي بحق الشعب الفلسطيني في غزة المحاصرة بفضل تلاحم الصمود والمقاومة التي غيرت في معادلة الصراع، وحطمت أسطورة التفوق الصهيوني، وكسرت نهج الخيانة والتطبيع، وأعادت للقضية الفلسطينية مسارها عن طريق المقاومة، وأثبتت أن نهج المقاومة الوطنية هو السلاح الأمضى نحو تحقيق أهداف الشعب الفلسطيني في التحرير والعودة والدولة الفلسطينية الوطنية وعاصمتها القدس.

يأتي الفراغ الرئاسي أيضاً على وقع محاولة اليمين اللبناني إثارة قضية النازحين السوريين بصورة مشوهة وبخلفية مشبوهة تساعد على فكفكة العوامل الداخلية بدل تعزيز العامل الوطني وتحصينه في مواجهة تهديدات العدو الصهيوني بتوسيع دائرة الحرب على لبنان، وعلى وقع انهيار اقتصادي ومالي غير مسبوق، وعلى وقع زيارات مكوكية للموفد الفرنسي (لودريان) والموفد الأميركي (هوكشتاين) للضغط على لبنان لوقف عمليات المقاومة على الجبهة الشمالية لفلسطين المحتلة، والداعمة للمقاومة الفلسطينية في مواجهة العدوان، والالتزام بتطبيق القرار 1701 والقرار 1559، والتلويح بأن المبادرة الأميركية تشكل الفرصة الأخيرة قبل توسيع الحرب، في مقابل كمية من الوعود بمساعدات مالية وتسهيل انتخاب رئيس واستكمال المفاوضات على ترسيم الحدود البرية بين لبنان والكيان الصهيوني وفق الخط الأزرق على شاكلة الترسيم البحري، كل ذلك يأتي في محاولة أميركية لإنقاذ الكيان الصهيوني من مأزقه، ومساعدته في التفرغ لمهمة الإبادة الجماعية في رفح، والقضاء على المقاومة الفلسطينية وتصفية القضية وتنفيذ الترانسفير الكبير بما يسمح لاحقاً بتمرير مبادرة (بايدن) ورؤيته للحل في غزة لتحقيق مكاسب في معركته الرئاسية، أما جوهر «المبادرة» فتعطي الكيان الصهيوني ما عجز عن تحقيقه من بنوك أهداف عدوانه الوحشي خلال تسعة أشهر من بدء العدوان على غزة.

ويأتي، هذا الفراغ على وقع اجتماعات سفراء اللجنة الخماسية العربية ومبادرات بعض الأطراف الداخلية اللبنانية لتقريب وجهات النظر بصدد انتخاب رئيس للجمهورية. والنتيجة إلى الآن تعادل صفراً مكعباً، بانتظار إنضاج طبخة الصفقة الدولية-الاقليمية للمنطقة، ونسب المحاصصة، وعلى أساس ذلك يتحدد مصير وجود أو عدم وجود رئيس جمهورية في لبنان.

أجل، إن معركة رئيس الجمهورية مرتبطة بكل مفاصلها في صراع المنطقة، وفي حسابات موازين القوى الدولية والإقليمية والمحلية، فالطبقة السياسية المسيطرة جرفت البلد منذ اتفاق «الطائف» 1989، وحتى الآن إلى قاع الهاوية باعتمادها المتاريس الطائفية والمذهبية لتأبيد سيطرة حكمها وبقوانين انتخابية طائفية بحيث لم يعد الوطن يشبه الأوطان، ولم يعد يمثل أحلام الشباب، ولم يعد ملاذاً لرواد الفكر والأدب والشعر والفنون والثقافة الوطنية، ولم يعد موطناً لحرية الرأي والتعبير والكتابة والإبداع، بل تحول إلى غابة فيدراليات طائفية متنافرة جاهزة للاشتعال غب الطلب.

ربع قرن تقريباً على تحرير الوطن من رجس المحتل الصهيوني بفعل المقاومة والصمود الوطني، أما نفق التغيير الديمقراطي فطويل ومظلم، وأسير في قبضة أطراف السلطة المسيطرة. أجيال قاومت المحتل الصهيوني منذ ستينيات القرن الماضي عبر تشكيلات الحرس الشعبي وقوات الأنصار في الجنوب، وعبر إعلان جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية في 16 أيلول/ سبتمبر عام 1982، وعبر دور المقاومة الإسلامية حتى التحرير دون قيد أو شرط في 25 أيار عام 2000، من أجل التحرر الوطني. وأجيال وراء أجيال ناضلت واعتقلت واستشهدت من أجل التحرر الاجتماعي-الطبقي ليبقى لبنان عربياً حراً ديمقراطياً وعلمانياً مقاوماً، لا من أجل تجديد جلدة أرباب هذا النظام السياسي البرجوازي التابع، وتحالفهم المقدس مع المرجعيات الدينية والطغمة المالية، واقتصادهم الريعي. هؤلاء هم من نهبوا الأملاك والأموال والخيرات، وعطلوا المؤسسات، وتحاصصوا المواقع والمراكز والأرباح، وكرسوا المصالح الطائفية والمذهبية على المصلحة الوطنية، بعد أن تنكروا لتضحيات شهداء النضال والمقاومة، وبعد أن استهدفوا مكتسبات الطبقة العاملة والفئات الشعبية، وأفلسوا العباد والبلاد.

وعلى الرغم من تعمق الأزمة الوطنية العامة وتجذّرها، وعلى الرغم مما يعيشه الجنوب اللبناني من اعتداءات صهيونية منذ الثامن من تشرين الأول الماضي، وسقوط مئات الشهداء والجرحى، ونزوح عشرات الآلاف من المواطنين، وتدمير عشرات القرى الجنوبية إلا أن هذه التطورات على أهمية موقعها ومتغيراتها في الصراع ضد العدو الصهيوني، وعلى ارتداد سلبياتها على الصامدين والنازحين، لم تغير «قيد أنملة» في تمترس الأطراف السياسية المسيطرة وراء مواقفهم السابقة وإشهار سلاحهم الطائفي بدل تعزيز الوحدة الوطنية والصمود الشعبي لتدعيم الساحة الوطنية في مواجهة أي عدوان صهيوني محتمل. وبدل انتخاب رئيس للبلاد، وتنشيط المؤسسات العامة، جرى تأجيل الانتخابات البلدية للمرة الثانية على التوالي بحجة التطورات الأمنية وعدم توافر الإمكانات اللوجستية لإجرائها.

بناء على ما تقدم، وبما أن عواصم القرار مشغولة في قضايا مصيرية أخرى، فإنه لم يحن الوقت بعد لتمرير الكلمة السحرية الخارجية (الدولية والاقليمية)، ولذلك فإن الانتظار سيد الموقف مع كل آلام حالة الاحتضار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمعيشية وأوجاعها، فالمشكلة بأبعادها ليست في انتخاب رئيس للبلاد وكفى، فهذا الأمر يعتبر عارض من عوارض الأزمة الوطنية المتجذرة في بنية النظام السياسي البرجوازي وطبيعته الطائفية، وفي مدى تبعيته للخارج، وفي منهجية سياسات حكوماته المتعاقبة على توليد الأزمات وتدمير المؤسسات وإنعاش الخلافات والانقسامات الطائفية والمذهبية بهدف تأبيد نظام الحكم، والحفاظ على الامتيازات الطبقية والطائفية.

لكن، على الرغم من سوداوية المشهد الداخلي في لبنان، فإنه لا يحجب النضال التاريخي المشرف للقوى الوطنية واليسارية والعلمانية عبر جبهة المقاومة الوطنية للتحرير وعبر النضال الديمقراطي للتغيير، وصولاً إلى الانتفاضة الشعبية عام 2019. لكن المسؤولية التاريخية تقتضي تثوير المهمة، وتفعيل العمل الميداني لتظهير المشروع الوطني الديمقراطي بوصفه جزءاً لا يتجزأ من مشروع حركة التحرر الوطني العربية من أجل التحرير والتغيير الجذري الشامل، وعليه، يمكن تأكيد ثلاثة عوامل:

العامل الأول: إن مظاهر الأزمة وتداعياتها الطائفية والمذهبية تشكل عقبة حقيقية أمام الحل الوطني الديمقراطي، وأمام أي إصلاح، وتنشط الأطروحات الطائفية ويعاد نبشها ونشرها في السوق عند اشتداد خلافات أهل السلطة كما يحصل اليوم (الفدرلة، الحياد، النأي بالنفس، الدعوة لتطبيق القرار 1559 في عز دين الصراع مع العدو الصهيوني، استئناف الحوار الطائفي...الخ). وعندما تطغى هذه الصيغ بمضامين ألغامها المتفجرة، نكون مجدداً أمام بلاغات لشحن التعبئة الطائفية، واستدعاء الانقسامات والصراعات الأهلية؛ وهذا أمر خطير جداً على القضية الوطنية برمتها. وبالاستناد إلى هذه الطروحات، فإن التسويات تكون على مبدأ «إحياء العظام وهي رميم»، وهذا ما هدد سابقاً ويهدد راهناً المصير الوطني والاجتماعي برمته.

العامل الثاني: إن تفاقم الانقسامات الطائفية تهدد السلم الأهلي، وتضعف الساحة الوطنية المفترض أن تتعزز بالوحدة والصمود الشعبي في مواجهة مخاطر العدوان الصهيوني-الأميركي كون انعكاساتها تطال الشعب والوطن والمقاومة وليس هذه الطائفة أو تلك.

العامل الثالث: إن مسار عملية الإنقاذ الوطني والاجتماعي يمر عبر طريق تعزيز النضال الوطني والطبقي، وعبر تشكيل جبهة للمقاومة الوطنية اللبنانية والعربية، في إطار المواجهة ضد المشروع الإمبريالي-الصهيوني-الرجعي العربي من أجل التحرر الوطني الشامل، وفي المقدمة (اليوم) العمل على وقف العدوان الصهيوني-الأميركي على غزة وفك الحصار عنها وإدخال المساعدات الإنسانية من دون قيود أو شروط، ووقف الاعتداءات على لبنان، وتالياً، دعم المقاومة الفلسطينية الوطنية، وتعزيز الوحدة الداخلية لتثمير الانتصارات التاريخية والتقدم نحو تحقيق كامل أهداف الشعب الفلسطيني العظيم في إنجاز التحرير وحق العودة وإقامة الدولة الوطنية الفلسطينية وعاصمتها القدس، وفي دعم مسار النضال الديمقراطي من أجل التحرر الاجتماعي وإحداث التغيير الديمقراطي.

إن نتائج مسار المعركة الميدانية المفصلية في غزة وجنوب لبنان ستقرر طبيعة المسار على الساحة اللبنانية والفلسطينية والمنطقة برمتها. ومن يمتلك قوة الإرادة والعزيمة والصمود الشعبي والنضال والمقاومة، فإن فجر الحرية قريب.

أما من ينتظر انتخاب رئيس «صنع في لبنان»، فنقول: «شر البلية ما يضحك».

العدوان الاقتصادي الأمريكي على اليمن.. التداعيات والرد

(لدى صنعاء أوراق هامة وخيارات اقتصادية وعسكرية ستؤلم العدو)

شرف حجر ـ كاتب ومحلل سياسي يمني

فيما يبدو أن الموقف الصعب الذي تمر به البحرية الأميركية في البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، يدفع بالولايات المتحدة إلى استنفاد أوراقها كافة ضدّ اليمن الرافض للهيمنة الأمريكية والواقف بقوة -مع محور المقاومة- إلى جانب شعبنا الفلسطيني ومقاومته الباسلة. فبعد فشلها في البر والبحر، وعجزها عن ثني صنعاء بقيادة أنصار الله، في موقفها الداعم لغزة، لجأت الولايات المتحدة إلى شنّ حرب اقتصادية على اليمن من خلال عدة إجراءات اتخذتها واشنطن بشكل مباشر، كما حدث في إدراجها «أنصار الله» في قائمة التنظيمات الإرهابية، أو عبر أدواتها من المرتزقة والعملاء الموالين للسعودية والإمارات، بدفعهم إلى تحريك ملف السيولة النقدية والضغط على البنوك التجارية لنقل مراكزها الرئيسة من العاصمة صنعاء إلى المناطق المحتلة جنوب اليمن.

• قرارات وأساليب كثيرة اعتمدتها الولايات المتحدة للضغط على يمن الحادي والعشرين من أيلول/ سبتمبر 2014م، ولكنها دائماً كانت تجد نفسها أمام طريق مسدود، في ظل قيادة يمنية ثورية وطنية ممثلة بالسيد عبد الملك الحوثي، فبعد عدوان تحالف أمريكي صهيوني سعودي إماراتي، دام أكثر من 9 سنوات، لم تستطع واشنطن وحلفاؤها كسر العزيمة اليمنية، بل إنها في كل مرحلة كانت تجد نفسها أمام واقع مغاير لأهدافها وأطماعها في اليمن.

• قبل الحديث عن تداعيات العدوان الاقتصادي الأمريكي على اليمن في ظل تصاعد القوة العسكرية اليمنية التي باتت تمتلك ترسانات قادرة على مواجهة دول داعمة للكيان الصهيوني كما يحصل اليوم في البحار الثلاث: الأحمر والعربي والمتوسط، والمحيط الهندي، يجب الإشارة إلى أنه منذ «إعلان صنعاء» الالتحام بملحمة طوفان الأقصى ضد العدو الصهيوني أواخر تشرين الأول/ أكتوبر 2023م، وما تلا ذلك من عمليات عسكرية نوعية طالت أهدافاً صهيونية جنوب فلسطين المحتلة، ثم إدخال معادلة البحر الأحمر ومضيق باب المندب، والتدرج في التصعيد البحري بخطوات مدروسة كشفت حجم ما تتمتع به القوات المسلحة اليمنية من قدرات عسكرية هائلة، منذ ذلك الحين سعت واشنطن إلى اتباع أساليب الترغيب مع صنعاء، من أجل وقف عمليات الإسناد لغزة وشعبها، مقدمة عروضاً سخية، خاض خلالها الوسطاء حملات مكثفة لإقناع قائد الثورة السيد عبدالملك بدر الدين بالتخلي عن مساندة غزة مقابل امتيازات ومعالجات كثير من الملفات، وأبرزها إنجاز ملف المفاوضات مع السعودية؛ رأس العدوان على اليمن، بشروط صنعاء، ليأتي ردّ سماحة السيد برفض العروض المطروحة كافة، مؤكداً أنه لا مساومة في ثبات الموقف تجاه فلسطين، مهما كانت المغريات والتحديات.

• ونشير أيضاً إلى أن اليمن قبل ثورة أيلول/ سبتمبر 2014م، التي حررته من الوصاية الخارجية، أمضى عقوداً من التبعية لأمريكا وحلفائها في المنطقة وفي مقدمتهم السعودية، وعلى الرغم من تلك التبعية إلا أنه لم يسلم من الاستهداف الممنهج أرضاً وشعباً، حاضراً ومستقبلاً، بمساعدة مباشرة أو غير مباشرة من حُكام تلك الحقبة الزمنية، حيث عملت مملكة الجوار جاهدة على تدمير الاقتصاد اليمني وإجهاض أي مشاريع استراتيجية، وذلك بهدف إبقاء اليمن «حديقة خلفية» لها، كما نفذت أمريكا واللوبي الصهيوني مخططات وأجندة استعمارية خطيرة، وقد كُشف عن جزء من ذلك مؤخراً في الإنجاز الأمني لجهاز الأمن والمخابرات بصنعاء، والمتمثل بشبكة الخلايا التجسسية المُدارة من المخابرات الأمريكية والموساد الصهيوني، عبر سفارة واشنطن في صنعاء، حيث أشار عدد من أعضاء الخلية في جانب من اعترافاتهم إلى المهام التي أوكلوا بها والتي استهدفت بدرجة رئيسة الاقتصاد والزراعة والصناعة بأسلوب ممنهج ومنظم يهدف إلى القضاء على تلك الثروات بشكل كامل.

• تصعيد الحرب الاقتصادية الأمريكية مؤخراً على اليمن سبقها قيام دول العدوان في أيلول/سبتمبر 2017، بنقل مهام واختصاصات البنك المركزي اليمني ونظام المعاملات الدولية من البنك المركزي بصنعاء إلى عدن، وذلك ضمن السياسة الأمريكية التي تُدير الحرب على اليمن عبر أدواتها في المنطقة، والهدف من نقل البنك هو استخدام السياسات المالية والنقدية في الحرب الاقتصادية على صنعاء، ويدخل في ذلك قطع مرتبات الموظفين وفرض حصار شامل على المطارات والموانئ، وضرب العملة الوطنية وغيرها من الإجراءات التي هدفت إلى ضرب المشروع الثوري والتحول الذي شهدته صنعاء بعد ثورة أيلول 2014م بالتحرر من التبعية والارتهان لأنظمة الاستكبار والاستعمار العالمي.

• بالتأكيد فإن العدوان الاقتصادي الأمريكي على اليمن، له تداعيات وتأثيرات كبيرة على المستوى الداخلي اليمني، كونه يستهدف المجتمع اليمني بشكل عام، سواء في المناطق المحررة والتابعة لسلطة صنعاء أو المناطق المحتلة والواقعة تحت سيطرة أدوات السعودية والإمارات، غير أن جميع المؤشرات تؤكد بأن يمن الحادي والعشرين من أيلول، لن يقف مكتوف الأيدي أمام هذا العدوان، ولدى صنعاء أوراق هامة ستؤلم العدو كثيراً في حال قامت بتحريكها. وهناك خيارات اقتصادية وعسكرية قوية، إذا استمرت واشنطن في التصعيد ضد اليمن، وستتسع رقعة المواجهة أكثر إذا تورط عُملاء الولايات المتحدة ومن خلفها الكيان الصهيوني في هذا العدوان، حينها سيخوض اليمن المواجهة ببنك أهداف قد يكون إقليمياً، وسيضرب آبار النفط والغاز الممولة لأمريكا والكيان الصهيوني، وقد تشمل الأهداف مناطق اقتصادية استراتيجية في السعودية أو الإمارات، أو المصالح الأمريكية في المنطقة بأكملها، بخلاف الورقة الهامة التي تمتلكها اليمن والمتمثلة بـ»باب المندب» والممر المائي وخصوصاً بعد فرض القوات المسلحة اليمنية السيطرة النارية الكاملة على البحر الأحمر ويحر العرب وخليج عدن، وأجزاء من المحيط الهندي والبحر المتوسط، ونجاحها في تطوير قدراتها العسكرية.

• خلاصة القول، كل مساعي الأمريكان وأدواتهم في المنطقة، ضد اليمن، سيكون مصيرها الفشل، ولن تحقق أي نتائج إيجابية لصالحهم، وكما ذكرنا آنفاً فإن القيادة في صنعاء تمتلك الكثير من وسائل وأوراق الضغط والرد على تصعيد الحرب الاقتصادية. والخطاب الذي سبق أيام عيد الأضحى المبارك لقائد الثورة السيد عبد الملك بدر الدين الحوثي، يحوي الكثير من الرسائل بخصوص الحرب الاقتصادية، وفيه من الوضوح والتحذير ما يجعل دول العدوان ومرتزقتهم يعيدون حساباتهم ألف مرة، ويأخذون تحذيرات سيد الثورة بكل جدية.

قراءة في
أهداف التحالف الأمريكي الصهيوني ودوافعه
في حرب الستة أيام
في ضوء نتائجها الجيوسياسة

حمدي عبد العزيز ـ كاتب من مصر

أيقنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها لا تستطيع الاستقرار على قمة المركز الرأسمالي العالمي إلا بامتلاك الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط وفي القلب منها المنطقة العربية التي كانت كلمة السر ومسرح الصراع الاستعماري الأوروبي والمنطقة المحورية لاقتسام النفوذ منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية بما تمثله السيطرة على هذه المنطقة الجغرافية التي تتوسط العالم من هيمنة على مصادر الطاقة وعلى النقاط المرورية المحورية لطرق التجارة العالمية بين شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه بما تملكه هذه المنطقة من مرافئ ومضايق تتحكم في الشرايين المرورية البحرية التي تصل بين محيطات العالم وبحاره وخلجانه إضافة إلى قناة السويس وما تشكله من قيمة استراتيجية حيوية لكل اللوجستيات ترتبط بالمصالح الاقتصادية والجيوسياسية لدول العالم .

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية وهي تتأهب لاستلام الميراث الاستعماري الأوربي في منطقتنا العربية تفاجأت بتصاعد قوى التحرر الوطني وتعمق نزعات الاستقلال لدى شعوب بلدان هذه المنطقة، كان لابد لها أن تدرك أن الهيمنة على هذه المنطقة لابد لها من مواجهة نهوض حركات التحرر الوطني ونزعات الاستقلال التي تتقدمها رايات القومية العربية في ذلك الوقت مواجهة تقتضي امتلاك القدرة المتجددة على إعادة هندسة أوضاعها وترتيبها وفقاً لمصالح الإمبريالية في مرحلة زعامتها الأمريكية، عبر استراتيجية تتضمن مسارين متزامنين متوازيين يتمثلان في:

1. تبني الكيان الصهيوني واحتضانه، والبناء على المشروع الاستعماري الأوربي بزرع هذا الكيان في منتصف المنطقة العربية والذي أراد أن يؤسس لحاجز منيع يبنيه الغرب الأوربي ضد أي ظهور لقوي جيوسياسية في الشرق وخاصة في ظل اشتداد الحاجة الوظيفية الجيوسياسية إليه بعد نجاح الثورة السوفيتية وظهور ما سمي بتهديد الاجتياح الشيوعي لأوروبا، ولا أدل على ذلك من صدور وعد بلفور تزامناً مع نجاح الثورة البلشفية في نوفمبر ، ولذلك حرصت الولايات المتحدة الأمريكية أن تلقي بثقلها وراء العصابات الصهيونية، وأن تضع على رأس مهام النظام الدولي الجديد الذي تأسس عقب

الحرب العالمية الثانية إقامة دولة عصابات المستوطنين الأوربيين الصهاينة الذين ألقت بهم سفن أوروبا على شواطئ فلسطين، وأن يكون إصدار قرار تقسيم فلسطين في باكورة أعمال منظمة الأمم المتحدة، ثم جمع الاعتراف الدولي بدولة هذا الكيان بمجرد إعلان الزعيم الصهيوني بن جورين عن إعلان ما سُمي بـ(دولة إسرائيل) ثم تقديم السلاح والأموال والدعم السياسي بلا حدود وبشكل غير مسبوق في تاريخ العلاقات الدولية لتصبح دولة العصابات الصهيونية هي منصة الانطلاق الأمريكي لاستراتيجيات الهيمنة على المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط ولتلعب الدور الوظيفي التاريخي في حماية المصالح الأمريكية وتحقيقها في أخطر منطقة للمناورات في العالم وأهمها.

2. ضرب أية محاولة لتوحيد إرادة شعوب المنطقة في اتجاه أية محاولة للنهوض والتحديث في إطار مشروع تحرري تمثلت وقتها ملامح قيادته في تيار القومية العربية الذي هدد العروش والأنظمة العربية التي درجت على الولاء للمركز الرأسمالي الاستعماري سواء حين كانت تتنافس على زعامته بريطانيا وفرنسا أو حين تبوّأت الولايات المتحدة الأمريكية مركز القيادة والزعامة فيه في الوقت نفسه الذي انتقلت بالتبعية إليها ولاءات الهيمنات الطبقية والقبلية المحلية التي تمثلها هذه الأنظمة سياسياً وتجسد مصالحها المرتبطة برأس المال الأجنبي ارتباط التبعية الهيكلية التي جري بنائها وتجذيرها طوال حقبة الاستعمار الكولونيالي، ومن هنا كانت استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الشأن هو الحفاظ على ولاء هذه الأنظمة والعروش ودعمها ومساندتها وتحصينها ضد السقوط كأولوية من أولويات السياسة الأمريكية في المنطقة استلزمت إسقاط تيار القومية العربية.

وفي ضوء ما سبق ينبغي فهم العدوان الصهيوني وقراءته على الجبهات العربية الثلاث مصر والأردن وسوريا إضافة للأراضي الفلسطينية خارج خطوط 1948، وذلك في الخامس من يونيو 1967 والآثار المترتبة على الهزيمة التي ألحقها جيش العصابات الصهيونية كذراع أمريكية كانت ترى في هذا الوقت إعادة هندسة وترتيب منطقة الشرق الأوسط مع بروز مرحلة الحرب الباردة في اتجاهان عبر عنهما كاتبان من الكتاب المنخرطين في العقل المؤسسي للولايات المتحدة الأمريكية: فالكاتب الأمريكي مايكل ماندلباوم على سبيل المثال يكتب عن حرب الستة أيام: «كانت النتيجة الرئيسة لحرب يونيو 67 هي تحقيق التفوق العسكري الإسرائيلي الذي ما يزال يمثل أحد الأصول الاستراتيجية الأساسية لواشنطن». ويتحدث جاري لارون في كتابه حرب الأيام الستة عن هدف أمريكي ضرب مجموعة من العصافير بضربة واحدة: أولها: الهدف الذي تحدث عنه مايكل ماندلباوم وهو ضمان التفوق العسكري نهائياً لدولة العصابات الصهيونية، وتدشين الحقائق الجيوسياسية الجديدة المترتبة على ذلك بتحويل دولة عصابات المستوطنين من دويلة مهددة بعدم الاستمرار إلى قوة إقليمية جديدة تمثل قوتها المترتبة على انتصارها في حرب الستة أيام رقماً صعباً ومنيعاً في حسابات القوى التي أعادت حرب الستة أيام هندستها لصالح ربيبة الولايات المتحدة الأمريكية أو لنقل بشكل أدق هندستها لصالح تحقيق الاستراتيجية الأمريكية في مرحلة الحرب الباردة توطئة للانتقال إلى أقرب موضع تستطيع فيه أمريكا ضرب الاتحاد السوفيتي حيث امتداد الوضع الجيوسياسي الجديد إلى التأسيس لمرحلة الحرب الأفغانية التي كانت لأوضاع الشرق الأوسط والدول العربية ما بعد حرب الأيام الستة الدور الأكبر في الإعداد لها بعد هزيمة مشروع التحرر الوطني العربي ترتيباً على هزيمة يونيو واحتواء الانتصار العسكري المصري المحدود في معركة أكتوبر 1973 التي أدير توظيفها السياسي المحلي والشرق اوسطي كما لو كانت تعميقاً لآثار هزيمة حرب الأيام الستة وتشييداً لما ترتب عليها وهذا أمر لا يتسع المجال هنا للخوض في تفاصيل سياقاته وطريقة إدارتها بحيث تؤدي إلى هذه النتيجة التي تبدو لأول مرة أنها عكس السياق المنطقي للأحداث، وثانيهما: ضمان استمرار أنظمة التبعية العربية بإنزال الهزيمة بالمشروع الناصري الذي كان قد صعد لقيادة حركة التحرر الوطني العربية كزعيم لتيار القومية العربية، والعمل على إحلال مشروع الإسلام السياسي الذي كان مطلوباً لاستباق الصعود المنطقي للتيار التقدمي العربي وقيادة مرحلة جديدة للتحرر الوطني تؤسس لانفضاض التبعية للمراكز الاستعمارية الرأسمالية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ومن ثم لاستقلال ونهوض حقيقيان لشعوب المنطقة وهو ما تم ضربه بالفعل عبر إطلاق مشروع الإسلام السياسي عقب هزيمة يونيو 67.

وهذا ما يتضح جلياً في كتاب الكاتب الأمريكي جاري لارون في كتابه (حرب الأيام الستة) وتحديداً تلك الفقرة التي أوردها والتي تقول: «إن حرب الأيام الستة قد زرعت بذور سقوط القومية العربية وزرعت بذور نمو التطرف الإسلامي».

وبغض النظر هنا عن أن هناك أخطاء فادحة وقع فيها النظام الناصري الوطني المصري الذي كان يقود لواء حركة التحرر الوطني العربية حينذاك في إدارة الصراع سواء في الأيام التي سبقت حرب الأيام الستة وأهمها الوقوع في المصيدة الأمريكية الصهيونية وعدم التقدير الصحيح للتوازنات الدولية والإقليمية والاعتقاد بأن موازين القوي الدولية التي أجهضت الأهداف الأساسية للعدوان الثلاثي هي ذاتها ماتزال قائمة بالحسابات نفسها، وستلعب الدور نفسه الذي لعبته في مساعدة مصر على الانتصار لسبب في غاية البساطة وهي أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد حسمت تناقضات المركز الرأسمالي حتى أتت لحظة حرب الأيام الستة وأمريكا قد حسمت الإرث الاستعماري لصالحها تماماً وأصبحت إنجلترا وفرنسا في وضعية الدول التي تقع تحت المظلة الأمريكية وأصبحت دولة العصابات الصهيونية الربيبة المعتمدة لدى أمريكا ورأس الحربة الأساسية في استراتيجيتها الشرق أوسطية جعلت أمن هذه الدولة جزءاً أساسياً لا يتجزأ من الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية فكان طبيعياً أن تجعلها ترسانة الأسلحة المتطورة الحديثة في المنطقة في حين أن الجيوش المصرية والعربية في ذلك الوقت كانت تعاني من أوضاع غير مواتية سواء من حيث التنظيم أو التسلح فضلاً عن كون قياداتها كانت تفتقد إلي ابسط معايير الاحترافية العسكرية مما أدى إلي تكبد خسائر فادحة في أرواح الآلاف من الجنود وتدمر أسلحة كاملة، لا يمكن لأحد أن ينكر أن الولايات المتحدة الأمريكية قد حققت مجموعة من الأهداف الاستراتيجية وضربت الكثير من العصافير بحجر واحد على نحو ساعدها على إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط في ستة أيام فقط، وهكذا كما يقول جاري لارون (أعاد أسبوع واحد مصيري في يونيو/حزيران 1967 رسم خريطة الشرق الأوسط).

هزيمة حزيران في ظل معركة الطوفان
النظام العربي يموّه هزيمته
والمقاومة تعيد الصراع لجذره

وسام رفيدي ـ كاتب سياسي من فلسطين

مغرية المقاربة بين حدثين مفصليين في التاريخ العربي والفلسطيني المعاصر، فمن جهة سقطت كامل فلسطين في أيدي العدو الصهيوني، باستكمال احتلالها في5 حزيران من العام 1967، ومن جهة ثانية تستمر معركة الطوفان في شهرها التاسع، في إحداث تغييرات جذرية ليس فقط على مستوى فلسطين، بل وعلى مستوى المنطقة العربية والإقليم. حزيران هذا العام يحتضن تلك المقاربة.

كان لافتاً أن مصطلحاً وشعاراً ميزا الخطاب العربي للنظام السياسي العربي المهزوم في 5 حزيران. أما المصطلح الذي انتشر فهو تصوير ما جرى بأنه (نكسة)، فانتشرت تسمية (نكسة حزيران)، وكان الراحل الألمعي في سخريته السياسية والمجتمعية محمد الماغوط قد سخر من هذا المصطلح على لسان المختار ممثل النظام المهزوم في مسرحية ضيعة تشرين، حين اعتبر المختار ما جرى بأنه (نكسة، فكشة).

أما الأشهر فكان (إزالة آثار العدوان)، فكان من اللافت أن أنظمة انتُهكت سيادتها باحتلال أراضيها في 6 أيام، واستكمال المشروع الصهيوني باغتصاب كامل فلسطين، وإلحاق الهزيمة المدوية بجيوشها، كل ذلك يجري التعبير عنه بأنه (عدوان) ينبغي (إزالة آثاره)، وبأن الهدف مجرد إزالة الآثار!!!!.

كان واضحاً أن الأنظمة المهزومة، وقد تجرعت هزيمتها، تسعى لتمويه تلك الهزيمة، وإهالة التراب على جوهر ما جرى باستخدام ذاك المصطلح وذلك الشعار.

بهذا المصطلح وذاك الشعار تكون الأنظمة قد استعاضت عن (تحرير فلسطين) بالحديث عن (إزالة آثار العدوان)، وانسجاماً مع ذات توجه الأنظمة الرسمي اندفعت القيادة اليمينية في منظمة التحرير لهرولة سياسية بدأت منذ العام 1974 بالحديث عن (سلطة وطنية) مروراً بالحل المرحلي، أي دولة على حدود العام 1967، وصولاً لدولتين لشعبين، بما يتضمنه من إقرار واعتراف شرعي بالمشروع الصهيوني في فلسطين.

لم يكن الموقف العربي الرسمي بمعزل عن كل السلوك السياسي للنظام ذاته طوال عشرين عاماً منذ نكبة العام 1948، فالعجز، حد الخيانة والتواطؤ، الذي ميّز سلوك هذا النظام في العام 1948، لا بد يعبر عن نفسه بموقف وشعار يموّه الهزيمة ولا يجلّيها. وللتاريخ، فإن موقف الرئيس الراحل عبد الناصر هو المميز في ذلك الوقت حين تحمل مسؤولية الهزيمة بإعلان استقالته التي رفضتها الجماهير بصوت مدوّي، ليشرع بعدها بإعادة بناء الجيش المصري المهزوم لتبدأ حرب الاستنزاف.

كانت الاتفاقيات السياسية مع العدو لاحقاً التعبير الأبرز عن شعار (إزالة آثار العدوان)، مع أن الاتفاقيات لم تضمن (إزالة للآثار)، بل قيّدت السيادة العربية، وفتحت الباب للتطبيع على مصراعيه باتفاقيات جديدة في إطار التطبيع ذاته. (أُزيلت) آثار العدوان من جهة، إزالة منقوصة، وفُتحت مقابلها أبواب التطبيع، وهو الهدف الصهيوني الأسمى المتمثل باختراق مجمل الوطن العربي، بتحويل المشروع الصهيوني الاستعماري في فلسطين، لدولة طبيعية وجزء من الجغرافيا السياسية، وتقيم علاقتها على قاعدة هذا الوجود الطبيعي.

كان الانحدار من شعار تحرير فلسطين، الذي رفعته الأنظمة الرجعية طوال عشرين عاماً بين العامين 1948ـ1967 رغبة في الالتفاف على المطلب الشعبي العربي بالتحرير واحتواءً له، كان هذا الانحدار وصولاً لشعار (إزالة آثار العدوان)، واعتبار الهزيمة مجرد (نكسة)، محاولة للتنصل من المسؤولية عن تحمل الهزيمة، بعدم التطرق لها كهزيمة، لا بل التقليل من أهميتها أصلاً.

ولكن حركة شعبنا الفلسطيني ردت على هزيمة الأنظمة الرسمية وقيادة منظمة التحرير في المرتين، مرة في العام 1967 بنشوء حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة كبديل لكل سلوك الأنظمة، وكنهج سياسي بديل لنهج الهزيمة والعجز، ومرة بقرار العبور في 7 أكتوبر والشروع بمعركة الطوفان كرد موضوعي على نهج قيادة المنظمة الغارق في تنازلاته المجانية، على قاعدة التعاون مع العدو.

في ذكرى استكمال اغتصاب كامل فلسطين، كذكرى للعجز والخيانات الرسمية العربية، تنتصب المقاومة في القطاع، بدخولها شهرها التاسع، بشموخ المتحدي والصامد والمحقق لإنجازات باتت معلماً من معالم حركة التحرر العالمية، بعدما حوّلت قيادة أوسلو، وهي ذاتها قيادة المنظمة، القضية الوطنية الفلسطينية لقضية علاقات تعاون مع المستعمِر. إن عداء قيادة أوسلو والمقاومة، وفي العلاقة مع المستعمِر، يذكّرنا بعلاقة نظام جنوب فيتنام مع المستعمر الأمريكي، وعلاقة الحركيون الجزائريون الذين قاتلوا مع الجيش الفرنسي ضد الثورة وجبهة التحرير الوطني، وكذا دور وعلاقة ميليشيا سعد حداد في الجنوب اللبناني مع الاحتلال الصهيوني.

كانت وما زالت معركة الطوفان منذ 7 أكتوبر نهجاً للقطيعة مع النهج المهيمن لقيادة وسلطة أوسلو، لذلك يغدو من الطبيعي أن تناصب تلك القيادة المقاومة ومعركة الطوفان العداء وتشن عليها حملة التحريض.

فعلى المستوى السياسي وضعت معركة الطوفان الحد لنهج التفاوض مع عدو لا يبغي سوى إبادة شعبنا، فأعادت المعركة القضية الوطنية لجذرها الأول كقضية تحرر وطني من الاستعمار الصهيوني الاستيطاني الترحيلي الإحلالي، لتحرير فلسطين بديلاً لنهج بائس ظل طوال أكثر من ثلاثة عقود يطارد وهماً أسماه حل الدولتين فما تحصّل

سوى النبذ والمحاصرة وقضم الأراضي وتوسيع المستوطنات وفقدان أية شرعية مزعومة له ولقيادته.

كما نجحت معركة الطوفان وعلى المستوى العالمي لإعادة القضية الوطنية لجدول الأعمال الدولي، ولتطلق انتفاضة شبابية وطلابية عالمية دعما لفلسطين والمقاومة، بعدما أشاعت اتفاقيات أوسلو الوهم بانتهاء القضية الوطنية وتحويلها لبضعة قضايا معلّقة للتفاوض، الذي يرفضه الصهاينة، بدلاً من كونها قضية تحرر وطني.

وعلى المستوى القيمي الثقافي كانت معركة الطوفان وما زالت مدخلاً لتأكيد أهمية نهج المقاومة، بديلاً لاستدخال الهزيمة والشعور بالدونية الذي روّجت له قيادة أوسلو، وعنوانه قوة إسرائيل المهولة التي لا تقهر، ويصعب هزيمتها..... إلخ، فجاءت المعركة لتقول: يمكن هزيمة العدو لا بل يمكن تمريغ سمعة جيشه في وحل القطاع، كما في وحل لبنان، فاندحرت على نطاق واسع ثقافة المهزوم لتحل محلها ثقافة المقاوم الذي يرسخ ثقافته بالتضحية والدم.

أما المتغير الأبرز على المستوى الثقافي فهو اندحار الرواية الصهيونية على نطاق واسع وانتصار الرواية الفلسطينية على نطاق واسع أيضاً، وتلك قضية سيكون لها تأثير كبير في مستوى ثقافي وسياسي ونضالي على طريق التحرير. لقد حررت معركة الطوفان عقول عشرات الملايين حول العالم من خرافات (أرض الميعاد وشعب الله المختار واللاسامية)، وعززت مكانها الحق الفلسطيني بالحرية والتحرر.

هزيمة 5 حزيران بما تمثله من عجز وتواطؤ النظام الرسمي العربي، (وضعية) تختلف تماماً عن (وضعية) معركة الطوفان، فهذه بديلاً لتلك ونقيضها بما نقضته ونقدته.

معركة الطوفان تبشر بمرحلة بدأنا بولوجها، ليس على مستوى فلسطين فحسب، بل على مستوى المنطقة والإقليم، بتشكل محور المقاومة في مواجهة محور النظام الرسمي العربي، المرتهن للإمبريالية والكيان الصهيوني، لذلك كانت معركة الطوفان على أعتاب شهرها التاسع البديل الفعلي، السياسي والثقافي والقيمي، لهزيمة حزيران من العام 1967، البديل لنهج العجز وترسيخ نهج المقاومة للتحرير والعودة.

عندما تصمد مقاومة غزة تتألق جبهات المساندة

رضي الموسوي ـ كاتب صحفي من البحرين

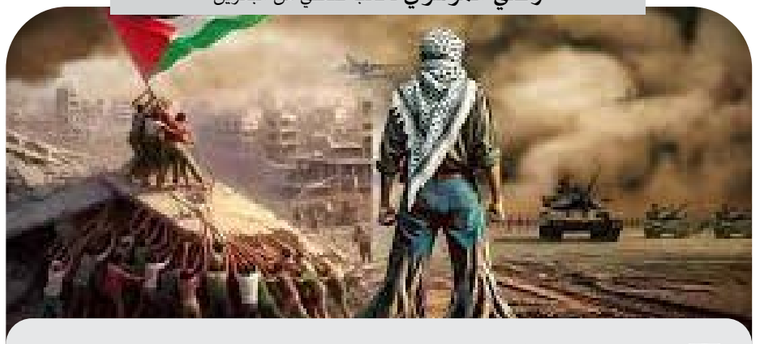

بعد قرابة تسعة أشهر من الصمود، تمكنت المقاومة الفلسطينية وفصائلها المسلحة من قطع الطريق، حتى الآن، على المخططات الشيطانية التي صيغت في الغرف المغلقة للحكومة الفاشية في تل أبيب والبيت الأبيض وحلف شمال الأطلسي، والقاضية بتدمير غزة وتهجير أبنائها والسطو على ثروة الغاز المحتملة في بحرها، كما عطلت تشييد طرق جديدة للتجارة والملاحة البحرية بديلاً عن الحزام والطريق الصيني، الذي تعتبره واشنطن تهديداً لسيطرتها على العالم.

فلم يتوقع أكثر المتفائلين أن تصمد المقاومة الفلسطينية أمام حرب الإبادة الجماعية في غزة هذا الزمن كله في وجه أعتى قوة تدميرية في الشرق الأوسط مدعومة دعماً مطلقاً من أقوى قوة في العالم، الولايات المتحدة ومن ورائها بريطانيا وفرنسا وألمانيا وحلف الناتو. هذا الصمود الأسطوري، وعلى الرغم من آلام التضحيات الجسام، حيث يقترب عدد الشهداء من أربعين ألفا وآلاف المفقودين تحت الأنقاض وقرابة مائة ألف من الجرحى والمصابين فضلاً عن مئات آلاف النازحين، فهو يُذكّر بصمود المقاومة الفيتنامية في وجه الجيش الأمريكي بكل تشكيلاته ومن ثم هزيمته شر هزيمة رغم استخدام أمريكا كل وسائل التدمير والقتل بما فيها قاذفات بي 52 الرهيبة وكل ما كانت في حوزة البنتاغون من وسائل الدمار الشامل التي لم تُبقِ في المدن عوداً واقفاً في فيتنام وريفها إلا ودمرته، تجسيداً لعقيدة الإبادة التي تستخدمها في حروبها ضد الآخرين.

هذا الصمود فرض معادلات جديدة، ليس في فلسطين المحتلة فحسب، بل في كل العالم الذي يتابع طوفان الأقصى وتبعاته، فشكّل تحولاً كبيراً لدى الرأي العام العالمي تجاه القضية الفلسطينية وأعادها للوهج الذي تستحقه بعد أن تراجعت وكادت أن تتوارى خلف القضايا الإقليمية والدولية الكثيرة، بل إن السردية الفلسطينية ترسخت أكثر وبدأ العالم يدرك حقيقة وحشية الاحتلال ونازيته، وأصبحت الحرب على غزة عنواناً داخلياً في الانتخابات والمنافسات بين أحزاب العديد من الدول بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا. هذا الوضع فرض نفسه على الإقليم أيضاً، فتشكلت جبهات المساندة بدءاً من لبنان، حيث أعلنت المقاومة منذ اليوم الأول وقوفها إلى جانب الطوفان ودعماً لقطاع غزة ومقاومتها فنفذت عمليات مدروسة أوجعت العدو ولا تزال تفعل فعلتها، وهكذا أقدمت جبهتا المساندة في اليمن والعراق بفعل مماثل وإن كان أقل.

شكلت جبهات المساندة استنزافاً حقيقياً لجيش الاحتلال الصهيوني، وكانت جبهة الجنوب اللبناني الأكثر حساسية لوجودها على الحدود المباشرة مع شمال فلسطين المحتلة والأكثر تأثيراً من الناحية الجيوسياسية، فضلاً عن الإرث الذي تركته العقود الخمسة الماضية، وخصوصاً احتلال الشريط الحدودي في الجنوب اللبناني في مارس/آذار1978 والغزو الصهيوني للبنان في يونيو/حزيران 1982 وخروج مقاتلي الثورة الفلسطينية من بيروت بعد شهرين ومن ثم تنفيذ جريمة مجازر صبرا وشاتيلا في سبتمبر/أيلول من العام نفسه. إن ذاكرة الجنوبيين تستحضر امتزاج الدم الفلسطيني مع الدم اللبناني في مواجهة الاحتلال الصهيوني، وكان من الطبيعي أن تهبّ المقاومة اللبنانية لنصرة غزة ودعمها، ذلك أن الساحات واحدة والهدف واحد يتمثل في كسر شوكة الاحتلال ومواجهته وتعبيد الطريق لوحدة ميدانية بين ساحات المواجهة وخصوصاً الساحة اللبنانية، ما جعل البيت الأبيض يخطط لضربها عبر وسائل عدة أبرزها التهديدات التي ينقلها المسؤولون الأمريكان كلما اشتد وطيس الحرب في غزة، وكلما تألم وصرخ الصهاينة من الفعالية الكبيرة لجبهة الإسناد اللبنانية، التي تمكنت من فرض عملية نزوح جماعية من مستوطنات الشمال الفلسطيني، ولأول مرة، لما يزيد عن 100 ألف مستوطن تركوا مزارعهم ومؤسساتهم السياحية والصناعية خوفاً من صواريخ المقاومة ومُسيّراتِها.

هُدهُد المقاومة

في خضم هذا الصراع المحتدم، تم الإعلان منتصف يونيو/حزيران الماضي عن ما جاء به «هدهد» المقاومة اللبنانية الذي قلب الموازين المعلوماتية بمفاجآته التي ما تزال مفاعيلها تعتمل داخل الكيان وحكومته، خصوصاً بعد أن بثت المقاومة تصويراً سينمائياً واضحاً لمناطق في فلسطين المحتلة شملت مدينة حيفا وعنونته بـ»ما جاء به الهدهد»، ولفتت إلى أنه الحلقة الأولى، وأن هناك مدناً أخرى قبل وبعد حيفا وبعد بعد حيفا التقطه الهدهد المقاوم. كانت تفاصيل ما بثته المقاومة من صور متلفزة تعبر عن مؤشرات جدية بأنها تمتلك كنزاً معلوماتياً في بنك أهدافها، بدءاً من المستوطنات القابعة على صدر شمال فلسطين وصولاً إلى ميناء حيفا والقواعد العسكرية والتجمعات السكانية والمجمعات التجارية. ويمكن فهم ما بثته المقاومة أنها قادرة على ضرب ثلاثة مرتكزات يقوم عليها الكيان: الأول المنشآت العسكرية متمثلة في القواعد العسكرية البحرية والجوية ومواقع نصب مضادات الصواريخ مثل مقلاع داوود والقبة الحديدية، فخر الصناعة الصهيونية والتي عطلت المقاومة مفعول العديد منها أكثر من مرة، ومصانع الأسلحة المنتشرة في الجغرافيا التي رصدها الهدهد. المرتكز الثاني هو البنى التحتية مثل ميناء حيفا ومطارها وخزانات النفط ومحطات الكهرباء والماء ومصنع البتروكيماويات التي تستخدم في الصناعات العسكرية والمدنية. أما المرتكز الثالث فهو التجمعات السكانية المدنية ومنها تجمع كيربوت الذي يضم أكثر من 260 ألف نسمة والتجمعات التجارية الكبرى.

كان للإعلان عن امتلاك المقاومة اللبنانية بنك أهداف بهذا الحجم الكبير من المواقع العسكرية والمدنية وقعه الإيجابي المدوي على جمهور المقاومة في كل العالم العربي والإسلامي والدولي، من حيث تعزيز المعنويات وزيادة الثقة بالمقاومة وقدرتها على التصدي للمخططات الصهيوأمريكية، ما زاد من منسوب التفاؤل عند هذا الجمهور الداعم لغزة ومقاومتها وجبهات إسنادها، وفي ذات الوقت أصاب المتصهينين والداعمين للكيان في المنطقة بحيرة الخطوة التالية، خصوصاً وأن الفيلم قد وعد بكشف المزيد من المعلومات والأهداف، مؤكدًا أن لديه القدرة والإمكانية، وأن «الطير صافات»، تفرش أجنحتها على الجغرافيا الفلسطينية من النهر إلى البحر فتخبط لتنقضّ على أهدافها المرصودة.

تخبط حكومة الكيان وجيشه

بعد الإعلان عن ما جاء به الهدهد، سارع جيش الاحتلال إلى الادعاء بأنه رصد الطائرة المسيرة التي كانت تحلق في سماء فلسطين، لكنه لم يسقطها «خوفاً على المدنيين والمنشآت في ميناء حيفا»، وفق بيانه، لكنه لم يقل للجمهور الصهيوني لماذا لم يسقطها وهي عائدة محملة بهذا الكم من المعلومات. هذا التبرير تحول إلى مادة تهكمية ومحل تندّر على مواقع التواصل الاجتماعي الصهيونية، التي اتهمت أغلبها جيش الاحتلال بالكذب والتسويغ وقلب الحقائق.

ولأن حدث الهدهد خطير، فقد تفاقمت الخلافات بين أركان الحكومة الفاشية لتصل إلى اتهامات عناصرها بعضهم البعض بتسريب المناقشات والمعلومات، وبلغت أوجها بتصريح مثير لرئيس وزرائها بنيامين نتنياهو طالب فيه بخضوع إيتمار بن غفير وزير الأمن لكشف جهاز الكذب. ونقلت إذاعة جيش الاحتلال تصريحا آخر نسب إليه يؤكد فيه هذا الخلاف: «من يريد الشراكة بهيئة تشاور عليه إثبات عدم تسريبه أسرار الدولة»، يعني بن غفير الذي جاء رده سريعاً بأنه يقبل بتشريع قانون جهاز كشف الكذب على أن يشمل نتنياهو. تتواصل حفلة الزار المجنونة والردح بين الطرفين فيدخل حزبهما على الخط، ويصدر حزب «القوة اليهودية» الذي يترأسه بن غفير، بياناً يطالب فيه بإخضاع نتنياهو لجهاز كشف الكذب، فسارع حزب الليكود الذي يتزعمه نتنياهو واتهم بن غفير بتسريب مناقشات مغلقة وتسجيل محادثات شخصية فيها، بينما أكدت كتلة «معسكر الدولة» التي يتزعمها غانتس أن «الوزير المتهم بتسريب أسرار الدولة يجب ألا يمنح السيطرة على الشرطة». أما زعيم المعارضة يائير لابيد فأراد صب الزيت على نار الخلاف المحتدم بين طرفي الائتلاف الحكومي فأكد أنه سمع ما قاله نتنياهو عن بن غفير وما قاله الأخير عن نتنياهو وأعلن أنه يتفق مع الإثنين.. أي أنهما يكذبان.

مشكلة الكذب المستشرية في صفوف المسؤولين الصهاينة ليست جديدة، فقد سبق وأن ناقش الكنيست قبل أشهر مشروع قانون يفرض على أعضاء لجنة الخارجية والأمن الخضوع لجهاز كشف الكذب. هذه المعطيات تؤكد القاعدة بأن الصهاينة يكذبون أكثر مما يتنفسون، وهم يعرفون أنهم يكذبون على بعضهم البعض حيث تفعل الخلافات فعلها في تفتيت الجبهة الداخلية، ما قاد نتنياهو المأزوم أصلاً إلى مطالبة جميع شركاء الائتلاف «بضبط النفس» باعتبار أن الكيان «في حالة حرب مع عدة جبهات».

لكن حرب الإبادة في غزة كشفت مدى هشاشة الكيان ومؤسسته العسكرية التي هي «قدس الأقداس» بالنسبة إلى الدولة العبرية باعتبارها الدولة الوحيدة في العالم التي ينشئ الجيش المكون من العصابات دولة. جيش غرق في وحل غزة ورمالها بسبب صمود المقاومة وتوريطه في مآزق وتطيير مخططاته في سحق المقاومة وتهجير أبناء القطاع، حيث زادت عمليات المقاومة نوعية وعدداً فتضاعف قتلى الجيش الصهيوني رغم التكتم وبلغ عدد معاقيه أكثر من 8600 معوق، وفق المؤسسة المختصة برعاية شؤونهم في الكيان، فكم جريح وكم عدد الذين تمت تصفيتهم من الضباط والجنود على أيدي المقاومة الفلسطينية واللبنانية؟

هذا العدد الكبير من قتلى الجيش وجرحاه ومعوقيه زاد من منسوب التوتر بين المؤسسة العسكرية والحكومة الفاشية، واضطر المتحدث باسم جيش الاحتلال دانيال هاغاري الكشف عن الخلاف بين المؤسستين العسكرية والسياسية، فأكد في لقاء متلفز في 18 يونيو/حزيران «الاعتقاد أن القدرة على تدمير حركة حماس وإخفائها هو ذر للرماد في عيون الإسرائيليين». وأوضح في مقابلة مع القناة «13» الصهيونية «نحن ندفع ثمناً باهظاً في الحرب، لكننا لا يمكن أن نبقى صامتين ونقوم بكل ما نستطيع به»، ولفت إلى صعوبة الوصول إلى زعيم حركة حماس في غزة.

لقد تمكنت المقاومة الفلسطينية وفصائلها المقاتلة في غزة والضفة الغربية من تحقيق اختراقات كبيرة خلخلت مؤسسات الكيان العسكرية والمدنية، ما أعطى جبهات المساندة مناخات إيجابية للقيام بدورها في إسناد صمود غزة وأهلها وخلق معطيات جديدة تبشر بتغيير المعادلات والنصر الحتمي على الاحتلال الغاشم.

الصراع على أوروبا
بين اليمين التقليدي واليمين المتطرّف

محمد صوان - كاتب سياسي فلسطيني - تركيا

أظهرت النتائج النهائية للانتخابات الأخيرة للبرلمان الأوروبي احتفاظ كتلة اليمين التقليدي بالصدارة وحصد ربع المقاعد، وحل اليمين الشعبوي المتطرف بالمركز الثاني، ومن المرجح أن تؤدي هذه النتائج إلى إحداث عاصفة داخل المؤسسات السياسية الأوروبية. وكانت القراءات المبكرة قد أشارت إلى أداء قوي لأحزاب اليمين الشعبوي المتطرف في أهم بلدان الاتحاد الأوروبي مع وجود قدر كبير من عدم الرضا لدى الناخبين وانتقادات لاذعة للتيارات السياسية السائدة، وسجلت أحزاب اليمين المتطرف الشعبوي زيادة كبيرة في عدد المقاعد بحصولها على المركز الأول في إيطاليا وفرنسا والثاني في ألمانيا وهولندا.

وفي أول ردة فعل قال الرئيس الفرنسي ماكرون في خطابه للأمة: «قررت أن أعطيكم خيار مستقبلنا البرلماني مرة أخرى عبر التصويت»، معتبراً أن النتائج «ليست جيدة للأحزاب التي تريد أوروبا الأمم» وأن «صعود اليمين المتطرف يشكّل خطراً على أوروبا عامة وفرنسا خاصة».

تبدو إنكلترا البلد الأوروبي الوحيد الذي يشهد تراجعاً لشعبية قوى اليمين المتطرف، ويأتي هذا الستاتيكو بعد نحو عقدين، قاد فيها المحافظون دفة الحكم، واحتفل خلالها صقورهم الشعبيون بطلاق بريكست -الانسحاب من الاتحاد الأوروبي- إذ تفيد استطلاعات الرأي ومؤشرات نتائج الانتخابات العامة التكميلية والمحلية بأنهم يسيرون نحو خسارة الانتخابات العامة المبكرة، لكن صقور اليمين عموماً ينشدون الاستفادة من الميول القومية سياسياً والمحافظة اجتماعياً في القارة الأوروبية واستغلال النزعة اليمينية الشعبوية المتنامية في شرق أوروبا وغربها.

تجتهد فرضيات في الأوساط الأكاديمية وزميلاتها الصحافية بشأن بدايات نمو النزعة اليمينية الشعبوية وأسبابها. ويتحدث بعضهم عن موجات الهجرة خلال العقود الثلاثة المنصرمة، وهناك من يحيلها إلى الرئيس الأمريكي السابق ترامب، ويتكلم آخرون عن بريطانيا التي اجترأت على الطلاق مع الاتحاد الأوروبي، يجري أيضاً الحديث عن «جائحة كورونا» وعلو صوت أصحاب نظرية المؤامرة، كما تذهب بعض الآراء إلى توسّع اليسار في بعض الإنجازات الحقوقية التي زعزعت صرح الثوابت القومية الشوفينية المتوارثة خصوصاً قضية «تحوّل النوع الجنسي البشري» مما استفزّ التجمعات والشرائح المجتمعية المحافظة، ربما فرضيات قد تصح مجتمعة لتكوين البداية.

الصعود الشعبوي اليميني المحقق:

ينطوي هذا الصعود بكل الأحوال على معركة واسعة في القارة العجوز والولايات المتحدة لإعادة تشكيل المفاهيم والقراءات الجديدة، بخلاف الأنماط التقليدية للثنائيات السياسية، المهم في معادلة «يمين-يسار» الحالية أنها لا تأتي من التناقضات الاقتصادية الحادة فحسب، حيث يقف المال والعولمة والشركات العملاقة في خلفية الصراع، وسنجد أن الأزمات الاقتصادية حاسمة في تراجع شعبيات التيارات أو تقدمها، إلا أن المضامين الرئيسية تميل إلى نزاعات ذات مفاهيم سياسية ومجتمعية وثقافية، وتبذل راهناً محاولات لتسويغ الأساس الأيديولوجي بهذه التحولات.

وسط هذا الجدل الصاخب، يتطلع صقور المحافظين الجدد لتقديم أنفسهم في جبهة المعركة اليمينية، وفي قلب إعادة الصياغات بحثاً عن صياغة أيديولوجية في مواجهة اليسار.

في شهر أيار الماضي توجهت رئيسة وزراء إيطاليا جورجا ملوني إلى الولايات المتحدة وفي جعبتها مقترحات بشأن قوانين الهجرة العالمية، وأخرجت ما في جعبتها أمام المعهد الأمريكي لأبحاث السياسة العامة A E I ولهذا المعهد ارتباط وثيق بتيار المحافظين الجدد وما يمثلونه من آراء بشأن اليسار والقضايا المالية والديمقراطية والهوية الأمريكية والعلاقات الدولية والبيئية، ذهبت إليهم لتطرب آذان جمهور متعطش لسماع نشيد حول «بعث اليمين الجديد».

ركّزت الوزيرة الإيطالية الأولى حديثها على الدعوة إلى تغيير اتفاقية جنيف الخاصة باللاجئين لعام 1951، بوصفها قديمة وغير صالحة راهناً.

ربما تعتقد أنها تؤسس فكرياً لمرحلة سياسية دولية بشأن «حقوق الإنسان» لكن لا يبدو أن الأمر كذلك فعلاً. لقد أثار خطابها غضب المعارضين واستياء بعض المحافظين، ومن أهم قضاياها مسألة «التعددية الثقافية» في القارة العجوز، واستدلّت ملوني على ما يجري في بعض المدن الأوروبية ملمّحة إلى أحداث فرنسا وألمانيا الناجمة عن موجات الهجرة. وسرعان ما نأى ريشي سوناك رئيس وزراء بريطانيا بنفسه، قائلاً: «إن وجودي رئيساً للوزراء نتاج نجاح التعددية الثقافية» ويشير الواقع إلى وجود انقسام معلن بين اليمين التقليدي واليمين الجديد المتطرف !..

ليس من الحكمة إطلاق مفهوم «يمين جديد» حيث لا تعريف علمي محدد له، فاختلاف الأسباب والمضامين والأهداف وتفاوتها بين شرق أوروبا وغربها، يحول دون بلْورة تعريف مكتمل الأركان، ومجموع اليمينيين الجدد لا يشكّلون حتى الآن قوة سياسية قادرة على الحكم وحدها، غير أنهم يسعون إلى أن يصوغوا ويبلوروا أنفسهم تياراً عابراً للحدود، حتى لو أدى الأمر إلى التماهي أيديولوجياً مع خصمهم «اليمين الروسي» بزعامة بوتين. هذا على ما يبدو أن جورجا ملوني تستهدفه، فمن جهة تسعى ومن خلفها متطرفون يدفعون بها إلى مزيد من السلطة واستعراض نفسها -تحديداً في قمة السبعة الكبار التي عقدت مؤخراً في إيطاليا- بديلاً أوروبياً صاعداً. ومن جهة أخرى تعمل على تقديم برنامج عابر للحدود يلامس القواعد الحقوقية الدولية. ربما لن تنجح لأن خطابها نفسه متهم بـ «رهاب المثلية» وهذا وحده كافٍ لإسقاط أي مسؤول أوروبي، لكن ما تقوله أو تعبّر عنه جورجا ملوني لن يمحى بسهولة لأن وجوده ليس مرتبطاً بها وحدها، إنما بوضع ومخاوف وجملة تطورات قائمة وقادمة.

قضية التعددية الثقافية هي بالفعل أحد العوامل المؤثرة، فليس كل ما تقوله المسؤولة الإيطالية جورجا ملوني خاطئاً. الخطأ في الدوافع والأهداف وفي طريقة توظيفها لتحقيق المكاسب فالتعددية الثقافية، مع نجاحاتها في مستويات معينة تحولت في مستويات أخرى إلى صراع ثقافي أسبابه عديدة، بعضها تتحمل مسؤوليته حكومات لا تمتلك مشروعاً جلياً لإنجاح التعددية داخل الهوية الوطنية والقومية الواحدة، ثم تأتي مشكلة اليمين التقليدي بصورة عامة، الذي يميل إلى التخلي عن كثير مما بيد الدولة لصالح الخصخصة، وذلك منذ «الليبرالية الجديدة» زمن تاتشر وشيراك وبرلسكوني وميركل.. إلخ، فالدولة قوية بوصفها مؤتمنة على تطبيق القانون، وهي ضعيفة من حيث ضعف قدرتها على التحكم بالعناصر الاقتصادية والثقافية. إنها قوية سياسياً وأمنياً، لكنها محكومة بشروط السوق والعولمة المتوحشة، وعموم العناصر غير الحكومية ثقافياً واقتصادياً.. فعلى المستوى الاقتصادي نشرت جامعة كامبريدج دراسة مفصلة عن ضعف الدولة وقوتها في ظل العولمة والاقتصادات المتقدمة للباحثين وليم كولمان ومايكل اتكنسون عام 2009 عرضا فيها تفصيلاً يوضح أن قوة الدولة رهن لما أطلقت عليه الدراسة «نشوء شبكات السياسات» المختلفة لدعم الأساليب البديلة، وعدم الانفصال عن هذه الشبكات بما لا يؤدي إلى فشل السياسات.

دور الدولة المتحول :

هنا بالتحديد المفصل الحاسم في طبيعة علاقة البلدان الأوروبية -في مقدمتها فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا- مع الاقتصاد فضلاً عن الثقافة هي في النهاية دول رأسمالية، ودور الدولة فيها تنظيمي وليس تحكّمياً شمولياً، فكيف يمكن أن تنجح التعددية الثقافية من دون وجود خطة دولة لذلك؟

جورجا ملوني وأمثالها يفكرون بعقلية الحكومات الشرقية في مجتمعات لا يمكن أن تتقبل التحكم السلطوي الكامل بالهوية الثقافية، وربما تعاني هي وغيرها من قصور في ملامسة كنه الرأسمالية وجوهرها، لهذا تتجرأ على قول كلام كالذي قالته في الولايات المتحدة، من دون إدراك أن الفشل هو نتاج عدم مساعدة «شبكة السياسات» متعددة الأطياف على البحث في خلق نجاحات حقيقية، علاوة على هذا لا تتحمل الأنظمة السياسية وشبكة السياسات الفشل وحدها، حيث تلعب الطبقة الاجتماعية والاقتصادية المتجذرة في المجتمع دورها!..

ليس سهلاً على الرجل أو السيدة ممن هاجروا إلى البلدان الأوروبية وهم في عمر العشرينيات أن يصبحوا مثل من ولد هناك، كما ليس سهلاً على طفل لعائلة لم تستطع أن تندمج ثقافياً واجتماعياً أن يندمج كما غيره، أضف إلى ذلك هناك قناعات عدائية قائمة على فكرة أن المجتمعات الغربية هي «مجتمعات كافرة» فهذه لوحدها معضلة لا يمكن الرد عليها عبر إشاعة العنصرية والكراهية ضد المهاجرين واللاجئين !..

يحاول اليمين المتطرف في فرنسا توجيه القوانين ضد ملابس النساء المسلمات استناداً إلى قناعات عدوانية لمحاربة عقائد مختلفة، بمعنى أن اليمين الشعبوي في فرنسا يؤجج لمعركة بدلاً من صناعة حل. تنمو هذه العقائد العدوانية في ظروف عدوانية أسرع من ظروف أخرى بين بلد وآخر ومواجهة مشكلة محددة على نحو مجزأ يسمح للمشكلات الأخرى ذات الصلة بأداء وظيفتها السلبية، على النقيض من فرنسا، لا تتدخل بريطانيا في الخطاب الديني حتى لو كان حاملاً لعقائد مختلفة تجاه أبناء القوميات الأخرى. وعلى الرغم من أن هذا يريح الهويات العصية على التعايش مع الآخرين ويريح الدولة من الانهماك في معالجة التفاصيل الخاصة، ويجسد معضلة تلك الهويات التي تنمو وتتوسع عمودياً وأفقياً إلى أن تصبح عبئاً تجعل مسؤولين سياسيين مثل ريشي سوناك أن يستخدمها لأغراض سياسية، وبالطبع فهو لا يقدم حلاً بل مجرد خطاب لتأجيج الغضب في أوساط متنافرة، مما يؤدي إلى وضع البلاد أمام مواجهة محتملة، هو ستاتيكو لا يبدو أن اليسار لديه رؤية عميقة متكاملة بشأنه اليوم.

عن الاعترافات الأممية وخاصة الأوروبية منها بالدولة الفلسطينية

علي بدوان ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ سورية

نحن أمام مشهدٍ «غربي» جديد، وتغيير واضح في المزاج والمواقف لعموم الشارع الأوروبي وحتى الأمريكي وبدرجاتٍ متفاوتةٍ بين بلدٍ وأخر لصالح الانزياح لمنطق العدالة في فلسطين.

فالمزاج الغربي كان على الدوام الأقرب في تأييد «إسرائيل» بشكلٍ شبه مُطلق، انطلاقاً من رؤية ومصالح ذات بعدٍ استراتيجي، لا مكان للأخلاق فيها.

بدأت الأمور بالتغيّر رويداً رويداً في مختلف الأوساط الأوروبية، رسمياً وشعبياً، منذ انطلاقة الانتفاضة الكبرى الأولى نهاية العام 1987، حين بدأ العالم يتحسس بأن لا حل، ولا أمن، ولا سلام في العالم بأسره من دون إنصاف الشعب الفلسطيني.

فالتحوّلات الدولية الهائلة التي وقعت خلال العقود الثلاثة الماضية، وصمود شعبنا على أرض الوطن، خاصة في ظل حرب الإبادة المستمرة على القطاع، مترافقة مع الفعل السياسي والدبلوماسي الفلسطيني والعربي والصديق في المحافل الدولية، وخاصة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، دَفَعَ لتوليد مواقف أممية مُتقدمة الى جانب فلسطين وشعبها، ولنقرأ ما كتبه (خوسي مانويل ألباريس بوينو) وزير الشؤون الخارجية والاتحاد الأوروبي والتعاون لمملكة إسبانيا، في مقالٍ له نُشِرَ على صفحات العديد من المنابر والصحف الدولية يوم 26 أيار/مايو 2024، حين قال: «ليس بوسعنا المزيد من الانتظار، ففي مايو 1948، وبعد ثلاث سنوات من انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو الذي أفضَى إلى إنشاء الأمم المتحدة، أطلقت هذه المنظمة أولَ عملية لحفظ السلام. الأولى في التاريخ. كان ذلك قبل 76 عاماً وكانت أول مهمة لحفظ السلام تلك في فلسطين. إنَّها أقدمُ مشكلةٍ واجهتها الأمم المتحدة، فكم من المزيد من الوقت علينا أن ننتظر لحلها؟». لذلك «تعترف إسبانيا بالدولة الفلسطينية لأنَّه لا يمكن الحكم على الشعب الفلسطيني بأن يكون شعباً من اللاجئين، ولأنَّ السلام في الشرق الأوسط يتوقَّف على ذلك، على غرار أمن إسرائيل». وأضاف: «للشَّعب الفلسطيني الحقُّ في الأمل. وحرصاً على السلام، تؤيد إسبانيا حلَّ الدولتين، وهو الحل الذي إذا أضحَى لا رجعة فيه، فإنَّه سيجعل السلامَ لا رجعة فيه في المنطقة. ويتمثّل السبيل إلى ذلك في الاعتراف بفلسطين دولةً وعضواً في الأمم المتحدة. ومن أجلِ وضع حدّ لهذه الدوامة من العنف المتكرر في الشرق الأوسط، فإنَّ السبيلَ الوحيدَ هو حلُّ الدولتين، الذي يحظَى باعتراف المجتمع الدولي برمته. وقد آن الأوان لتنفيذه، وهذا ما تفعله إسبانيا. ونتمنَّى أن يصبحَ الحل الذي نتَّفق عليه جميعاً».

وفي هذا المسار، ما كان لعددٍ من الدول الأوروبية وما سيتبعها من دولٍ بالإقدام على الاعتراف بدولة فلسطين، إلاّ بفضل كفاح الشعب الفلسطيني، وتضحياته التي فاقت كل تصوّر، والتي راكمها في مسيرته الوطنية المعاصرة، وتوّجها بصموده وصبره ومثابرته وتحمّله كل الويلات في قطاع غزة، وجعل العالم شعوباً وأنظمة، كله، وحتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخصوصاً الحراك الطلابي المتواصل في عموم جامعاتها، يقف إلى جانب القضية الفلسطينية، متجاوزاً خرافات الرواية الميثولوجية الصهيونية، ومؤكداً على الرواية والسردية الوطنية للشعب الفلسطيني المكلوم منذ نكبته الأولى عام 1948. تلك السردية التي حققت اختراقاً واضحاً على مستوى العالم بعد سنوات طويلة من محاولات طمسها من القوى الغربية المتنفذة في الخريطة العالمية، وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا.

إنَّ قرار إسبانيا والنرويج وإيرلندا وسلوفينيا، وعدد من دول الاتحاد الأوربي على الطريق، في الاعتراف بدولة فلسطين، خطوة هامة ومؤثرة في الاتجاه الصحيح، وذات قيمة أخلاقية، وهذا الاعتراف، ولو كان متأخراً، يتوجب تعزيزه بالعمل الدبلوماسي النشط العربي والفلسطيني والصديق على كل المستويات الأممية.

فالاعتراف الأوروبي بدولة فلسطين، وما سيأتي من اعترافات لاحقة متوقعة من باقي دول الاتحاد، يؤكد للمرة الألف أنَّ قضية فلسطين قضية عادلة لن تبقى داخل الأدراج المغلقة للأمم المتحدة دون إنصاف شعبها. ففلسطين مُحتلة منذ قيام كيان الاحتلال على أنقاض الكيان الوطني والقومي للشعب الفلسطيني بعد تدميره عام 1948 من سلطات الانتداب والعصابات الصهيونية، فقامت تلك الدولة بغفلة من الزمن كدولة طافرة في المنطقة، تحظى بحماية ورعاية القوى الغربية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بشكلٍ خاص، لذللك تُمارس تلك الدولة سياسة الغطرسة والبلطجة، وتمردها المستمر وضربها للشرعية الدولية والقانون الدولي من دون أن تأبه بأي موقفٍ مُندد بسلوكها تاريخياً منذ قيامها.

إن مأثرة صمود شعبنا في فلسطين، وخاصة في أسطورة سفر الكفاح الفلسطيني في غزة العزة، وسيل الدماء التي أريقت، وآلاف الشهداء والألآم والأمهات والثكالى والأرامل والأطفال واليتامى، نَجَحَت في تأكيد الحقوق والمبادئ، وتكريس السردية الوطنية الفلسطينية، التي رفعتها الشعوب في العالم وخاصة الأوروبية، ومنها حركات الطلبة في جامعات الولايات المتحدة، سردية فلسطين من النهر الى البحر، مقابل تهافت سردية الخرافة الميثولوجية الصهيونية التي بنت الحركة الصهيونية مداميكها استناداً إليها.

وفي السياق إياه، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها يوم العاشر من أيار/مايو 2024 قراراً يدعم طلب فلسطين للحصول على عضوية كاملة بالأمم المتحدة، ويوصي مجلس الأمن بإعادة النظر في الطلب بشكلٍ إيجابي. ويمنح القرار فلسطين حقوقاً وامتيازات إضافية تتعلق بمشاركتها بالأمم المتحدة.

وجاء اعتماد الجمعية العامة للأمم المتحدة وبأغلبية أعضائها من دول العالم، قراراً بأحقية فلسطين بالعضوية الكاملة بالأمم المتحدة، وذلك في جلستها يوم العاشر من أيار/مايو 2024 في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، وتوصيها مجلس الأمن بإعادة النظر بهذه المسألة إنجازاً هاماً بكل المقاييس، وقد صوتت لصالح القرار 143 دولة، وامتنعت أو تحفظت 25 عن التصويت، ورفضت القرار تسع دول (من جمهوريات الموز الأمريكية المتناثرة في المحيط الهادي).

ووفق مشروع القرار الصادر عن أعمال الجمعية العامة، فإن دولة فلسطين مؤهلة تماماً للعضوية الكاملة في الأمم المتحدة وفقاً للمادة الرابعة من الميثاق، وبناء على ذلك، يوصي قرار الجمعية العامة مجلس الأمن الدولي بـ «إعادة النظر في هذه المسألة بشكل إيجابي، في ضوء هذا القرار وفي ضوء فتوى محكمة العدل الدولية الصادرة في 28 أيار/مايو 1948، وبما يتفق تماماً مع المادة الرابعة من ميثاق الأمم المتحدة. وقد جدد القرار التأكيد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، بما في ذلك الحق في إقامة دولة فلسطين المستقلة.

إنَّ القرار الموجه من الجمعية العامة للأمم المتحدة لمجلس الأمن وعموم العالم بأسره، ينسجم مع القانون الدولي، ويُعبّر عن الإجماع الدولي في عزل الاحتلال وجرائمه وانتهاكاته الخطيرة للشرعية الدولية، فكان التصويت الدولي الكاسح لصالح حق الشعب الفلسطيني هو دليل قاطع على وقوف العالم موحّدًا خلف قيم الحق والعدل والحرية والسلام التي تُمثلها القضية الفلسطينية، وضد جرائم الاحتلال المتواصلة بحق الشعب الفلسطيني وأرضه ومقدساته، وخاصة في العدوان الفاشي والهمجي وحرب الإبادة المُستمرة على قطاع غزة وعموم الأرض الفلسطينية المحتلة. فاعتماد القرار من الجمعية العامة يُعَزِّز حقوق شعب فلسطين ودولته القادمة، في الأمم المتحدة، ويؤكد الالتفاف الدولي حول قضية فلسطين، في مواجهة الإرادة الأمريكية الداعمة لحرب الإبادة التي تُشن ضده، والتي سَبَقَ أن استخدمت في نيسان/إبريل 2024 «حق الفيتو»، ولوحدها في مواجهة مشروع القرار الذي تم نقاشه في مجلس الأمن، بينما صوتت إلى جانبه 12 دولة بما فيها ثلاث دول دائمة العضوية (جمهورية روسيا الاتحادية، جمهورية الصين الشعبية، فرنسا)، بينما امتنعت كلاً من بريطانيا وسويسرا عن التصويت.

إن قرار الجمعية العامة المشار إليه أعلاه، ثمرة لصمود شعب فلسطين ومقاومته الباسلة التي هزّت العالم كله، وهو يواجه الغول «الإسرائيلي المتوحش في عدوانه على قطاع غزة. ويزيد القرار أيضاً من عزلة كيان دولة الاحتلال التي باتت في «أسفل السافلين» أمام العالم بأسره، بعد قيامها بحرب الإبادة المستمرة ضد شعبنا في قطاع غزة وكل فلسطين. كما يفضح القرار الأممي الأخير للجمعية العامة الدور الأمريكي الفاقع في انحيازه، وتورطه في الجرائم الصهيونية المستمرة على الشعب الفلسطيني، وتوفيره المستمر للحماية والغطاء السياسي للعدوان «الإسرائيلي» وحرب الإبادة.

إن إمكانية العودة لمجلس الأمن لابد منها، وبشكلٍ «أقوى وبصوت أعلى» بدعم من «الأغلبية الساحقة في الجمعية العامة»، للطلب مُجدداً من أجل رفع مستوى دولة فلسطين من عضو مراقب إلى العضوية الكاملة. مع التقدير بأن واشنطن ستعود لاستخدام (الفيتو) بحجة واهية مفادها «أنَّ أسرع طريق لحصول الشعب الفلسطيني على عضوية الأمم المتحدة هو من خلال المفاوضات المباشرة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية» وكأن «إسرائيل» هي التي تقرر مصير الشعب الفلسطيني، ومستقبله!

إنَّ الإنجاز الأخير، في جلسة الجمعية العامة لصالح دفع الأمور باتجاه قبول فلسطين عضواً دائماً وكامل العضوية في الأمم المتحدة، يُشكّل نموذجاً للكفاح التحرري والعمل السياسي والدبلوماسي الدؤوب، الذي تقوم بها القيادة الفلسطينية، فسلاح المقاومة تتعدد أشكاله وأنماطه وأساليبه وفقاً للمعطيات المتوافرة. وهنا يتصدر الكفاح النشط في المجتمع الدولي، وبتضامن وفعل الأصدقاء والمنظومات السياسية المتضامنة مع شعبنا، مكاناً هاماً في مواجهة كيان الاحتلال وسياسة واشنطن.

السياق التاريخي للدور الأمريكي في حرب حزيران 1967

عليان عليان ـ باحث وكاتب سياسي ـ الأردن

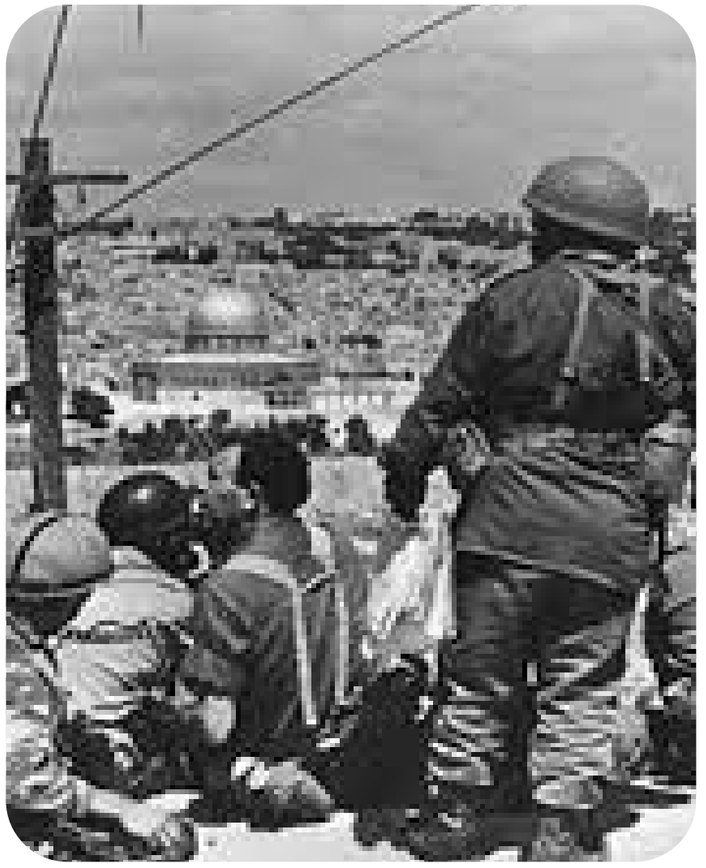

تمهيد:

يكتشف المتتبع لمجريات الصراع العربي الصهيوني وجوهر الفلسطيني- الإسرائيلي أن الولايات المتحدة شريكة أساسية في الحروب مع العدو الصهيوني، ففي حرب 1967 - موضوع الدراسة ـ كان للولايات المتحدة دور مركزي فيها، سنأتي على ذكره بشكل مفصل في هذه الدراسة، كما كان للولايات المتحدة دور رئيس في كل من حرب تشرين (أكتوبر) 1973، وفي حرب لبنان وحصار بيروت 1982، وحرب تموز 2006 بين حزب الله والعدو الصهيوني، وأخيراً وليس آخراً في معركة طوفان الأقصى منذ السابع من أكتوبر 2023، إذ لم تكتف الولايات المتحدة بمد الكيان الصهيوني بآلاف الأطنان من الأسلحة والذخائر قدرت بـ(80) ألف طن وخاصة من القنابل ذات القدرة التدميرية الهائلة التي تم نقلها عبر ما يزيد عن 350 طائرة شحن و150 طائرة نقل عسكرية، بل اضطلعت الإدارة الأمريكية بالقيام بدور رئيس في قيادة الحرب على قطاع غزة، وفي مد العدو بالمعلومات الاستخبارية من خلال الأقمار الصناعية وطائرات التجسس التي لم تغادر قطاع غزة لحظة واحدة.

مبررات الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني والهجوم على عبد الناصر

في ذكرى حرب حزيران، وفي إطار المراجعة التاريخية لمجريات هذه الحرب وخلفياتها نتوقف أمام الدور الأمريكي فيها الذي حاولت إدارة الرئيس الأمريكي ليندون جونسون التنصل من أية علاقة لها بها رداً على اتهامات الرئيس جمال عبد الناصر لها بأنها وقفت وراء تلك الحرب، ووفرت للكيان الصهيوني، كل سبل الدعم العسكري التي تمكنه من شن العدوان في تلك المرحلة.

ويمكن القول من واقع الوثائق والمعطيات التي سبق وأن جرى الكشف عنها أن الحرب العدوانية التي شنها الكيان الصهيوني على مصر عام 1967 كان للولايات المتحدة دور مركزي فيها بعد أن أصبحت المزود الرئيس (لإسرائيل) بمختلف أنواع الأسلحة المتطورة وخاصةً في عهد الرئيس الأمريكي ليندون جونسون وذلك بدلاً من العديد من الدول الغربية. ولا نبالغ إذ نقول إن الحرب كانت أمريكية بامتياز، سواء في وضع الخطط لها أم في توفير كافة أشكال الدعم العسكري واللوجستي للكيان الصهيوني.

لقد ضاقت الإمبريالية الأمريكية ذرعاً بعبد الناصر وإنجازات نهجه القومي، وقررت تصفيته ورأت أنّ الوقت قد حان للإطاحة به، حيث لم يستطع الانقلاب الذي دبّرته المخابرات المركزيّة الأمريكيّة عن طريق الحلف الإسلامي عام 1965، أن يُسقط عبد الناصر، كما أسقطت موجة الانقلابات الجنرال مصدق في إيران، وكوامي نكروما في غانا، وسوكارنو في إندونيسيا، ولهذا تقررت الحرب على عبد الناصر عام 1967، وفق تنسيق وتحالف أمريكي إسرائيلي.

ويعودُ دورُ أمريكا في حرب 1967، إلى فشلِها سياسياً في تطويع نظام عبد الناصر جراء رفضه نظرية الرئيس الأمريكي داويت أيزنهاور "ملء الفراغ" عام 1957، ولجوئه قبل ذلك إلى عقد صفقة الأسلحة التشيكيّة مع الاتحاد السوفياتي، وتأسيس منظومة الحياد الإيجابي مع أبرز قادة العالم الثالث (نهرو، تيتو، سوكارنو، نكروما)، ناهيك عن التزامه بالمبادئ الستة التي طرحتها ثورة 23 يوليو وعلى رأسها القضاء على الاستعمار والاقطاع هذا كله (أولاً) (وثانياً) وما أزعج أمريكا وصدمها تزعّم عبد الناصر المشروع القومي العربي التحرري، وتحويله مصر إلى إقليم قاعدة لحركة التحرر العربية والإفريقية، ومحاربته للأحلاف الاستعمارية وعلى رأسها "حلف بغداد"، وإنجازه أول وحدة عربية في التاريخ المعاصر بين مصر وسورية، ودعمه الثورات العربية في الجزائر واليمن والعراق ولبنان، حيث رأت الإمبريالية الأمريكية في نجاح هذه الثورات مقدمة لانهيار النفوذ الغربي في المنطقة.

هزيمة ناصر يقوي مركز أمريكا في الشرق الأوسط

وهنالك سبب آخر يفسر تقديم الولايات المتحدة، أقصى ما استطاعت تقديمه من الدعم (لإسرائيل) في فترة أيار وحزيران من عام 1967، وحتى قبل ذلك التاريخ، وهو سبب ينطوي على قدر كبير من الأهمية في تلك الحقبة، يتمثل في تشابك عدة عوامل على رأسها الأزمة التي أحاقت بسياسة جونسون الخارجية، وهذه الأزمة خلقت الإطار الذي اتخذت من خلاله قرارات الإدارة الأمريكية.

فقد فشل جونسون فشلاً ذريعاً في سعيه للتفاهم مع عبد الناصر للتخلي عن مبدأ الانحياز الإيجابي، وبات جونسون مقتنعاً أن في هزيمة عبد الناصر تقوية لمركز واشنطن في الشرق الأوسط، أما ثانية الأثافي فكانت تمرغ الولايات المتحدة في حمأة هزائمها في فيتنام، فأيقنت المخابرات الأمريكية أن نصراً سريعاً وحاسماً تحققه (إسرائيل) على العرب بوسعه أن يعمل على رسم هالة من الإعجاب بإنجازات (إسرائيل) وهو ما أقنع موظفي الإدارة الأمريكية أنفسهم، بأنهم بأمس الحاجة إليه كنوع من النصر السيكولوجي لعموم الغرب.

الوثائق تكشف الدور الأمريكي في الحرب

وقد كانت حرب 1967 معدة خلال أكثر من عشر سنوات، وموضوعة ومدروسة بكل تفاصيلها، كما اتخذ القرار بتوجيهها، وكما أصبح معروفاً فيما بعد، أن خطة العمليات الحربية الإسرائيلية، كانت قد عدلت في قيادات الناتو.

وقد كشفت الوثائق السرية لهيئة أركان القوات الإسرائيلية، التي نشرت في بومباي في الهند في تشرين ثاني (نوفمبر) 1957، مخططات إقامة دولة إسرائيلية صهيونية واسعة، عن طريق شن عدوان مدعوم من القوى الامبريالية العالمية، وفي الوثيقة المسماة "الخطة الاستراتيجية للجيش الإسرائيلي لسنوات (1956-1957)، والموضوعة قبل المباشرة بمغادرة قناة السويس، عللت هيئة الأركان الإسرائيلية وبالتفصيل ضرورات الحرب الوقائية، ضد الدول العربية، بهدف تغيير الموقف في منطقة الشرق الأوسط، ووردت في الخطة قائمة مساحات واسعة من الأراضي التي كان يجب أن تلحق بـ(إسرائيل) وفق المخططات والنيّات الإسرائيلية، كما حددت الطرق والأساليب لشق الأمة العربية وتفتيتها.

لقد زعمت الولايات المتحدة في حينه، بأنه لم يكن لها دخل لا من قريب ولا من بعيد بحرب حزيران 1967، وطالبت بالاعتذار، حينما أعلن عبد الناصر ذلك، واقتضى الأمر سنواتٍ عدة ليخرجَ مدير المخابرات الأمريكيّة المركزية في المنطقة بكتاب يعلنُ فيه أنّ الرئيسَ الأمريكيّ "ليندون جونسون" والبنتاجون والمخابرات المركزيّة الأمريكيّة كانوا "أبطال" تلك الحرب الحقيقيين.

وقد جاء في وثيقة كشف عنها وهي من ضمن الوثائق الأمريكية التي أفرج عنها عام (2001م) أن الولايات المتحدة الأمريكية دفعت (إسرائيل) إلى الحرب المبكرة عام 1967، وبدعم مباشر وفوري: "لقد التقى مدير المخابرات الإسرائيلية (الموساد) في حينها "أميت" مع الرئيس الأمريكي جونسون، وبعد التداول سأل جونسون رئيس الموساد: لو هاجمتم العرب الآن فكم ستتحمل هزيمتهم معكم؟ فكان جواب أميت: عشرة أيام تقريباً، فقال جونسون:" إذا ماذا تنتظرون؟" وكانت الوثيقة الأمريكية الخطيرة التي وصلت معلوماتها إلى (إسرائيل) تتضمن خطة تدمير الطيران العربي أولاً.

يذكر أن الولايات المتحدة، سبق أن زعمت بأنه لم يكن لديها علم بالعدوان الثلاثي على مصر عام 1956 وإخضاعها للسيادة المصرية بالكامل، ولم تكتف بنفيها العلم بخطة الحرب، بل استنكرتها وأعلنت أنها فوجئت بها، وفي حينها أعلن "دالاس" أنه مضطر "بقلب ثقيل" أن يقف ضد حلفائه، ثم ظهرت كتب ووثائق تبين أن "دالاس" وشقيقه "آلان دالاس" -مدير المخابرات الأمريكية- وأيزنهاور، كانوا جميعاً يعرفون كل شيء عن الحرب ومن الألف إلى الياء وأن موقفهم كان نفاقاً خالصاً.

وعلى الرغم مما كشفته الوثيقة التي أفرج عنها عام 2001م عن دور أمريكا في حرب يونيو (حزيران) 1967م وما جاء في كتاب مدير المخابرات الأمريكية آنذاك، الذي أكد فيه أن الأمريكان كانوا أبطال الحرب الحقيقيين، إلا أن الولايات المتحدة لم تكشف في حينه عن دورها في الحرب، على الرغم من تقديمها كافة أشكال الدعم العسكري والسياسي للكيان الصهيوني عشية الحرب، لأسباب تتصل بتجنب مواجهة مع الاتحاد السوفياتي، يمكن أن تؤدي إلى اندلاع حرب نووية.

السياسة الأمريكية خلال حرب حزيران

وبعد بدء الحرب في الخامس من يونيو حزيران 1967 وما أسفرت عنه من نتائج تمثلت ابتداءً في احتلال عموم سيناء وشرم الشيخ وقطاع غزة والضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، وهضبة الجولان السورية، وذلك بعد أن تمكن سلاح الجو الإسرائيلي من تحطيم معظم القوة الجوية المصرية في اليوم الأول من الحرب، والقضاء على ما تبقى من القوة الجوية في غضون الأيام الأربعة التالية وما إن حلّ العاشر من يونيو (حزيران) 1967 حتى كانت (إسرائيل) قد استولت على مرتفعات الجولان السورية بما فيها مدينة القنيطرة، حيث انفتحت الطريق إلى دمشق أمام الجيش الإسرائيلي، وعند هذه المرحلة لم يسلم حتى جونسون من إبداء قلقه، وبدأت الحكومة الأمريكية كما قال جونسون نفسه وبكلماته بالذات: «تستخدم كل وسيلة دبلوماسية لإقناع (إسرائيل) بأن تنجز إجراءً فعالاً بوقف النار مع سورية».

وبالفعل أصاب واشنطن نوع من التخوف، من احتمال دخول السوفيات الحرب بسبب إصرار (إسرائيل) على الزحف نحو دمشق، وكان هذا التخوف في محله، إذ ما كاد العاشر من (يونيو) حزيران يحل حتى أنذر رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي «كوسيجن» (إسرائيل) باحتمال تدخل سوفياتي إذا لم تتوقف (إسرائيل) عن هجومها على سورية، أما الولايات المتحدة فقد أضافت إلى تحركها العسكري ضغطاً مارسته على (إسرائيل) لإيقاف زحفها نحو دمشق، وساد توتر كبير بين القوتين العظميين لم يهدأ أواره، إلا حين وافقت (إسرائيل) على وقف إطلاق النار مع سورية في العاشر من حزيران (يونيو) 1967م، وكان هذا إيذاناً بانتهاء الحرب.

كيف تصرفت الولايات المتحدة خلال الحرب؟

جاء سلوك الولايات المتحدة في أثناء الحرب، ليكشف زيف ادعائها قبل الحرب، بعد أن ظلت الولايات المتحدة تعلن للملأ عن معارضتها لجوء إسرائيل إلى القوة على مدى ثلاثة أسابيع كاملة، بعد أن حذرت إسرائيل صراحةً من مغبة أخذ الأمور على عاتقها وحدها من دون استشارة الإدارة الأمريكية والرجوع إليها.

وقد تمثل هذا السلوك الداعم للحرب فيما يلي:

أ. في اليوم الثاني للحرب (6) حزيران رفض وزير الخارجية الأمريكي «دين راسك» الحكم من كان البادئ بالعدوان في هذه الحرب، يضاف إلى ذلك أن الرئيس الأمريكي «ليندون جونسون» أحجم عن نقد عدوان (إسرائيل) على الرغم من أنه كان قد حاول في مذكراته أن يبين تنصل الولايات المتحدة من أعمال (إسرائيل)، حين كتب يقول: «لم أخف قط أسفي لقرار (إسرائيل) أن تتحرك كما فعلت».

ب. لقد برزت شقة الخلاف بين المبدأ والممارسة في السياسة الأمريكية بشكل غير مسبوق حيال دورها في الحرب؛ فالسلطة العليا في نهاية المطاف، لم تكتف بعدم معارضة أعمال (إسرائيل) فحسب، بل شجعت الكيان الإسرائيلي في حربها العدوانية على مصر، إذ إنه وحسب «ستيفن غرين» مؤلف كتاب (التحيز وعلاقات أمريكا السرية بإسرائيل المحاربة) بين أن سلاح الجو الأمريكي كان يقوم برحلات استكشاف لحساب (إسرائيل) طوال مدة الحرب، مشيراً إلى أن نجمات داوود البيضاء نقشت على أجسام طائرات الاستكشاف الأمريكية على أرضيات زرقاء، وأن أرقاماً جديدة قد خططت على ذيول تلك الطائرات، مماثلة لأرقام موجودات سلاح الجو الإسرائيلي.

وأضاف ستيفن غرين أن «طيارين أميركيين من سرب رامستين38 وعاملين فنيين أمريكيين من سرب هايفورد العليا السابع عشر قد ارتدوا أزياء مدنية، وجردوا من هوياتهم العسكرية، ثم نفذوا عمليات الاستكشاف المطلوبة، وقد أمنت هذه العمليات لإسرائيل العون على مدى أيام الحرب الستة لكي يحققوا أهدافهم التوسعية في الوقت المحدد»، مشيراً إلى أن استراتيجيي الولايات المتحدة و(إسرائيل) كانوا يعلمون قبل بدء القتال ما ستكون عليه الضغوط الدبلوماسية نحو وقف إطلاق النار من كثافة وضخامة، ومن ثم فإن احتلال أراض استراتيجية في وقت قصير محدود، لا يتعدى موعد وقف النار المرتقب كان أمراً ذا أهمية أكبر، ومن هنا لم يكن عون أمريكا لـ(إسرائيل في عمليات الاستكشاف هاماً على الصعيد العسكري فحسب بل أساسياً أيضاً.

ج. لقد كان دعم أميركا الدبلوماسي للكيان الصهيوني في الأمم المتحدة بلا حدود، في الوقت الذي مارست فيه خداعاً استراتيجياً لمصر، وسبق للرئيس جمال عبد الناصر أن وجه الاتهامات للولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بالدعم الجوي التكتيكي، ورد جونسون بنفي علني بشأن تورط أمريكا بأي نوع من أنواع العون لـ(إسرائيل).

لقد باتت مصر ومعها العالم العربي على قناعة بأن الولايات المتحدة كانت تعمل متآمرةً في أزمة أيار/حزيران، وهو ما عبر عنه محمود رياض وزير الخارجية المصري آنذاك بقوله: «إن لب المعضلة يتمثل في أننا استلمنا اتصالاً رسمياً من الرئيس جونسون، تضمن تأكيدات منه بأن (إسرائيل) كانت ستحجم عن العدوان إذا فعلنا الأمر ذاته، ففعلنا، كذلك كان جونسون قد تعهد بأن تثبت الولايات المتحدة على معارضة العدوان في المنطقة، أما وقد بادرت (إسرائيل) إلى شن حربها وهاجمتنا، فقد كان أقل ما توقعنا عمله من جانب الولايات المتحدة، في ضوء هذه التأكيدات، أن يرفع جونسون عقيرته بمطالبة انسحاب القوات الإسرائيلية الفوري إلى مواقعها الأصلية، نعم، لو حصل ذلك لكان بإمكاننا عند ذلك أن نتحرك إلى مناقشة القضية الفلسطينية، والأسباب الأساسية التي أدت إلى القتال في المنطقة».

في ضوء كل ما تقدم من وثائق، ومن واقع قراءة معطيات تلك المرحلة التي لعب فيها خالد الذكر جمال عبد الناصر دوراً قومياً وأممياً مميزاً في مناهضة الاستعمار، من خلال تحويل مصر إلى إقليم قاعدة لحركة التحرر العربية، ومن خلال منظومة الحياد الإيجابي (عدم الانحياز) إلى جانب بقية عمالقة ذلك العصر كوامي نكروما من غانا وجواهرلال نهرو من الهند وأحمد سوكارنو من أندونيسيا وجوزيف بروز تيتو من يوغوسلافيا، أصبح نظام عبد الناصر القومي التقدمي، وشخص عبد الناصر على وجه التحديد ببعدها الكاريزمي محل استهداف الإمبريالية الأمريكية والغربية عموماً.

- **مراجع الدراسة**

1. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، استراتيجية الصهيونية وإسرائيل تجاه المنطقة العربية والحزام المحيط بها، إشراف حبيب قهوجي، دمشق، 1982، دار الوثبة - دمشق، 1982، ص 83، نقلاً عن مجلة شؤون فلسطينية، العدد 22، حزيران (يونيو) 1973، ص 95.

2. Kennet Love,Suez,Twice The Fourth war,Ibid,P.123.

3. النظرية والتطبيق للصهيونية العالمية، أكاديمية العلوم السوفياتية، معهد الفلسفة، موسكو، 1978، ص 44 / أنظر مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مصدر سابق، ص 85.LPL].

4. محمد عودة، كتاب حوار حول عبد الناصر، بحث بعنوان: «عبد الناصر- الثورة مستمرة، دار الموقف العربي- القاهرة، 1981، ص 62-63.

5. تشيريل أيه، روبنبرغ، إسرائيل ومصلحة أمريكا القومية، ترجمة هنري مطر، محمود برهوم، منشورات دار الكرمل، صامد، ص 121-125.

6. صحيفة دافار الإسرائيلية، 2 سبتمبر(أيلول) 1975.

الطوفان والانزياح في المواقف لصالح غزة وفلسطين

د. صياح فرحان عزام ـ عضو اتحاد الكتاب العرب في سورية

احتل الحراك الطلابي في الجامعات الأمريكية حيزاً كبيراً من الاهتمام العالمي الإعلامي بحيث هذا الاهتمام المولود في رحم عملية طوفان الأقصى التاريخي ينافس مشهد التوحش الصهيو أمريكي على أرض فلسطين. وبعيداً عن السرد الإنشائي والإخباري لتفاصيل الحركة الطلابية الأمريكية فان البحث فيها ومعرفة منطلقاتها الحقيقية وسيروراتها وآفاقها تحتاج إلى طرح الفرضيات والإجابة عنها، فحقيقة الأمر أن هذه الحركة تتجاوز حدود الحركة (التضامنية)الاجتماعية إلى مستوى اعتبارها حركة تاريخية تتحمل عبء المسؤولية حول ما يتعلق بالقضية الفلسطينية وأيضاً عبء المسؤولية في رسم معالم العالم الجديد ويسترد ذلك على المسائل الآتية:

أولاً: إن عملية طوفان الأقصى كانت هجومية بطبيعتها وتوقيتها من حيث أنها اشتبكت استراتيجياً ومن موقع صفري مع حركة أمريكية إقليمية كانت قد بلغت مرحلة متقدمة من النضج والاكتمال وكانت في طور الاكتمال للإجهاز على القضية الفلسطينية عبر هجمة متناسقة ومنسقة تطال اللاجئين الفلسطينيين والضفة الغربية، إلا أن رادار المقاومة ومرصادها أوقع هذه الحركة في كمين وأصابها بأعطاب هائلة من الصعب إصلاحها. وقد فرض التوحش الغربي الصهيوني إيقاعاً عالمياً متفاعلاً ضد المنظومة الغربية ينطلق من فلسطين ويحلق في الفضاء الكوني.

ثانياً: تفاعلت مكونات هذه المنظومة بشكل سريع دعماً وإسناداً للكيان الصهيوني من أجل منع انهياره وتبنياً للتوحش الصهيوني ضد قطاع غزة والشعب الفلسطيني الأمر الذي أكد بما لا يقبل الشك أن عملية طوفان الأقصى قد أصابت المنظومة كلها بالضرر وأربكت مخططاتها.

ثالثاً: ولأن عملية السابع من تشرين الأول لعام 2023 بتوقيتها واستهدافها ونتائجها -حسب الفعل ورد الفعل- تحولت إلى حدث تاريخي، فقد كان لابد من ردة فعل تاريخية في هذا السياق تمثلت في الحركة الاحتجاجية التي اكتسحت العالم وأخذت أبعاداً مختلفة وبمشاركة نخب كانت حتى السابع من تشرين الأول 2023 في حالة من السكون والخمول ما عدا الحركات الاجتماعية التي غطت أوروبا وأمريكا في السنوات الأخيرة، وفي القلب منها كانت الحركة الاحتجاجية التي انطلقت من الجامعات الأمريكية.

رابعاً: طول أمد الحركة الاحتجاجية ولا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية والتي يسجل لها أنها سارت على إيقاع عملية طوفان الأقصى ولم تهدأ حتى الساعة متخذة أشكالاً مختلفة من تظاهرات واعتصامات وإضرابات عن الطعام، والانتحار حرقاً (حادثة الطيار الأمريكي الذي أحرق نفسه احتجاجاً على حرب الإبادة في غزة)، ومحاصرة موانئ وشركات مصنعة للسلاح، وملاحقة رموز الإدارة الأمريكية، ومقاطعة... الخ.

إن الشيء الاستثنائي والملفت للنظر في الحركة الطلابية الأمريكية أنها لا تنطلق من حقيقة مداها الزمني وشكل الاحتجاجات فقط، بل من حقيقة أن هذه الاحتجاجات شملت وغطت كل مدن الولايات المتحدة، وأنها انبثقت من صلب المجتمع الأمريكي نفسه، وللاعتبارات التالية:

1. الانطباع الذي ترسخ حول أن التحركات الامريكية المجتمعية تستجيب للعناوين المحلية بمعنى أنها تهتم أكثر وتتحرك أكثر تحت تأثير أولويات الإنسان الامريكي وهو ما كان ملموسا أكثر في استطلاعات الرأي وفي برامج ومشاريع المرشحين للرئاسة الأمريكية ولمجلسي النواب والشيوخ وحكام الولايات وحتى الاحتجاجات ضد الحرب في فيتنام كانت تنطلق من تأثير الخسائر البشرية الأمريكية في الحرب.

2. إن المجتمع الأمريكي كان قد تشكل وتقولب في إطار السردية الصهيونية التوراتية فضلاً عن تأثير اللوبي الصهيوني

بقدراته الاستثنائية، ودور الكنيسة الإنجيلية التي تعتبر دعم الكيان الصهيوني واجباً دينياً ولهذا كان التبني الدائم للإدارات الأمريكية المتعاقبة لإسرائيل من جمهورية وديمقراطية يلقى قبولاً شعبياً إلى حد ما.

3. خلال العقود السابقة كان التيار «الشعبوي»، أمريكا أولاً أو بمعناه الفعلي على صعيد الممارسة «أميركا أولاً ولا أحد» يترسخ ويتمدد بحيث أصبح مساهماً كبيراً في صناعة الرأي العام من أمزجة وميول ومواقف واتجاهات وهو ما كان يعني الانغلاق أكثر على الاعتبارات الأمريكية وحدها، بما يشبه الحقبة التي كانت تسود قبل دخول أمريكا كفاعل رئيس على المسرح الدولي

إذاً ليس من السهل خلق وعي شامل وعميق أو بلورة مواقف وتحقيق انزياح كبير في الانتماء والمواقف ولا سيما في مجتمع قام على التحيز السلبي ضد الآخر، بحيث صارت هذه الممارسة السلبية ضد الآخر تقليداً أو عرفاً يمارس بوعي أو بلا وعي ويكون أحياناً مشبعاً بعاطفة سلبية تستثيرها وسائل الإعلام وتستفزه بطاقاته ضد الآخر، حتى ولو كان يتمثل بممارسات فاشية عدوانية مثل الحالة الصهيونية المتوحشة

هذا ما يلمسه الإنسان الفلسطيني خاصة وكل مظلوم في العالم وهذا ما أكدته سرعة الاستجابة للكيان الصهيوني في محنته بعد عمليه طوفان الأقصى (مرحله الصدمة)، وهذا ما يفسره الدعم الغربي غير المحدود للكيان الصهيوني ولا سيما تزويده بأسلحة فتاكة تمعن في القتل والإبادة.

لو أن ما حدث في غزة طرح على العقل افتراضياً قبل الطوفان وقبل التوحش الأمريكي الصهيوني في غزة لكان هناك تأييد شعبي ورسمي للكيان الصهيوني أو تأييد رسمي وصمت او قبول شعبي، والسبب أن الحركة الطلابية الأمريكية من حيث شكلها واستدامتها ومحتواها لا تتسق مع معايير العقل التقليدي الأمريكي المعروف بالتحيز الغربي الأمريكي المستدام على المستويين الشعبي والرسمي للكيان.

وهنا قد يعترض البعض على هذا الطرح بالقول إنه كان هناك احتجاجات أمريكية وغربيه ضد الحروب على غزة (سيف القدس) مثلاً، هذا منطق صحيح، ولكن يمكن اعتبار ما حدث في سيف القدس مقدمات أولية لتغير يحدث في الراي العام الأمريكي والغربي ولكن الاحتجاجات في الشارع الأمريكي والجامعات الأمريكية هي مرحلة متقدمة أكثر في الفعل المضاد للعدوان الصهيوني والسياسات الأمريكية الداعمة له.

غير أن ذلك قد يبدو قاصراً عن إدراك جوهر الحركة الطلابية ومآلاتها بدليل ما يلي:

أولاً: سرعة تأثير الحركة الاحتجاجية في إطار التنافس في الانتخابات الرئاسية ما يدل على تحول في الوعي، وهذا ناجح استثنائي بأن يتحرك العامل الفلسطيني الى فاعل مؤثر في الانتخابات الرئاسية وهو ما كان حكراً على الكيان الصهيوني حتى عمليه الطوفان.

ثانياً: مثل الطوفان وما بعده بدء عمليه كسر رهان ما يسمى معاداة السامية.

ثالثاً: اتساع مشاركه فئات اجتماعية في الحراك من نخب ونواب وعلماء وفنانين وأدباء وانخراط متزايد للأمريكيين البيض، علاوة على مشاركة ملموسة لليهود، والشيء الثابت أن الأمريكيين السود، ومن هم أصولهم لاتينية هم الأكثر استعداداً للتعاطف مع فلسطين.

رابعاً: الحفاظ على زخم الحركة الاحتجاجية وهذا ما هو ملموس من تظاهرات المدن الأمريكية وعدد المشاركين في الاحتجاجات ما يدل على أن الحركة الاحتجاجية ليست رد فعل عاطفي.

خامساً: الاحتجاجات أخذت الطابع العصياني على المستوى الشعبي والنخبوي ضد العدوان على غزة والشعب الفلسطيني، مثل: احتلال الميادين وإغلاقها مناطق وإعلانها مناطق محررة وكأن في الأمر عودة إلى العصر الذهبي للحركات الثورية.

سادساً: الحركات الاحتجاجية لها محتوى سياسي موحد قائم على رفض العدوان على غزة وتبني مصطلح الإبادة واتهام واشنطن بالمشاركة فيها ورفض تزويد الجيش الصهيوني بالسلاح وتبني المقاومة وتشبيه الكيان بالفاشية والنازية.

إزاء ما تقدم هناك أسئلة مهمة منها هل الاحتجاجات حالة مؤقتة، أم حاصل تراكمي في المجتمع الأمريكي، ويمكن أن تحدث لاحقاً في الحياة السياسية؟ ما الذي يدفع عشرات الآلاف من الطلاب ومئات الجامعات والمعاهد للانخراط في هذه الحركة والعناد في مواجهة محاولات قمعها؟

في الحقيقة ربما تساعد أكثر في ترقية برامج المقاومة العابرة للجغرافية السياسية، وقد تكون هذه الاحتجاجات مقدمة لاستعادة أبجديات الفكر الثوري التغييري، كما بدا واضحاً أن هناك شرخاً بين الأنظمة الحاكمة في الغرب وجمهورها، وأيضاً الشرخ بين هذا الجمهور المحتج وماكينة الإعلام، وهذا أيضاً من شأنه أن يوسع الفجوة بين الأنظمة والشعب ويزرع بذور الصراع بينهما.

أخيراً، وفي ظل الأحداث التي يعيشها العالم من أجل إعادة إنتاج النظام العالمي، هناك قناعة تتكون تدريجياً في الوعي وترى أن الصراعات بين الدول الكبرى ليست وحدها التي تقرر شكل العالم الجديد، بل القوى المجتمعية في كل دولة، بمعنى آخر هناك حالة من الطلاق بدأت تأخذ مسارها بين الجماهير والنخب الحاكمة وأصحاب المصالح، ولكن كانت القضية الفلسطينية والعدوان الوحشي على غزة قد كشفت حقيقة أمريكا والغرب بشكل نهائي ومكشوف لا رجعة فيه، فإنها بدورها قدمت الفرصة من أجل تعميم ثقافة المقاومة وتوسيع ساحاتها بحيث تطاول العالم أجمع.

مقترح بايدن:
نتنياهو فشل بالحرب والمفاوضات

حمزة البشتاوي - كاتب وإعلامي

تشير الكثير من الوقائع والمصادر، بأن الدعم والانحياز الأميركي للكيان الصهيوني، بدأ منذ ما قبل صدور وعد بلفور الذي تبنته الولايات المتحدة الأمريكية لاحقاً في العام 1922، وقامت بدعم العصابات الصهيونية بالسلاح لإنشاء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين في العام 1948.

ومنذ ذلك الوقت تلعب الولايات المتحدة الأمريكية دوراً سلبياً مدمراً تجاه القضية الفلسطينية، ولا تختلف الإدارات المتعاقبة جمهورية كانت أم ديمقراطية، على دعم الكيان الصهيوني، وضمان بقائه كقاعدة متقدمة، ونقطة ارتكاز للمشروع الأميركي الاستعماري في المنطقة.

ومن هذه المنطلقات جاء المقترح الأمريكي الإسرائيلي عبر كلمات قالها الرئيس جو بايدن الذي يمول ويسلح ويدعم الحرب على غزة في خطاب متلفز، حاول فيه استغفال الجميع، في لعبة محبوكة للخداع وبيع الأوهام من دون تقديم المقترح في نص مكتوب يلتزم به الأمريكيون والإسرائيليون، ولذلك كان المقترح محاولة استراتيجية للخروج من الحرب برغبة قوية ولكن غير حاسمة من قبل الدولة العميقة في الولايات المتحدة المنحازة بشكل دائم للإسرائيليين خاصة في زمن الحرب التي تحرص فيها الإدارة الأمريكية، على عدم إلحاق هزيمة استراتيجية واضحة بالكيان الصهيوني.

وقد حمل خطاب بايدن مقترحاً يهدف إلى إنقاذ الإسرائيليين من أنفسهم، وللتأكيد مجدداً على المسؤولية في حماية وجود الكيان الصهيوني في المنطقة، من خلال تحقيق المزيد من عمليات التطبيع، وخاصة مع المملكة العربية السعودية، وإعادة فكرة تشكيل تحالف إسرائيلي- عربي، لمواجهة ما يسميه الأمريكيون والإسرائيليون، بالتهديد الإيراني، وكذلك إنشاء ما يسمونه بالسلطة الفلسطينية المتجدّدة، وإعادة هندسة النظام السياسي الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وكان لافتاً حجم الانفصام في المؤتمر الصحفي وخطاب بايدن وتقديمه للمقترح على أنه مقترح إسرائيلي، طالب فيه الإسرائيليون بالموافقة عليه، مما طرح سؤالاً حول إن كان قد أعلن عن هذا المقترح، من دون موافقة مسبقة عليه من بنيامين نتنياهو الذي يعاني من الفشل على صعيد الحرب والمفاوضات، ومأزق كبير على كل الجبهات، وزيادة عمقها وحجمها الإسنادي الكبير ونوعية الأسلحة والهجمات التي ينفذها حزب الله، إضافة إلى جبهة اليمن والضفة الغربية، وغيرها من جبهات الإسناد.

وقد حاول الرئيس بايدن في إطار التحضير المستمر، للانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة، أن يكسب عبر تقديمه هذا المقترح نقاطاً باعتباره (رجل سلام) وساعياً لوقف الحرب التي كان شريكاً عضوياً فيها، وبما ارتكب خلالها من إبادة جماعية وكوارث إنسانية هزت ضمير العالم، وليس من المؤكد بأن هذا المقترح وفق ما تم طرحه في الخطاب، سيشق طريقه وأن يتم تنفيذ المراحل الثلاث منه للهدنة وإنهاء الحرب، في ظل المواقف الإسرائيلية المعارضة، وعدم استعدادها لتقديم شبكة أمان لنتنياهو الذي بات يستعيد جزءاً مما فقده من نقاط في استطلاعات الراي العام الإسرائيلية، إضافة لعدم استبعاد أن يكون نتنياهو نفسه يناور لإشغال إدارة بايدن في دهاليز التفاصيل، وصولاً إلى الانتخابات الرئاسية الأمريكية واحتمال عودة ترامب.

وهذا يطرح سؤالاً حول القرار الإسرائيلي في زمن الحرب، الذي يصبح في يد الجيش أكثر من الحكومة، باعتبار أن القرار الإسرائيلي اليوم، هو قرار عسكري بنتائج سياسية، وليس سياسياً بنتائج عسكرية، والأهداف أيضاً هي أهداف عسكرية بنتائج سياسية، وليست أهدافاً سياسية بنتائج عسكرية، يستفيد منها الكيان الصهيوني للسير في خطته نحو المزيد من عمليات الاستيطان، وضم الأراضي في الضفة الغربية، وتصفية العناوين الرئيسة للقضية الفلسطينية، كالقدس والدولة وعودة اللاجئين.

كما كشف المقترح الإسرائيلي الأمريكي عن تعقيدات وأزمات داخلية إسرائيلية سياسياً واجتماعياً، حيث يواجه بنيامين نتنياهو خيارات صعبة تتعلق بالحرب والأسرى وتجنيد الحريديم، وغيرها من الأزمات التي قد تدفعه إلى حل الكنيست، والذهاب إلى خيار الانتخابات المبكرة الذي تهدد به المعارضة والأحزاب اليمينية الأكثر تطرفاً داخل الائتلاف الحكومي الحالي المطلوب منه الآن أن يغير مواقفه بناء على رغبة الرئيس بايدن، وأن يقوم بالترويج للمقترح باعتباره المفتاح لتغيير الواقع الإقليمي، وهو واقع مفخخ ومرتبك مثل

قراءة في قرارات المحكمة الدولية بشأن الحرب الصهيونية على غزة

بسام عليان ـ كاتب اجتماعي وباحث سياسي ـ سورية

أصدرت محكمة العدل الدولية قراراً طلبت فيه من الاحتلال الإسرائيلي الوقف الفوري للهجوم على رفح جنوب قطاع غزة، وفتح المعبر بين القطاع ومصر، وذلك بعد موافقة 13 قاضياً ومعارضة اثنين فقط.

والأهم في هذا القرار برأي خبراء القانون الدولي؛ أنه طلب السماح بدخول «لجان تحقيق» إلى قطاع غزة. وأنه يمكن لجنوب أفريقيا في حال تكرار استخدام واشنطن لحق النقض الفيتو ضد قرار العدل الدولية في مجلس الأمن، التوجه للجمعية العامة للأمم المتحدة، والتي يمكن من خلالها إصدار عدة قرارات ضد الاحتلال الصهيوني منها قطع العلاقات والتعاون في شتى المجالات مع هذا الكيان الاحتلالي.

وحول احتمالية قيام واشنطن بتهديد العدل الدولية كما فعلت مع الجنائية، فإن واشنطن فعلت ذلك مع الجنائية لخوفها على نفسها، فهي تخاف أن تكون الدولة التالية بعد الاحتلال وتتم محاكمتها في المحكمتين بسبب جرائمها المتعددة في العراق وأفغانستان؛ وبسبب قيامها بدعم الاحتلال الاسرائيلي للأراضي الفلسطينية وتزويد اسرائيل بالأسلحة المدمرة لإبادة الشعب الفلسطيني.

إذاً، هناك أمر فوري بوقف الهجوم على رفح وفتح معبر رفح وإدخال المعونات والسماح بإدخال لجان تحقيق لقطاع غزة وهذا مهم الآن بسبب اكتشاف وجود مقابر جماعية يتم العثور عليها، لأن الإسرائيليين دفنوا مواطنين فلسطينيين بعد تعذيبهم وإطلاق النار عليهم، بمعنى إعدامات ميدانية وهذه بحد ذاتها جريمة كبرى من أكبر الجرائم ضد الإنسانية.

لذلك فالقرار الصادر عن المحكمة استخدم لغة أقوى من المرات السابقة، حيث جاء النص بصيغة الأمر «أوقفوا»، والقرارات كلها صدرت بأغلبية 13 صوتاً وهذه نسبة عالية جداً.

وهذا يدل على أن كافة المدارس الفقهية القانونية في العالم مع القرار، بطبيعة الحال رغم معارضة قاضيين للقرار، لكن معارضة القاضية الغامبية للقرار هي معارضة لها وجهة نظر، فهي تعتقد أن القضية الفلسطينية سياسية وليست قانونية.

أما القاضي الثاني الذي عارض القرار، فهو القاضي الإسرائيلي الذي شرّع وشرعن التمييز العنصري في الأراضي الفلسطينية المحتلة، يعني هو أستاذ في التمييز العنصري، لذا لا نستغرب مواقفه المنحازة للعدوان والجرائم الإسرائيلية، وهو نفسه حينما كان رئيساً للمحكمة العليا في إسرائيل كان يستخدم المحكمة لتوظيفها في خدمة جريمة الأبارتايد في داخل «إسرائيل».

لكن ما إمكانية تنفيذ هذا القرار على أرض الواقع؟

أفكار الرئيس بايدن، وكل المعسكر المعادي للشعب الفلسطيني ومقاومته.

ولا يوجد أي تأكيد بأن مصير هذا المقترح، لن يكون كما الاقتراحات السابقة، منذ الهدنة الأولى التي حصلت يوم ٢٤ تشرين الثاني من العام ٢٠٢٣

وإعلان اتفاق الإطار الأول في باريس في ٢٨ كانون الثاني عام ٢٠٢٤ وجولات وزير الخارجية الأمريكية التي طرحت المزيد من الأسئلة أيضاً حول جدية الإدارة الأمريكية في تطبيق أي قرار يتعلق بوقف العدوان على قطاع غزة، وحول التناقض الأمريكي الإسرائيلي بالحديث عن القضاء على حركة حماس والتفاوض معها في الوقت نفسه.

وقد يكون الهدف من مقترح بايدن، إرسال عدة رسائل منها ما هو باتجاه المجتمع الأمريكي والأوروبي بأن الإدارة الأمريكية، تعمل على تبييض صورتها، بعد انكشافها أمام العالم وخاصة لدى طلاب الجامعات في أمريكا وأوروبا الذين انتفضوا ضد حرب الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني، وبعد أن قام عدد من المسؤولين الأمريكيين الذين اعتبروا ما يجري خطيراً وبشعاً وفظيعاً والأكثر وحشية، بتقديم استقالاتهم.

ولكن الأهم هو الفشل الأميركي الإسرائيلي بتحقيق أهداف الحرب مع كل الدعم السياسي والعسكري، وإرسال المساعدات وحاملات الطائرات الحربية والنووية واستخدام الفيتو والمشاركة بقصف مخيم النصيرات، وفشل الرئيس بايدن على صعيد السياسة الخارجية وعدم الالتزام بالقواعد والأعراف الدولية، والمعايير الإنسانية والأخلاقية.

وكذلك فشل نتنياهو في تقليل الكلفة والخسائر السياسية والعسكرية والمدنية، في الحرب التي يديرها من دون رؤية وبدوافع انتقامية، كما أنه يعمل على إطالتها للبقاء في الحكم من غير أن يدفع ثمن الإخفاق الهائل على الرغم من وجوده في دائرة الخطر والفشل السياسي والعسكري.

وحتى الآن يشير التعاطي مع المقترح على فشل كل من بايدن ونتنياهو في الحرب والمفاوضات معا، وإلى عمق الأزمة الداخلية في الكيان الصهيوني وعدم قدرته على الحسم والردع، مما جعله ومعه الإدارة الأمريكية يبحثان عن مخرج وحل بعيداً عن صورة الهزيمة التي تلاحقهم في الميدان.

وكان نتنياهو قد صرح قبل صدور القرار، وكان له أيضاً تصريح سابق، بأنه لن يلتزم بأي قرارات سواء أكانت سياسية أم أممية أم قضائية، ونعتقد أنه سيلتزم بهذا التصريح، وهذا يعني أنه مصمم أن يكون خارجاً على القانون، ولا نستغرب ذلك فمن نشاهدهم الآن هم عبارة عن عصابة مجرمين، وعصابة إرهابيين عالميين؛ فنتنياهو وبن غفير وسموتريتش هؤلاء عصابة من الإرهابيين، فمثلاً بن غفير يقول «سندمر رفح رداً على المحكمة»، هؤلاء «زعران» بلطجية فأنت لا تتعامل مع رجال سياسيين أو رجال دولة، بل تتعامل مع زعران، وإرهابيين أحفاد شتيرن؛ وبن غفير نفسه عليه 7 قضايا «زعرنة» بلطجة في القضاء الإسرائيلي، ونتنياهو لا يختلف كثيراً عنه.

وهنا يمكن لجنوب أفريقيا إذا رأت أن إسرائيل تمعن في معارضة هذا القرار أن تذهب إلى مجلس الأمن الدولي، ولكن هذا لا يقطع الطريق على جنوب أفريقيا في هيئة الأمم المتحدة، بأن يأخذوا هذا القرار للدفع باتجاه استصدار قرارات من الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهذه القرارات تبدأ بالطلب بتعليق عضوية إسرائيل في المنظمة الدولية، وسحب الاعترافات السياسية من إسرائيل ومقاطعتها في كافة المعاملات التجارية. ويمكن اعتبارها دولة خارجة على القانون.

كما أنه يمكن الحض على مقاطعة الفرق الرياضية الإسرائيلية، كذلك سحب الاعترافات والتعاون الأكاديمي بين الجامعات الإسرائيلية ومثيلاتها في العالم وهذا مهم جداً أيضاً، وهكذا يتم عزل هذا الكيان الاحتلالي الارهابي.

وإذا لم يكن من الممكن استصدار مثل هذه القرارات من الجمعية العامة؛ فعلى جنوب أفريقيا والدول التي تساندها بهذا القرار أن لا تتوقف هنا، فعلى كل دولة أن تتصرف بمفردها وتبادر، كما فعلت نيكاراغوا، حيث قطعت علاقاتها الدبلوماسية وسحبت سفيرها من إسرائيل وسحبت أيضاً استثماراتها.. الخ.

ولذلك يمكن لكل دولة فعل ذلك، وهنا نطالب شعوب الدول العربية بالضغط على حكوماتها بأن تدرس هذا الوضع بدقة وتقرر كيف لها أن تقيم علاقات أو تستأنس بإقامة علاقات مع دولة تُعلن رفضها لمحكمة العدل الدولية؟!

وعلى حكومات الدول العربية التي تطبع مع الكيان الإسرائيلي وتقيم علاقات معه؛ أن تتعظ من اعتراف بعض الدول الأوروبية بفلسطين؛ وهذا احتضان أوروبي ودعم للقضية الفلسطينية، فهذه الدول أصبح مطلوباً منها أن تستخدم نفوذها لدى الدول الأوروبية الأخرى لمقاطعة إسرائيل.

وهذه الدول التي اعترفت بالدولة الفلسطينية، ستقوم بقطع علاقاتها التجارية والاستثمارية والعلمية مع إسرائيل لأنها أصبحت تعرف وتعي جيداً حقيقة الصراع الصهيوني مع فلسطين والفلسطينيين.

أما فيما يخص صدور قرار العدل الدولية بعد فترة وجيزة من قرار الجنائية فإنه لا توجد علاقة مباشرة بين المحكمتين، لكن قرارات العدل الدولية لها وزن وتأثير في قرارات المحكمة الجنائية الدولية، باعتبار أن ما تقوله العدل الدولية يمكن الاستئناس به وليس مُلزماً لها؛ أي الاستئناس بها لدى الجنائية الدولية ومدعيها العام، لأن هذا القرار هو مُلزم فقط لأطرافها، لكن يمكن الاستفادة من الاجتهادات القضائية والتبريرات والشروحات القانونية التي وردت في قرار الجنائية الدولية.

ومن هنا يأتي التركيز على الحض على مشاركة الدول العربية ودول أخرى مع جنوب أفريقيا في قضيتها ضد الاحتلال في العدل الدولية، فكلما اشتركت دول أكثر في دعم طلب جنوب أفريقيا كان أمرا لصالح القضية المرفوعة، وبهذا أيضاً يدعم التفسير القانوني التي تقدمه جنوب أفريقيا للمحكمة الدولية بأن ما تقوم به إسرائيل في غزة هو جريمة إبادة، فإذا اشتركت 50 دولة وتقول نفس ما قالته جنوب أفريقيا فإن هذا سيؤثر في قرار المحكمة، وتنتهي إلى نتيجة إيجابية لصالح القضية بالنسبة إلى موقف جنوب أفريقيا.

وما زال الشعب الفلسطيني يتطلع إلى الشعوب العربية والإسلامية على الرغم من أن حكومات الدول العربية فقدت ثقلها ووزنها ومصداقيتها وأصبحت محكومة للرأي والاستعمار الأميركي.

ويكفي الشعب الفلسطيني فخراً أن جنوب أفريقيا بكل التاريخ الباهر الذي تختزنه ونضالها ضد الأبارتايد وبكل ثقلها المعنوي والأدبي الكبير هي التي تقود هذه المعركة بصلابة وبحكمة وبعلم كبير. خاصة الفريق القانوني الذي أتت به جنوب أفريقيا كان فريقاً متميزاً ومتمكناً من المعلومات ومن نصوص القانون الدولي، ومن الأسلوب القضائي الراقي في صياغة التعابير والنصوص التي تخدم القضية.

وكان من الأجدى والأجدر بالسلطة الفلسطينية أن يكون لديها فرصة لو استطاعت ان تشارك جنوب أفريقيا بهذه المرافعة القانونية الفذة؛ إلا أن السلطة الفلسطينية لم يعد لها مستقبل على صعيد المشروع الفلسطيني؛ فهي ما تزال تصطف في زاوية العداء التاريخي لشعبنا الفلسطيني المقاوم للاحتلال.

علمتنا التجارب الثورية العالمية أن نتفاوض للوصول إلى تفاهمات مجدية وقوية كلما حققت نصراً في أرض المعركة، إلا أن المفاوض التابع للسلطة المتنفذة بالقرار السياسي الفلسطيني ما يزال يتعامل مع المشروع الصهيوني من مشروع استعماري يمكن التعايش معه، وما تزال السلطة تعتبر إسرائيل شريكاً وليس عدواً؛ مع أن المقاومة الوطنية الفلسطينية في الضفة وفي غزة ما زالت تصر على مشروع التحرير الشعبي الوطني، مؤكدة أن الاحتلال الاستعماري الصهيوني لن يتعايش مع الشعب الفلسطيني؛ والشعب الفلسطيني لن يتعايش مع الاحتلال، والشعب الفلسطيني يرفض الاحتلال وأعوانه؛ ونقول -هنا- لهؤلاء المتمسكين باتفاق أوسلو وذيوله الأمنية؛ أن اتفاق أوسلو هو أكبر دليل على طريقة تجاهل الاحتلال للشعب الفلسطيني؛ فهذا الاتفاق كُتب بيد إسرائيلية ووقّع بيد فلسطينية، ومع ذلك لم تتعايش "إسرائيل" مع اتفاقياتها التي وقعت عليها.

فالإبادة الجماعية التي يقوم بها الاحتلال الصهيوني في مدن ومخيمات وأحياء غزة منذ تسعة أشهر، ناهيك عما قام به الاحتلال منذ 76 عاماً ضد الشعب الفلسطيني؛ وضد الأرض الفلسطينية والهوية الفلسطينية؛ وهناك قضية ترفع ضد الاحتلال في المحكمة التي تنظر في جريمة حرب ارتكبت من قبل الاحتلال، وهناك شواهد وأدلة ثابته تمّ نشرها في كلّ وسائل الإعلام وعبر مواقع التواصل الاجتماعي، وأن الجرائم والمجازر التي ارتكبت مؤخراً سيتمّ ضمّها للدعوى وتعتبر أدلة على عدم التزام الاحتلال بقرار محكمة العدل.

وأن دولة جنوب افريقيا ستقدم في شهر تموز المقبل مرافعتها النهائية حول الدعوى التي رفعتها أمام محكمة العدل الدولية. وللأسف؛ السلطة الفلسطينية لا تحرك ساكناً إزاء ما يجري على أرض فلسطين عموماً وعلى أرض غزة ولشعبها خصوصاً.

المركز والأطراف

نظرة سريعة ومحاولة توضيح في سبيل فهم بعض ما يحصل في النظام العالمي الحالي

د. أدهم هندي شقير ـ باحث في الشأن الاقتصادي ـ سورية

فجوة بالغنى والعلم...
وتفاوت في الاقتصاد والتنمية ما بين أقسام العالم ودوله المختلفة...

كيف يدار العالم من الدول المتطورة والمتسلطة

لقد قسموا العالم الى قسمين أساسيين: الأول دول المركز وتضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وبعض الدول في الاتحاد الاوربي وهي تتحكم بدول العالم. وأما القسم الثاني ويدعى دول الأطراف ويضم كل الدول الأفريقية والآسيوية وأمريكا اللاتينية التي تتحكم بها دول المركز

وكتاب الشراكة المضطربة لمؤلفه هنري كيسنجر يوصّف العلاقة بين الولايات المتحدة وأوروبا. حول إدارة النظام الدولي الحالي والتنافس فيما بينهما على سرقة الشعوب النامية واستغلالها.

يقول هنري كيسنجر لدينا شراكة مضطربة مع الأوربيين حول مجموعة من المسائل المهمة ابتداء من صيد الأسماك وحتى موضوع الأسلحة النووية. إلا أن الملفت بأن كل الخلافات المذكورة بين دول المركز تحل دائماً بالحوار فيما بينها ولا تصل إلى درجة الصدام العسكري والحروب.

كيف تتحكم دول المركز بدول الأطراف

تتحكم دول المركز بدول الأطراف من خلال أربع وسائل مهمة:

1. السلاح واحتكار تصنيعه، والتدريب عليه، وثمنه، حيث يفرضون على تلك الدول استيراد السلاح، وتمنع دول الأطراف من تصنيع السلاح وأي دولة تشذ عن هذا المبدأ تسمى دولة مارقة وتعاقب بفرض العقوبات المتنوعة عليها.

2. الوسيلة الثانية هي الخامات مثل النفط والقمح وباقي خامات المعادن والزراعة حيث تتحكم بها دول المركز فتجد دول المركز تنتج النفط وتسوّقه وتحدد أسعاره وطريقة تصنيعه. والتحكم بالنفط يتم من خلال كارتل عالمي مجموعة من الشركات التي تستكشف وتنتج وتسوق وتصنع وتحتكر السوق مما يجعلها تتحكم بالأسعار وتمنع على باقي الدول إنشاء صناعات نفطية ذات قيمة وفائدة. أما القمح فتصر دول المركز على تصديره إلى دول الأطراف وعندما تحاول دولة ما أن تشذ عن القاعدة بأن تحاول زراعة القمح في سبيل الاكتفاء الذاتي تتدخل دول المركز وتحاول منع ذلك، مثال محاولة الملك فيصل آل سعود زراعة القمح في سبعينيات القرن الماضي مما دعا كيسنجر إلى تهديد السعودية ومعاقبتها.

3. الوسيلة الثالثة للتحكم بدول الأطراف من قبل المركز هو الاعلام والعولمة والتعليم هناك أمثلة كثيرة على سيطرة الإعلام مثل وكالات الأنباء الكبرى والمحطات الاخبارية الضخمة والعملاقة. وكذلك عبر وسائل التواصل والمواقع الافتراضية الموجهة والمملوكة لدول المركز وتخدم غاياتها وتوجهاتها في بناء العولمة والنظام الأحادي القطب. أما التعليم فنجد حوادث كثيرة عند مجموعة من الدول غيرت مناهجها التربوية والتعليمية بقوة الإملاء الخارجي لما يتوافق مع مبادئ العولمة وقواها المهيمنة وما يحصل الآن في بعض الدول العربية خير مثال في هذه الظروف.

4. الوسيلة الرابعة للتحكم هي من خلال الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة وعلى رأسها مجلس الأمن الدولي التي تستطيع معاقبة أي دولة من دول الأطراف حين لا تنصاع الى أوامر دول المركز وبهذا تحولت الأمم المتحدة إلى وسيلة مهمة للتحكم بدول الأطراف.

هناك فجوة واضحة اقتصادية وصناعية بين دول المركز وبين دول الأطراف نتيجة النهب للخامات والاستعمار الاقتصادي.

عندها نطرح السؤال التالي:

هل يسمح المركز بتطور الأطراف أم لا؟

الإجابة هي طبعاً لا. لأنه إذا عمل المركز على تطوير الأطراف سيُحرم من مصدر للمواد الأولية بسعر منخفض إضافة إلى تقلص سوق تصريف الإنتاج؛ أي إذا قامت دول المركز بتطوير الأطراف يُتلف النظام الاقتصادي العالمي لأنه نظام يقوم على مبدأ، كما قال جون زيجلر في كتاب إمبراطورية العار، «الدول المتقدمة تبقى في الأعلى والدول النامية تبقى في الأسفل».

وهنا أيضاً نطرح الفكرة التالية: هل إذا قامت الدول النامية باستيراد مصنع من الدول المتقدمة تصبح متقدمة؟

إذا قامت الدول النامية بذلك فلن تنجح في إدارة هذا المصنع لتنافس فيه الدول المتطورة في التجارة الدولية لأنه عندها ستكون الدول المتقدمة على علم بالخيارات التي يمكن أن ينافسها بها مستوردُ مصنعها وستعلم كيف ترد على منافستها، هذا ما يسمى بـ «نظرية اللعبة». لذا، على الدول النامية، عوض استيراد مصنع، تطوير مهارات اليد العاملة المستدامة أيّ التنمية على المدى الطويل وتنمية الأجيال المقبلة وتحضيرها وتهيئتها لما ينتظرها من منافسات دولية.

«حروب الخامات» للكاتب مايكل كلير يسلط الضوء على أهم الحروب الاقتصادية المعاصرة

يشرح هذا الكتاب أن دول المركز تدير الصراع الدولي من خلال تصدير التوتر من المركز إلى الأطراف حيث جربت دول المركز حربين عالميتين أولى وثانية وكانت نتائجها كارثية لذلك قررت دول المركز أن تحل جميع خلافاتها بالحوار فيما بينها وتصدير الأزمات إلى دول الأطراف.

والمراقب يلاحظ أنه منذ عام 1945 وحتى اليوم لم تحصل أي حرب بين دول المركز وكل الحروب حصلت في دول الاطراف. وبنظرة فاحصة نجد أن الدول الواقعة في الأطراف تبدو ضعيفة لا تملك إمكانيات الدفاع عن نفسها أمام هذا النظام الدولي الظالم.

في الجوانب الأخرى سنحاول استعراض بعض الأمور

قول شائع

«انظروا إلى الازدهار الذي وصل إليه العلم في دول الغرب، وانظروا إلينا نحن شعوب العالم العربي في أيّ تخلّف نعيش»

مع كل إنجاز علمي عالمي جديد لا بدّ لبعض «المثقّفين» في العالم العربي، من إجراء مقارنات بين الازدهار العلمي الذي وصلت إليه دول الغرب الرأسمالي والتخلّف الذي تعيش فيه في دول الأطراف الرأسمالية ومنها الأقطار العربية، فيُكال المديح إلى شعوب دول المركز والكثير من الذمّ إلى شعوب دول الأطراف. وجرت العادة أن تعتمد هذه المقارنات على ذكر أسباب حالة التخلّف مثل تمسّك المجتمعات العربية بالعادات والتقاليد والمعتقدات الدينية، وارتفاع نسبة الولادات وارتفاع معدلات البطالة وسوء الإدارة وفسادها... وهذا ما يثير الاستغراب؛ فهل تجوز مثل هذه المقارنات؟ هل الأسباب التي يذكرها بعض المثقفين هي الأسباب الحقيقية للتخلف؟ ما هي عيوب هذه المقارنات؟

أي ببساطة: نحن بلدان متخلّفة ونعاني من أعراض التخلّف. لكن جوهر ما نعانيه هو عملية «التخليف» التي تمارس بحقنا من قبل دول المركز؛ أن نبقى بلداناً طرفية متخلفة مُلحقة بدول المركز وتعمل في خدمتها، وأن تكون أنظمة بلداننا، باختلاف أشكال إدارتها لمجتمعاتها، ومن خلال اتفاق منجز مع دول المركز أو بالإكراه من خلال فرض العقوبات الاقتصادية أو حتى إشعال الحروب بهدف تطويعها، ليست إلا وسيطاً لمنع التنمية ونقل فائض القيمة وتحويله من دول الأطراف نحو دول المركز من خلال نهب وتدمير الإنسان في الأطراف. وإذا قرر نظام عربي ما أن يضع هدف التنمية نصب عينيه فإن حصاراً وعزلة اقتصاديّن في انتظاره. وإذا تطور الصراع فقد يتعرض لـ«عدوان ثلاثي» وربما عالمي.

الإنجازات العلمية لا تتم في بلد ما إلا إذا سارت خطوات في مشروع التنمية وأنجزت مهمة التصنيع. فكيف لبلاد مُنعت من التنمية، وكُتب عليها أن تبقى متخلّفة، أن تنجز علمياً أو أن تكون موضع مقارنة؟ إن هذه المقارنة لا تجوز. وهي أشبه بمقارنة تتم بين قوة الجلاد وبؤس الضحية في لحظة مقتطعة من سياق، إن تخلف الأطراف وغياب التنمية فيها، من خلال النهب والتدمير (التخليف)، هما شرط من شروط تعاظم النمو في المركز، أي إن تعاظم النمو في المركز هو تعاظم للتخلّف في الأطراف.

مقارنة أم جلد ذات؟

في ما يتعلق بالإنجازات العلمية، فيمكننا الإشارة إلى أن أحد أسباب حضور الإنجازات العلمية في المركز وغيابها في دول الأطراف هو الجوع. موت هذه الأطراف ودمارها وامتصاص فائض القيمة هي عمل المركز الحاكم لكي ننسى التنمية كفعل مضادّ للنظام الإمبريالي، ولكي نبقى أسرى في قوقعة جلد الذات.

إن نقد التخلف، على جميع المستويات، ضرورة لازمة وشرط معرفي للنهوض القومي الاجتماعي الاقتصادي، إلا أن هذه النظرة إلى التخلف ستبقى قاصرة ما لم يتم جمع جميع عوامل التخلف ونقدها في نظرية شاملة لا تستثني العلاقات التاريخية ولا تفاوت النمو الرأسمالي على المستوى العالمي. ما عدا ذلك، وما نراه ونقرأه اليوم من ردود فعل ومقارنات يتم إجراؤها، فإنها لا تُجرى من باب النقد، بل من باب جلد الذات لا غير.

الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني شركاء في حرب الإبادة والإجرام

علي زيدان ـ باحث وكاتب سياسي ـ لبنان

أظهرت حرب الإبادة الشاملة التي يشنها الكيان الصهيوني وحلفاؤه الوجه الحقيقي البشع لهذه الدول ذات السجل الحافل بالإجرام سواء في فلسطين المحتلة أو في مناطق أخرى من العالم وتبين بما لا يقبل الشك أن هذه التحالفات استراتيجية ومصيرية، وليست علاقات عابرة أو مؤقتة، حتى لو طفت إلى السطح بعض التباينات

أظهرت حرب الإبادة الشاملة التي يشنها الكيان الصهيوني وحلفاؤه الوجه الحقيقي البشع لهذه الدول ذات السجل الحافل بالإجرام سواء في فلسطين المحتلة أو في مناطق أخرى من العالم وتبين بما لا يقبل الشك أن هذه التحالفات استراتيجية ومصيرية، وليست علاقات عابرة أو مؤقتة، حتى لو طفت إلى السطح بعض التباينات لقد ظهرت في وسائط الإعلام المختلفة بعض الاختلافات بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، ربما بسبب بعض السياسات الداخلية لليمين الصهيوني المتطرف، أو بعض التباينات حول مسار العمليات العسكرية في قطاع غزة. إلا أن ذلك لا يُؤثر، ولن يُؤثر، في صُلب المواقف الاستراتيجية للولايات المتحدة، ولن يُغير من طبيعة العلاقات الدائمة والثابتة مع الكيان الصهيوني. ولن تُحيل هذه التباينات الكيان من شريك استراتيجي إلى عبء على الإدارة الأمريكية، وبالتالي ينبغي التخلص منه ولو تدريجياً على العكس من ذلك، هنالك آليات متفق عليها لحل المشكلات العالقة. ويُمكن القول إن الكيان الصهيوني ووجوده في قلب منطقتنا بات يُمثل مصالح تلك الدول ذات التاريخ الاستعماري البغيض، ويُمثل رأس الحربة في إحكام السيطرة على فلسطين والدول العربية ومواردها الطبيعية وفي مقدمها النفط، وأسواقها أيضاً. لقد بات الكيان الصهيوني يُشكل القاعدة الاستراتيجية الأولى للوجود الأمريكي والغربي في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، ومنطقة الخليج العربي بشكل خاص، ويقوم بحماية المصالح الاقتصادية والأمنية لتلك الدول حيث يستطيع التدخل السريع في أي مكان وفي أي وقت. وما إن بدأت عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، حتى تحركت حاملات الطائرات الأمريكية إلى شرق البحر المتوسط مقابل شواطئ فلسطين المحتلة، وإرسال آلاف الجنود الأمريكيين للمشاركة في الدفاع عن أمن الكيان الصهيوني. كذلك فعلت بريطانيا وفرنسا وألمانيا. تلك الدول أرسلت المساعدات العسكرية وطائرات التجسس، وفرق الكوماندوس للمساعدة في القتال، فضلاً عن توفير المعلومات الدقيقة لمساعدة جيش الاحتلال في عملياته القتالية، أو في قصف المنشآت المدنية والبنى التحتية، أو بالبحث عن الأسرى الصهاينة. إضافة إلى ذلك، أنشأت الولايات المتحدة، وتلك الدول، جسوراً جوية مع الكيان الصهيوني من أجل تزويده بأسلحة الدمار الشامل والمُساهمة في حرب الإبادة الشاملة ضد الفلسطينيين في قطاع غزة. ومؤخراً، في شهر أيار/ مايو 2024، قامت الإدارة الأمريكية بإنشاء رصيف بحري في قطاع غزة، تحت شعار توصيل المساعدات الإنسانية إلى السكان الفلسطينيين. بينما ظلت، الإدارة نفسها، ترفض فكرة فتح المعابر البرية وإدخال المساعدات، من أدوية وأغذية ووقود، عن طريق معبر رفح والمعابر البرية الأخرى. غير أن التقارير الإعلامية وما جرى من عمليات عسكرية فيما بعد، خصوصاً مذبحة مُخيم النصيرات، أثبتت أن ذلك الرصيف استخدمته القوات الأمريكية في عملياتها العسكرية في قطاع غزة، حيث تسللت إلى منطقة النصيرات متنكرة بشاحنات المساعدات الوهمية وخاضت معركة إطلاق سراح أربعة أسرى صهاينة وقتل وجرح أكثر من 1200 شخص فلسطيني أعزل. لقد كانت الولايات المتحدة[1] أول دولة تعترف بالكيان الصهيوني عند تأسيسه في عام 1948، وظلت حتى اليوم مؤيدًا قويًا وداعماً ثابتًا للكيان الصهيوني، وساعدته على البقاء قوياً ومتفوقاً ضد أعدائهم المشتركين. لقد تميزت العلاقات الاستراتيجية بين الإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني بالحفاظ على المصالح السياسة الخارجية المشتركة، وبما يؤكد التزام الولايات المتحدة بأمن الكيان الصهيوني. وقد اتخذت تلك العلاقات أشكالاً متعددة ومختلفة، نمت وتوثقت عراها طوال العقود الماضية ويُمكن هنا ذكر بعضها.

المساعدات الاقتصادية والعسكرية: تلقى هذا الكيان منذ تأسيسه أكثر من 310 مليار دولار من المساعدات الخارجية الأمريكية، وهو أضعاف ما تلقته باقي الدول الحليفة لأمريكا حول العالم. وينبغي القول إن معظم هذه المساعدات تذهب لدعم الجيش الصهيوني، الأكثر تقدماً وتفوقاً في المنطقة، وأن هذه المساعدات تمثل حوالي 15% من الميزانية العسكرية الصهيونية. وقد تضاعفت هذه المساعدات منذ حرب تشرين الأول / أكتوبر 2023.

التعاون الوثيق في البحث العلمي والتطوير: وإنتاج بعض المعدات والذخائر عالية التقنية التي يستفيد منها كلا البلدين بشكل كبير. ويشمل هذا التعاون التقنيات المتطورة في مجال الدفاع السيبراني، وأجهزة الاستشعار عن بعد، وأنظمة الحرب الإلكترونية، والدفاعات المتقدمة للمركبات العسكرية، والطائرات بدون طيار، إضافة إلى نظام القبة الحديدية، ومقلاع داود، والسهم، وغير ذلك.

التعاون في مجال الاستخبارات: هنالك قناعة راسخة لدى الإدارة الأمريكية[2] بأن أمن الكيان الصهيوني واستمراره يُعتبر مهماً وضرورياً لأمن الولايات المتحدة ومصالحها الوطنية. وقد استفادت الولايات المتحدة طوال العقود الماضية من المعلومات الاستخباراتية التي تقدمها أجهزة الاستخبارات الصهيونية، التي اكتسبت خبرة وشهرة عالمية، عن الجماعات والأنظمة السياسية في الشرق الأوسط. ويعتقد الساسة الأمريكيون بأن الكيان الصهيوني يمتلك مواصفات وقدرات عملياتية هائلة تجعله عامل استقرار في منطقة الشرق الأوسط.

الحفاظ على التفوق العسكري النوعي للكيان الصهيوني: وتمكينه من مواجهة وهزيمة أي تهديد عسكري، مع الحفاظ على الحد الأدنى من الأضرار والخسائر. وهذا يتطلب من حكومة الولايات المتحدة تزويد الكيان بالأسلحة والذخائر الأمريكية الأكثر تطوراً قبل غيره من الحلفاء، والحرص على أن لا تمتلك دول حليفة أخرى أي أسلحة يمكن أن تؤثر على التفوق العسكري للكيان الصهيوني. وقد جرى تحويل المساعدات العسكرية من المخازن الاستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة شملت ذخائر الدبابات والمدافع والقنابل والصواريخ والأسلحة الصغيرة إضافة إلى طائرات من طراز إف15- وإف35- المعروفة بالشبح. وبذلك بات الكيان الصهيوني يمتلك أفضل المعدات والمنشآت العسكرية في المنطقة، وباتت الموانئ قادرة على استقبال أضخم السفن وأكثرها تقدماً، ومطاراتها مجهزة لهبوط وإقلاع مختلف أنواع الطائرات إضافة إلى منشآت الصيانة الملائمة للسلاح الأميركي.

لقد ارتبطت الولايات المتحدة والكيان الصهيوني بالعديد من مذكرات التفاهم والتعاون الأمني منذ عام 1998، كجزء من تحالفهما الاستراتيجي، هدفها زيادة المساعدة الأمنية للكيان الصهيوني وضمان تفوقه العسكري والنوعي. وبموجب هذه الاتفاقيات، التزمت الولايات المتحدة بتزويد الكيان الصهيوني بمبالغ سنوية تفوق قيمتها 3.3 مليار دولار كمساعدة أمنية. ويقوم الكونجرس بتشريع التمويل الكامل كما هو مطلوب في مذكرات التفاهم.

دعم الاقتصاد الأمريكي من خلال زيادة عدد الوظائف الأمريكية في الصناعات العسكرية. ويرى بعض الخبراء أن المساعدات الأمريكية تخدم في المقام الأول الاقتصاد الأمريكي حيث يتم إنفاق أكثر من 75% من المساعدات الأمنية المقدمة للكيان الصهيوني في الولايات المتحدة، مما يساعد في دعم الآلاف من الوظائف الأمريكية عالية الجودة في جميع أنحاء البلاد.

هل تقوم الإدارة الأمريكية، وحلفاؤها، بتزويد الكيان الصهيوني بالأسلحة بسبب حاجته الماسة إليها؟ أو بسبب ضعف جيشه؟ هل يشارك الجيش الأمريكي في القتال لأن جيش الاحتلال الصهيوني لم يعد قادراً على ذلك؟ أم أن الجيش الصهيوني بات غير قادر على مواجهة المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة والقضاء عليها. ربما يكون في ذلك شيء من الصحة. فبعد أشهر طويلة من القتال وحرب الاستنزاف ما زالت القدرات القتالية للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة في حالة جيدة وقادرة على إنهاك جيش الاحتلال وتكبيده خسائر غير مسبوقة. غير أن السبب الرئيس، أيضاً، هو العلاقة العضوية التي تربط الكيان الصهيوني بالإدارة الأمريكية والدول الحليفة، وما يمثله من تشابه في المضمون النازي الاستعماري، إضافة إلى الشراكة الاستراتيجية التي توثقت عُراها طوال العقود الثمانية الماضية. وهي شراكة بالإجرام والإبادة، ناهيك عن الدعم السياسي المطلق، كما تجلت مظاهره بإدارة المفاوضات السياسية من قبل وزير الخارجية الأمريكي، وعرقلة التوصل إلى أي اتفاق لصالح الشعب الفلسطيني ومنع الأنظمة العربية من التضامن مع الشعب الفلسطيني. وهذا يُوضح أن الكيان الصهيوني ما زال يعتبر القاعدة الاستراتيجية الرئيسة في المنطقة العربية والشرق الأوسط، ولا يمكن للولايات المتحدة أن تتخلى عنه تحت أي ظرف من الظروف. وإضافة إلى المصالح السياسية والعسكرية والاقتصادية المشتركة بين الطرفين، هنالك عوامل أخرى تُعزز هذه العلاقات من بينها البعد الديني، خاصة لدى الطوائف الإنجيلية، وأيضاً الدور الذي يقوم به اللوبي اليهودي الصهيوني والمنظمات المرتبطة به، حيث ما زال ممسكاً بزمام الأمور في الإدارات الأمريكية المتعاقبة. وقد ظل هذا اللوبي من أقوى العوامل التي تحافظ على مكانة الكيان الصهيوني المميزة في السياسة الأمريكية الخارجية والداخلية على السواء. لقد ظلت الإدارة الأمريكية حتى اليوم شريكة كاملة بعمليات القتل والتدمير ضد الشعب الفلسطيني وظلت الإدارات الأمريكية المتعاقبة تغطي الانتهاكات الصهيونية للقانون الدولي والإنساني، وتمنع اتخاذ أية قرارات من مجلس الأمن لإدانة الجرائم التي يرتكبها الكيان الصهيوني، منذ عام 1948 وحتى يومنا هذا. هذه السياسة الأمريكية جعلت الكيان الصهيوني فوق القانون، وبعيداً عن أي محاسبة. وعلى الرغم من أن الإدارة الأمريكية هي الأن شريكة بالإجرام وحرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني، إلا أن ردات الفعل القوية التي برزت مؤخراً، وخاصة في الجامعات الأمريكية، وبعض المؤسسات يشير إلى زيادة الوعي في صفوف الشعب الأمريكي، حيث باتت المواقف قوية ضد استخدام أموال دافعي الضرائب الأمريكيين في تمويل حرب الإبادة والجرائم ضد الإنسانية في قطاع غزة.

هوامش وحواشي

1.https://www.cfr.org/article/us-aid-israel-four-charts. U.S. Aid to Israel in Four Charts. Article by Jonathan Masters and Will Merrow. May 31, 2024.

2.https://www.aipac.org/resources/us-security-assistance-to-israel.

قراءة عبد الوهاب المسيري للصهيونية

د. موفق محادين ـ رئيس رابطة الكتاب الأردنيين

تفاعل المسيري مع محطات فكرية وأدبية مختلفة، من الماركسية إلى عقلانية مادية، إلى عقلانية إنسانية أقرب إلى العقل التوليدي الذي يقارب أفكار تشومسكي، فقد كان مشغولاً أيضاً بقراءات خاصة حول إشكالية التحيز والعلمانية، وأصدر في ذلك سلسلة من الكتب منها: إشكالية التحيز، العلمانية الجزئية والشاملة، إضافة إلى اهتمامه ودراساته الموسوعية حول اليهود واليهودية والصهيونية.

الصهيونية والحضارة الغربية

يقدم عبد الوهاب المسيري مقارباته حول الصهيونية وفق مقارنات معرفية وسوسيولوجية مع الحضارة الغربية من جهة، وفي خدمتها من جهة ثانية، كمشروع استعماري من خصائصه:

1. عمالة الاستعمار الصهيوني وتظهر أكثر ما تظهر في بحثه الدائب، في المراحل الأولى عن قوة إمبريالية ترعاه، فقد تفاوض هرتزل مع العثمانيين ثم مع الألمان والروس ومع الفرنسيين، وأخيراً مع الإنجليز الذين أدركوا الإمكانيات الاستعمارية الكامنة في المشروع الصهيوني.

وإذا كانت الصهيونية فكرة استعمارية، فإن كل مؤسساتها وممارساتها لا بد وأن تتصف بهذه الصفة الجوهرية. وقد كتب هرتزل مثلاً في كتاب دولة اليهود عن الشركة اليهودية التي ستقوم بتنفيذ كل من الخطة العملية والمخططات السياسية التي ستعدها الجمعية اليهودية (أي الدولة الصهيونية)، حسب التصور الصهيوني، هي تعبير عن جوهرها الاستعماري المتأصل، فهي ستكون «إمبراطورية بريطانية مصغرة» (إنجلترا الصغرى، على حد قول هرتزل) وستستند دعائم صهيون الجديدة إلى الغزو الاستعماري.

2. إحلالية الاستعمار الصهيوني وهي نتيجة حتمية «لصهيونيته» و(«يهوديته» المزعومة)، بل إننا يمكن أن نعتبر أن الإحلالية والصهيونية هما مترادفان يعبران عن الشيء نفسه. فالصهيونية كانت تهدف لإنشاء دولة يهودية خالصة، ووجود أي عنصر غير يهودي داخل هذه الدولة سيؤدي إلى إفشال المشروع الصهيوني من أساسه، أي أن البرنامج الصهيوني لأنه صهيوني، كان يقتضي ويتطلب إحلال اليهود محل العرب، وليس مجرد استغلال هؤلاء العرب. ولذا بينما كان الفلاح الإفريقي المطرود يستوعب في النظام الاقتصادي الجديد كبروليتاري، كان الفلسطيني، يتحول إلى لاجئ - أي إنسان منفصل عن أي نمط إنتاجي وكان غالبية الصهاينة مدركين للطبيعة الاستعمارية الاستيطانية الإحلالية للمشروع الصهيوني، ولعل شعار شعب بلا أرض لأرض بلا شعب» هو إفصاح عن هذا الاتجاه الإحلالي.

3. الصهيونية والرومانسية والنيتشوية: ثمة أنساق فكرية عديدة مرتبطة بالثورة الرأسمالية ساهمت في تشكيل الرؤية الصهيونية للعالم. ومن أهم هذه الأفكار الرؤية الداروينية التي نعدها البنية الفكرية التحتية للحداثة الغربية.

والفكر الصهيوني، مثله مثل الفكر النازي، ترجمة للرؤية الداروينية، فالصهاينة قاموا بغزو فلسطين باسم حقوقهم اليهودية المطلقة التي تجبّ حقوق الآخرين، كما أنهم جاءوا إلى فلسطين ممثلين للحضارة الأوروبية يحملون عبء الرجل الأبيض.

والنيتشوية هي الأخرى أحد التبديات المتطرفة والمتبلورة للرؤية الرومانسية، أو فلنقل إنها رومانسية عصر الإمبريالية والعنصرية، فهي التعبير الفلسفي عن الرؤية الداروينية للواقع. ونحن نحب أن نميز هنا بين كتابات نيتشه والنيتشوية. فكتابات نيتشه مسألة مركبة متداخلة متناقضة.

4. الفكر الاسترجاعي: ظهر في بدايات القرن السابع عشر ضرب من الفكر الصهيوني في صفوف الاستعماريين الغربيين يبشر بالعودة الجماعية لليهود (الشعب اليهودي) ليستوطنوا في فلسطين (أرض أجدادهم) وقد ظهر هذا الفكر أول ما ظهر في صفوف المسيحيين البروتستانت الذين يطلق عليهم اصطلاح «الاسترجاعيين». ويعود الفكر الاسترجاعي إلى العقيدة الاسترجاعية عن عودة المسيح المخلص في آخر الأيام ليحكم العالم، هو والقديسون، لمدة ألف عام يسود فيها العدل والسلام.

والرؤية الاسترجاعية تنظر لليهود باعتبارهم جماعة دينية قومية، فهم شعب الله المختار كما جاء في العهد القديم، وهم أيضاً الشعب اليهودي (بالمعنى السياسي الحديث). وهم شعب مرتبط ارتباطاً عضوياً بفلسطين، وبفكرة «الخروج» (باليونانية: إكسودس، فهو شعب «يخرج» من مصر أو بابل أو المنفى ليستوطن في فلسطين، وفي إطار الفكر الاسترجاعي أصبحت رؤية الخلاص تتطلب توطين اليهود في فلسطين أي «خروجهم» من الغرب)، حتى يعجلوا بعودة الماشيح المخلص. فالتوطين أو الاستيطان يخدم المصالح الربانية والإمبريالية في الوقت نفسه. فإرتس يسرائيل (أو فلسطين) هي الأرض التي يتحدث عنها الكتاب المقدس، وهي أيضاً البلد الذي يقع في قلب الإمبراطورية العثمانية (رجل أوروبا المريض) الذي كان الجميع يتوقعون سقوطه من أجل أن يرثوه وملء الفراغ الناجم عن هذا السقوط. وهي كذلك البلد الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط وقناة السويس ومصر وطريق الهند وبوابات الشرق.

ومما يجدر ذكره أن الرؤية الاسترجاعية البروتستانتية رؤية معادية لليهود، فالهدف من استرجاع اليهود هو هدايتهم وتحويلهم إلى المسيحية (بعد أن تقوم مذابح هرمجدون التي سيروح ضحيتها العديد منهم)، أي أن الصهاينة المسيحيين يودون استرجاع اليهود لإفنائهم إما دينياً أو جسدياً. ولذا نشأت المفارقة التالية: فبينما ترفض أوساط يهودية في الولايات المتحدة هذا اليمين الصهيوني بسبب نزعته الإبادية وكراهيته العميقة لليهود، تتحالف معهم الدولة الصهيونية لأسباب برجماتية، ولأن الصهيونية تنبع من كره اليهود ومن رفضهم.

أوّل عاصفة داخل ائتلاف نتنياهو منذ السابع من أكتوبر

نبال عمر ـ كاتبة صحفية فلسطينية ـ سورية

اعتاد المستوطنون على العواصف، لكن:
- هل سيكون نتنياهو وائتلافه بمأمن من هذه العاصفة؟
- هل سيملك مجالاً واسعاً من المناورة بعد أن هدد حزب شاس بإسقاط الحكومة؟
- هل استغلت المعارضة الإسرائيلية هذا المشروع لتحميل نتنياهو المسؤولية التي أبى أن يحملها منذ السابع من أكتوبر؟
- إلى ماذا سيؤدي تمرير هذا المشروع؟

تصاعدت في الآونة الأخيرة، وتيرة الأزمة الأشدّ داخل ائتلاف بنيامين نتنياهو منذ السابع من أكتوبر، مع إصرار رئيس الليكود على المصادقة على مشروع قانون يصرّ عليه حزب «شاس» الحريدي الشرقي، لتعيين مئات الحاخامات. وينقل القانون صلاحيّات اختيار الحاخامات البلديين (داخل البلدات) إلى وزير الأديان، بدلاً من السلطات المحلية، ما يعني تخصيص مئات الوظائف لمقرّبين من حزب «شاس» والتيارات الدينية القوية. ويعارض القانون وتوقيته أعضاء كنيست عن الليكود.

الانتقاد الأشدّ نحو التوقيت

الحرب، عندهم، ليس الوقت المناسب لمكافأة حزب شاس وتوزيع مئات الوظائف عليه. كما يتعرّض القانون لانتقادات لمضمونه: اليهودية نِحَلٌ وملَلٌ كثيرة تخشى أن تفرض عليها شاس حاخامات أكثر تطرفاً.

هذه الأزمة لا تهدّد الائتلاف الحكومي فقط، إنّما التحالف الذي عمل نتنياهو على توطيده منذ العام ٢٠٠٩، وخصوصاً بعد انتخابات ٢٠١٥: اليمين السياسي لا بدّ أن يترافق مع محافظة دينية.

ثمّة داخل الليكود أصوات يمينية ليبرالية وأمنيّة، قبلت خلال السنوات المقبلة تحالفها مع الحريديين، لكنها الآن تقف أمام هزّتين، هزّة صلاحيات تعيين الحاخامات وهزّة قانون عدم تجنيد الحريديين.

قواعد الصهيونية الدينية تعارض كذلك السيطرة المحتملة للأحزاب الحريديّة على تعيين الحاخامات. وهنا يبرز بن غفير، الذي اتهم نتنياهو وزعيم شاس، أرييه مخلوف درعي، بالتآمر مع منصور عباس ليتغيّب نواب كتلته عن التصويت وبهذا تبقى الأغلبية لتمرير القانون.

يصرّ معارضو القانون داخل الائتلاف الحكومي (بن غفير وأصوات داخل الليكود) أنهم سيعارضونه، وشاس تحذّر من تبعات عدم تمرير القانون.

أيّهما سيشدّ الحبل أكثر خلال الأيام والأسابيع المقبلة؟

للتوضيح أكثر، إذا تم إقرار مشروع قانون الحاخامات فقد يكلّف الكثير من الناحية الدبلوماسية والاجتماعية والاقتصادية، حيث اقتصادياً من المعروف للجميع أن رأس المال جبان وأن المستثمرين سيتجنبون الاستثمار في دولة تسير القوانين فيها وفق شرائع مالية معقدة ولا تتمتع بالأمان الكافي لاسيما بعد خفض التصنيف الائتماني لدولة الاحتلال إضافة إلى أنه سيكلف دافعي الضرائب عشرات الملايين من الشواكل سنوياً لتكون رواتب مئات الحاخامات الجدد الذين سيفرضون سياستهم وهذا سيؤدي إلى تآكل العلمانية واليسار ودور المرأة وسيتغير النمط الاجتماعي السائد في دولة الاحتلال وربما يتضرر العقد الاجتماعي بين اليهود المهاجرين من جميع أنحاء العالم والدولة فهم أتوا ليعيشوا في دولة متقدمة اقتصادياً وتقنياً، (دولة تقدّمت وبنيت على جثث الصامدين وعلى آثار المهجرين قسراً). أما على الصعيد الدبلوماسي فسيكون من الصعب التعامل مع دولة استشرس فيها التطرف الديني وخسرت معركة الرأي العام بعد حرب الإبادة على قطاع غزة.

كيف سحب نتنياهو قرار التصويت على المشروع بالكنيست قبل ليلة من الموعد المتفق عليه؟

ذكرت القناة 12 العبرية أنه جرت مكالمة هاتفية في وقت متأخر من الليل بين نتنياهو ودرعي بعد أن أصبح من الواضح أنه لن تكون هناك أغلبية مؤيدة لتمرير المشروع حيث قال رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو «إنه بذل كل جهده لتمرير مشروع القانون وحثّ زعيم حزب شاس على عدم تقويض الائتلاف بشأن هذه القضية ولكن حزب شاس حذر من أن انهيار الحكومة هو أمر لا مفر منه بعد أن سحب نتنياهو مشروع القانون من جدول أعمال الكنيست، وقال مسؤول في حزب شاس لم يذكر اسمه لهيئة البث الإسرائيلية (كان) «لا يوجد ائتلاف ولا يوجد انضباط والأمر الأكثر إحباطاً أن الليكود يتكون من 35 فصيلاً منفصلاً

كيف كان تعقيب المعارضة الإسرائيلية على ما جرى من أحداث؟

قال زعيم المعارضة يائير لابيد» أن رئيس الوزراء بدأ يفهم أن هناك أشخاصاً في الليكود لم يبقَ بوسعهم تحمل العار»

وتوقع لابيد أيضاً أن يكون الاختبار التالي هو قانون التجنيد للحريديم في إشارة إلى التصويت على مشروع قانون من شأنه خفض السن الذي يتم فيه إعفاء طلاب المعاهد الدينية من الخدمة العسكرية من 26 إلى 21 عام وزيادة معدل التجنيد الإجباري لليهود الحريديم ببطء وقال: «ما هو الأهم البقاء السياسي أم بقاء القوات؟».

وهنا يظهر بوضوح للقارئ للشأن الإسرائيلي بعد السابع من أكتوبر أن الانقسام بلغ مراحل متقدمة وأن جميع الأطراف من دون استثناء من حكومة ومعارضة وجسم عسكري وسياسي يتقاذفون التهم وهذا لم يكن مسبوقاً قط في تاريخ الاحتلال منذ قيامه.

«طوفان الأقصى»
يبدد أوهام الصهاينة وأحلام حزيران 67

إبراهيم أبو ليل ـ كاتب سياسي فلسطيني ـ سورية

تتزامن الذكرى السابعة والخمسين لنكسة حزيران 1967 مع الحرب المستمرة في قطاع غزة، حيث تتصدى المقاومة الفلسطينية للعدوان الصهيوني المتواصل وجرائم الإبادة الجماعية التي ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق الفلسطينيين الأبرياء، وجلهم من النساء والأطفال. وذلك إثر عملية طوفان الأقصى البطولية التي نفذها رجال المقاومة الفلسطينية، واستهدفوا المستعمرات والمواقع الإسرائيلية المختلفة في غلاف قطاع غزة، ولم تتمكن كل أجهزة الرصد والإنذار المبكر المتطورة من كشف رجال المقاومة الفلسطينية الذين نفذوا العملية بشجاعة وإتقان.

جاءت عملية طوفان الأقصى أكتوبر 2023 لتبدد أوهام الصهاينة وشعورهم بالعظمة الذي ساد منذ حرب حزيران 1967، والذي خلق حالة من الاستهتار بالإنسان العربي، ودفعهم إلى حدود اللامعقول في الثقة بالجيش الإسرائيلي، فتولد لديهم اعتقاد بأنه لا ينهزم، وأُطلقت عليه تسمية «الجيش الأسطوري الذي لا يقهر» إلى جانب الكثير من صفات العنجهية والغطرسة. وهذا الاعتقاد قاد إلى استخلاصات بعيدة عن الواقع، حيث اعتبر الصهاينة الكيان الصهيوني قوة عظمى يمكن أن تترجم إنجازاتها العسكرية إلى مكاسب سياسية بسرعة فائقة. وعلى ضوء نتائج حرب حزيران واحتلال مساحات واسعة من الأراضي العربية، تعمقت النزعة العنصرية والعدوانية تجاه العرب، وازدادت المبالغة في الاطمئنان للفوز العسكري الذي تحقق في الحرب، كما سادت أجواء من اللامبالاة والاستهتار استمرت حتى عشية حرب تشرين 1973 التي حطمت حالة النشوة والغطرسة والغرور السائدة في حينه إلى شظايا، وأدت إلى نهاية الحكم الطويل لحزب العمل الإسرائيلي آنذاك. وهي شبيهة إلى حد كبير بالأجواء التي سادت في الكيان الصهيوني تحت قيادة نتنياهو عشية عملية طوفان الأقصى في 7 اكتوبر 2023. فقد اطمأنت حكومة نتنياهو إلى حركة حماس بأنها لن تقوم بأي عمل مقاوم، وهي تنحو إلى التهدئة والاستعداد للدخول في هدنة طويلة المدى مع الكيان الصهيوني، لعدم مشاركتها بثلاث جولات من المواجهة خاضتها حركة الجهاد الإسلامي وحيدة ضد قوات الاحتلال (ثأر الأحرار ووحدة الساحات وبأس جنين). وعلى الصعيد العربي اعتبر نتنياهو أن تظهير العلاقات مع بعض الحكومات العربية من السرية إلى العلن، وتطبيع العلاقات في إطار اتفاقات (أبراهام)، مكّنه من تجاوز الشعب الفلسطيني، وتهميش القضية الفلسطينية، ولم يعد زمام المبادرة في يد المقاومة الفلسطينية، ما دفع نتنياهو إلى مزيد من العنصرية والتصعيد في الإجراءات العدوانية ضد الشعب الفلسطيني، إذ أطلق عتاة المستوطنين والمتطرفين الصهاينة في الحكومة الإسرائيلية، لارتكاب الجرائم ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية، واستباحة المسجد الأقصى المبارك واقتحامه يومياً، والاعتداء على المقدسات في مدينة القدس المحتلة. وقد أدت هذه السياسة إلى اندلاع مواجهات مستمرة بين المستوطنين والفلسطينيين في مدن الضفة الغربية وبلداتها ومخيماتها، كما عمقت التناقضات الداخلية في الكيان الصهيوني في ظل سيطرة الصهيونية الدينية على الحكومة الإسرائيلية وقراراتها منذ تشكيلها، ورضوخ نتنياهو لشروطها كي يحمي نفسه من المحاسبة والإفلات من عقوبة السجن بعد الاتهامات التي وجهت له وأدانته بشكل رسمي. وقد حذر البروفيسور يحيعام فايتس الباحث والمحاضر في جامعة حيفا من أن الأجواء في الكيان الصهيوني منذ سنوات تنذر بالخطر، وذلك في مقالة نشرتها صحيفة هآرتس بتاريخ 2018/5/27 قال فيها: (مثلما كان الوضع في العام 1973، يسير المجتمع الإسرائيلي اليوم بعمى خلف زعيم متعجرف ومتغطرس، يقودنا إلى حافة الهاوية).

وعلى الرغم من أن الكيان الصهيوني استطاع أن يشن عدوانه على الفلسطينيين والدول العربية، ويجني مكاسب ملموسة على المستوى العسكري، إلا أنه لم يستطع أن يحقق نجاحاً موازياً لذلك على الصعيد السياسي، مع العلم أنه استخدم كل أساليب القمع والإرهاب وفرض الحصار، حسب اعتقاد القادة الإسرائيليين بأن هذه المبادرة العسكرية ستدفع العرب إلى الاستسلام والخضوع. فقد صور الصهاينة حرب حزيران على أنها استكمال لحرب 1948 وأنها «نهاية التاريخ اليهودي»، من أجل خلق الانطباع بأن المشروع الصهيوني قد حقق ذاته وكرس وجوده جغرافياً وديمغرافياً على نحو يجعل الكيان الصهيوني شأناً مركزياً في حياة يهود العالم. وقد لعبت حرب حزيران دوراً هاماً في إعادة بعث الأحلام الصهيونية في إقامة «الدولة اليهودية»، من خلال استدعاء رأس المال والشتات اليهودي وإقناعهم بأن إقامة الكيان الصهيوني ليست مجرد مغامرة، بل تأسيس حقيقي «للحلم اليهودي». وقد أحدث عدوان حزيران 1967 تغيراً في ميزان الاستيطان الصهيوني، فاندفعت الجهود الإسرائيلية لاستيطان الأراضي العربية تحت الاحتلال. وعلى الرغم من احتلال الكيان الصهيوني لباقي الأراضي الفلسطينية عام 1967 إلا أنه عجز عن التخلص من الفلسطينيين وإفراغ الأرض من أهلها الأصليين، إذ لم تتمكن سلطات الاحتلال من طردهم أو تهجيرهم عن أرضهم، حيث بذلت ولا زالت جهوداً دؤوبة لنفيهم وتغييبهم بعد اغتصاب فلسطين عام 1948. وعلى العكس فقد أعاد الفلسطينيون تأكيد وجودهم بعد عام 1967 وأصبح العامل الديمغرافي عنصراً هاماً في المعركة المصيرية مع الكيان الصهيوني، وشكل خطراً حقيقياً على مستقبل المشروع الصهيوني. وجاءت عملية طوفان الأقصى لتؤكد هشاشة الكيان الصهيوني، وأحدثت اختراقاً في وعي الصهاينة ومعتقداتهم التي بنيت على الأساطير التوراتية والتلمودية الزائفة، والتي تعتبر اليهود شعباً مقدساً، وتمنحه مكانة استثنائية تميزه عن شعوب الأرض وتضعه فوق القانون. كما أن عملية طوفان الأقصى كشفت ضعف ارتباط المستوطنين الصهاينة بالأرض، لأنهم لا ينتمون لها ولا لتاريخها ولا لثقافة شعبها، فقد جاؤوا من مختلف بلدان العالم بناء على دعوات المفكرين والحاخامات اليهود، من أجل الذهاب إلى المدينة المقدسة والتحريض على هدم المسجد الأقصى المبارك وإقامة «الهيكل» وفق تصوراتهم وادعاءاتهم. فقد تحطمت كل المرتكزات التي بنى المستوطنون أوهامهم عليها، وانهارت الأسطورة الخرافية والمفاهيم التي ينطلق منها قادة المشروع الاستيطاني، بأن أرض فلسطين خالية وأنها الأرض التي وعدوا بها.

وتعيد مفاجأة طوفان الأقصى إلى أذهان الإسرائيليين حرب تشرين/أكتوبر 1973 عندما أخفق الجيش الإسرائيلي في كشف المفاجأة التي قام بها الجيشان السوري والمصري. غير أن هذه العملية (طوفان الأقصى) نُفذت من قبل عدد قليل من المقاومين الفلسطينيين، وفي ظل الدعم الكبير الذي يتلقاه الكيان الصهيوني من الولايات المتحدة ووجود عتاة المتطرفين اليهود في الحكومة الإسرائيلية. وتؤكد الدوائر السياسية والأمنية والإعلامية في الكيان الصهيوني أن هذا الحدث يفوق كثيراً الإخفاق الإسرائيلي في حرب تشرين 1973. ففي عملية طوفان الأقصى استطاعت مجموعات المقاومة اختراق جميع الحواجز الطبيعية والالكترونية التي تم بناؤها مبكراً منذ أن فرض الحصار على قطاع غزة عام 2007، والتي اعتبرها قادة الكيان بأنها مستحيلة الاختراق، ولم يتوقعوا أن رجال المقاومة في قطاع غزة سيتجاوزونها بهذه السهولة، وهو الذي أثار الدهشة وأثار الصدمة في أوساط القيادة الإسرائيلية. وبحسب تصريحات القادة الاسرائيليين، فقد انهارت فكرة تصميم «منظومة متعددة المستويات» التي وضعتها القيادة الاسرائيلية منذ عام 2009 من أجل ردع المقاومة، وحلت محلها فكرة معادلة جديدة وفق تقرير لمعهد أبحاث الأمن القومي صدر في اليوم الأول لمعركة طوفان الأقصى، بأن إنهاء المقاومة في غزه هو أمر إسرائيلي ضروري لتحقيق ثلاثة أهداف:

1. إضعاف تأثير قطاع غزه على الضفة الغربية.
2. إنهاء دور الجمهورية الإسلامية الإيرانية على الساحة الفلسطينية.
3. ترميم صورة الكيان الصهيوني التي تحطمت في هذه العملية.

ويقرّ قادة الجيش والمؤسسة العسكرية الإسرائيلية أنهم يواجهون خصماً شرساً لا يستطيعون ردعه ويوجه لهم الضربات القاتلة بلا تردد. وعلى الرغم من جرائم الإبادة التي ارتكبتها قوات الاحتلال ضد المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة، وتدمير المباني والمنشآت وتسويتها بالأرض، لم تتمكن من العثور على المقاومين الفلسطينيين، إذ أخفق رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو في تحقيق الهدف الذي أعلنه مع بداية العدوان على القطاع، ولم يتمكن من حسم المعركة، كما لم يتمكن من القضاء على المقاومة، ولم يستطع الوصول إلى الأسرى الإسرائيليين واستعادتهم بالقوة العسكرية. وأمام صمود المقاومة التي كبدت الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة في الأرواح والآليات، سقط مفهوم «الحسم» وبات أمراً مستحيلاً، ما جعل نتنياهو يتراجع عن هدفه المعلن تحت ضغط الخسائر واحتجاجات عائلات الأسرى من جهة، وضغط الوقت ونفاذ الفرص من دون تقديم إنجازات ترضي الجمهور الإسرائيلي من جهة أخرى. فلجأ إلى استخدام مفهوم «النصر المطلق» في محاولة للتعويض عن الفشل في حسم المعركة، وراح يتحدث عن إطالة أمد المعركة، من دون تحديد ماهية النصر الذي يبحث عنه.

وعليه، فقد أسهمت حرب حزيران 1967 في تعزيز الدور العدواني للكيان الصهيوني في المنطقة. وقد روجت الدعاية الصهيونية للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية، وأعطت الانطباع بأن الجيش الإسرائيلي أثبت تفوقه العسكري على الجيوش العربية، وأثبت جدارته في خوض المعركة وحده، وأنه مؤهل لكسب ثقة المركز الإمبريالي من أجل دور متميز في الصراع العربي الصهيوني، بينما علّمت حرب تشرين/أكتوبر 73 الحكومات الإسرائيلية حدود القوة، وأن الجيش الإسرائيلي الذي فقد هيبته لا يستطيع السيطرة على جميع الأراضي التي احتلها بالقوة، فيما أكدت عملية طوفان الأقصى 7 تشرين أول/ أكتوبر 2023 فشل الاحتلال الصهيوني عسكرياً وأمنياً في السيطرة على قطاع غزة، رغم سنوات الحصار الطويلة، وجعلت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية عرضة للاتهامات من المستويات الإسرائيلية الأخرى، بأنها تتحمل مسؤولية حدوث العملية. وقد تصدر الصحف الإسرائيلية عنوان «انهيار المنظومة الإسرائيلية» أمام المقاومة الفلسطينية في قطاع غزه، وسادت الكيان الصهيوني حالة عدم الثقة وفقدان الأمن الشخصي، والخطر الوجودي الذي يهدد مستقبل المشروع الصهيوني في المنطقة.

متلازمة الأنفاق والنقطة صفر
تؤرّق الجيش الذي لا يُقهر

إلهام الحكيم ـ كاتبة فلسطينية ـ تركيا

مضت عقود ثمانية على النكبة الفلسطينية وقد عمدت العصابات الصهيونية على دب الرعب في قلوب المدنيين الفلسطينيين الآمنين في ديارهم وخاصة الأطفال والنساء والشيوخ من خلال ارتكاب المجازر الوحشية التي ساهمت بتهجيرهم وإجبارهم على ترك ممتلكاتهم واللجوء للمناطق المحيطة هرباً من البطش والتنكيل. من حينها ارتسمت صورة الجيش الصهيوني في الذهنية العربية باعتباره المنتصر الذي لا يُقهر وخاصة أنه هزم الجيوش العربية في عدة حروب لاحِقة. لكن اليوم السابع من أكتوبر 2023 «طوفان الأقصى» قَلَبَ المفاهيم وحطّم تلك الأسطورة وكشف هشاشة ذلك الكيان الذي بُنيَ على الباطل وأنه أوْهن من بيت العنكبوت وما كان ليستمر لولا الدعم والتسليح الغربي وخاصة الأمريكي.

لقد استطاعت المقاومة الفلسطينية تفكيك الدومينو المزيّف وتحرير جانب من غلاف غزة عدة ساعات استطاعت خلالها أسْر مئات المستوطنين المحتلين.. اقتادتهم إلى غزة بهدف التفاوض عليهم وإطلاق سراح آلاف الأسرى الفلسطينيين من سجون الاحتلال. ذلك الحدث الاستثنائي رسّخ صورة المقاومة القادرة على تعزيز صمود الشعب الفلسطيني والدفاع عن حقوقه المشروعة.. قابله الذهول والصدمة الصهيونية التي تواصلت رغم العدوان الهمجي وسياسة التجويع والقصف والتدمير الممنهج الذي استهدف كل مقومات الحياة المدنية في كافة أنحاء القطاع مستخدماً مختلف أسلحة الإبادة والتدمير الشامل التي يزوده بها حلفاؤه بهدف القضاء على المقاومة والوصول للأسرى الصهاينة وتخليصهم، مع أن الحقيقة تؤكد استهداف المدنيين العزّل وملاحقتهم في كل مكان وقد تجاوز عدد الشهداء «37598» شهيداً إضافة لإصابة 86032 فلسطينياً – حين كتابة هذه السطور - معظمهم من الأطفال والنساء الذين لم يتمكنوا من إيجاد مكان آمن يمكن اللجوء إليه لأنه لم يعد في غزة مكان آمن. هذه الأرقام من المدنيين الفلسطينيين يقابلها حسب اعتراف الجيش الإسرائيلي مقتل وإصابة الآلاف من الضباط والجنود والمعاناة من الاضطرابات النفسية بعد الإصابة بالمعارك لهذا لجأ قسم التأهيل في الجيش إلى تشكيل فرق الأطباء النفسيين والممرضين القادرين على التعامل مع الميول الانتحارية من أجل تقييم الجنود الذين يعانون من الاضطرابات النفسية ودخل البرنامج حيز التنفيذ في شباط 2024 وقد شمل حينها 13500 من الجنود المصابين في حرب غزة، وطبعاً تعتبر الإصابات - المعترف بها - هي الأعلى على الإطلاق عن كل الحروب السابقة مع الجيوش العربية مجتمعة، وقد شكّلت الأعداد المتزايدة من القتلى والجرحى كابوساً متفاقماً للضباط والجنود على السواء وجعلتهم يعانون من الانهيار والصدمة والوقوع بنوبات الهلع والبكاء والرعب التي ترافقهم خلال تنفيذهم لمهامهم القتالية على الأرض فيقعون فريسة الخوف من تتبع المقاومين لهم واستهدافهم أينما وُجدوا ويكبدونهم الخسائر البشرية وبالعتاد والآليات التي يعتبرونها حصناً منيعاً وحامية لهم لكن الواقع أثبت هشاشتها وضعفها أمام إرادة المقاومين المسلحين بالعقيدة والإيمان بالحق المشروع، وينقل الجنود أنهم يحاربون الأشباح ولا يعرفون من أين يخرج الفلسطيني ويستهدفهم من النقطة صفر ثم يختفي. هذه الاعترافات نقلتها وسائل الإعلام الصهيوني على لسان الضباط والجنود الذين تلاحقهم الكوابيس والاضطراب والتخبط والقلق ونوبات الاكتئاب خلال إجازاتهم أو فترة النقاهة والعلاج فيقع المصاب فريسة صدمات الحرب والهلع والتوتر الذي يتغلب على عقليته فيلجأ الأطباء لحقنه بالمواد المخدرة لمساعدته على النوم ناهيك عن تقييد البعض بالأصفاد لكبحهم عن اللجوء للعنف وقتل الموجودين معهم في المصحة أو المشفى، وقد نقل الإعلام العبري قتل الجندي لزملائه، وغيره الذي استيقظ من النوم وأطلق النار على الجدار. وآخر تعمّد إيذاء نفسه أو الانتحار خوفاً من الالتحاق مجدداً بأرض المعركة في غزة حال الشفاء.. أو يلجؤون لطلب الإعفاء من الخدمة لأسباب نفسية، وقد قفز الكيان الصهيوني إلى المرتبة الرابعة في معدلات الانتحار حسب منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية.

هروب الأطباء النفسيين إلى الغرب طلباً للاستقرار:

يبدو أن عدوى الخوف والهلع والاضطرابات النفسية لم تصب الضباط والجنود على أرض المعركة فقط بل طالت الأطباء النفسيين المشرفين عليهم نتيجة الفشل بالتعامل مع الأعداد الفائقة والمتزايدة من المرضى النفسيين العسكريين فكان الخيار الأمثل لهم المغادرة لأماكن أكثر استقراراً وكانت بريطانيا هي الوجهة المثلى لمعظمهم، وقد حذّرت جريدة «هآرتس» في أحد تقاريرها من خطر انهيار منظومة الصحة النفسية، وأظهر التقرير الحاجة الماسة للمزيد من الأخصائيين النفسيين وضرورة الاستعانة بالمتطوعين حيثما أمكن للتعامل مع الميول الانتحارية خاصة مع تفشي ظاهرة العنف بين المرضى فيما بينهم أو مع الكادر الطبي نتيجة إصاباتهم الخطيرة بالأطراف أو فقدانها وبالتالي الإصابة النفسية والعقلية.. هذه الحالات المستجدة والمترافقة مع فخاخ وأنفاق المقاومة دفعت الأطباء والمختصين لإطلاق بعض المصطلحات المرتبطة بالأحداث «متلازمة طوفان الأقصى، متلازمة الأنفاق» خاصة مع تنامي عدد القتلى والمصابين حيث تشير التقارير أن 30 ألف جندي اتصلوا بالخط الساخن للصحة النفسية خلال شهر أكتوبر2023 فقط، ثم تضاعفت الأعداد مع مرور الشهور كما أعيد تأهيل الآلاف منهم خاصة الذين يعانون من حالة خطيرة أو مشكلات عقلية بسبب إجهاد ما بعد الصدمة، وذكرت الهيئة الطبية الإسرائيلية أن 9000 جندي تلقوا علاجاً نفسياً خلال الأشهر الأولى للحرب منهم 1700 بحاجة للمتابعة بصورة دورية، وأن 1600 جندي عانوا صدمات الحرب وأعراض التوتر ربعهم لم يعودوا للقتال في غزة، كما توقع المجلس الوطني الإسرائيلي للصدمات إصابة «60-80» ألف شخص بأعراض تخلف عقلي بسبب الصدمة من الهجوم المفاجئ والحرب كما سيصاب ما لا يقل عن 550 ألف شخص بأزمات وأمراض نفسية متفاوتة.. أما تقرير المعهد الوطني لأبحاث السياسات الصحية فقد أثار مخاوفه من الآثار النفسية على عقول الجنود الذين تأثروا بالمعارك من «النقطة صفر» مع مقاتلي المقاومة «عن بوابة الوسط 2024/6/13».

الصراع بين الحق والباطل:

متابعتنا للأمراض النفسية والاضطرابات العقلية بين جنود الاحتلال المدججين بأعتى آلات الحرب المتطوّرة ويرتدون الملابس المحصّنة تدفعنا للمقارنة بينهم وبين المقاتل الفلسطيني الذي لطالما رأيناه حافي القدمين أو ينتعل «الشبشب» أو الحذاء البسيط ممتشقاً سلاحه على كتفه مترقباً وصول الدبابة أو ناقلة الجند فيقصفها ويقضي على من فيها وهو يصرخ «وَلّعَت».. وترى غيره بملابس خفيفة تكاد لا تقيه من حر الصيف وبرد الشتاء يعانق الشواظ ويركض بها نحو الآلية الصهيونية فيلصقها عليها ويعود مسرعاً ليفجرّها وهو يكبّر.. وآخر يطلق قذيفة الهاون بالتعاون مع رفاقه فتصيب الهدف ويهللون فرحين.. وغيرهم يلغّمون النفق ويستدرجون الجنود ويفجروه بهم.. يفخخون الأمكنة التي يتوقعون مرور الصهاينة بها.. يقنصون الجنود برباطة جأش.. بطولات فردية وجماعية لمقاومين يتسلحون بالعقيدة والانتماء لوطن يؤمنون بحقهم به محرراً من العصابات والمستوطنين المرتزقة الذين لم يستوعبوا ضخامة ما يواجههم فنراهم يهللون فرحين عند انتهاء مهامهم القتالية ويغادرون وهم مسربلين بالعُقَد والأمراض النفسية، في حين يعود المقاوم الفلسطيني إلى نفقه متجذراً بأرضه ليتهيأ للمهمة القادمة المتواصلة حتى النصر والتحرير.

إسرائيل على الحافة

محمد نذير جبر ـ كاتب وشاعر سوري

وضعية الزوغزوان «إلزامية التحرك» هي حالة في الشطرنج، أي حركة يقوم بها اللاعب تضعف وضعيته وتؤدي به إلى الخسارة، «سيزولون قريباً لذلك يدمرون كل شيء. كل العالم اكتشف حقيقتهم». ـ ميل غيبسن

المقاطعة

عرفت المقاطعة تاريخياً أنها امتناع اختياري متعمد لاستخدام أو شراء منتجات معينة بهدف الضغط الاقتصادي والسياسي لتغيير سلوك مرفوض. ومن التاريخ نتذكر مقاطعة الهند للاستعمار البريطاني بقيادة المهاتما غاندي بقوله: «كلوا مما تنتجون والبسوا مما تصنعون وقاطعوا بضائع العدو».

تعتبر المقاطعة من أقدم أساليب المقاومة ضد الاحتلال والعنصرية في فلسطين، حيث قامت القوى الوطنية بمقاطعة المصالح الصهيونية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي، وعملت الدول العربية ودول عدم الانحياز على مقاطعة الاستثمارات والبضائع الإسرائيلية بعد النكبة عام 1948. كما أن نقطة التحول في مسار حركة المقاطعة الدولية جاءت في التاسع من تموز عام 2005 حيث أصدرت مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني نداء إلى المجتمع المدني الدولي تطالبه بالعمل على مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها حتى تتصاع للقانون الدولي ونيل الشعب الفلسطيني حقوقه وفي المقدمة منها تطبيق حق العودة للاجئين والمهجرين الفلسطينيين، وإنهاء الاحتلال العسكري للأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 وإزالة ما لحقه من تبعات، ومنح المساواة الكاملة للفلسطينيين داخل الخط الأخضر. وقّع على هذا النداء أكثر من 170 نقابة واتحاد ومؤسسة وحركة وحملة فلسطينية تمثل جميع قطاعات الشعب الفلسطيني في فلسطين التاريخية والشتات.

حركة المقاطعة وطوفان الأقصى رصاصتان في بندقية واحدة

بعد عملية طوفان الأقصى تنشطت حركة المقاطعة في أنحاء العالم كافة، إذ تحولت إلى وسيلة للتعبير عن التضامن مع القضية الفلسطينية ورفض الإبادة الجماعية والتطهير العرقي العلني الذي يشنه العدو على أهلنا في قطاع غزة، فانضم العديد من الأفراد والمؤسسات إلى حركة المقاطعة وتفانت في دعمها وتبني مبادئها، فتمكنت الحركة من تحقيق انتصارات اقتصادية كبيرة مثل سحب بعض الشركات الدولية لاستثماراتها من إسرائيل وغيرها الكثير من الاحصائيات الاقتصادية التي أشارت إلى خسارة فادحة في العلامات التجارية والشركات التي تدعم الكيان الصهيوني، ستاربكس وماكدونالدز وكنتاكي وكل الشركات والعلامات التجارية التي لها صلات بالكيان، وقد قُدّرت خسائرها في الإحصائيات الأخيرة قبل ٤ أشهر بالمليارات، وبالنظر إلى فروع هذه الشركات في الدول العربية وفي العالم فإن الإقبال عليها انخفض بنسبة 80%، ولم تقتصر المقاطعة على الجانب الاقتصادي فقط بل على كافة الجوانب فبينما أكتب هذا المقال ينطلق شعار «ليس وقت الفرح» لدعوة واسعة لمقاطعة مهرجان موزاين الفني في المغرب، ويدعو نشطاء مغربيون للمشاركة في وقفات احتجاجية ستشهدها أرفود ومكناس ضد استمرار المجازر الصهيونية وللمطالبة بإنهاء التطبيع مع الكيان، وفي الأيام السابقة احتفى أهل المغرب بانسحاب علامتين تجاريتين عالميتين من السوق المغربي وهما «ستاربكس» و«إتش آند إم» إذ شهد الشارع المغربي التزاماً كبيراً بالمقاطعة وليس جديداً عليهم هذا الأمر فالشارع المغربي مقاطع لعدد من العلامات التجارية الأمريكية منذ سنوات بسبب الدعم المعلن لإسرائيل، وعلى الجانب الآخر شهد الأردن أيضاً التزاماً غير مسبوق بالمقاطعة إذ تحولت إلى ثقافة وأسلوب حياة وشكلت حملتهم المقاطعة الأكبر من نوعها واستمرت بزخم عال خلال فترة الحرب، فشهد الشارع الأردني إغلاق فرعين، حتى الآن، لسلسلة مقاهٍ عالمية، في وسط العاصمة عمّان وغربها، وانتشرت عبارة «أنا مش مقاطع أنا مستغني» على وسائل التواصل الاجتماعي بهدف القول إن المقاطعة تحولت إلى استغناء، وبحسب ناشطين فإن علاقة الناس ببعضهم أصبحت مشترطة بمدى التزامهم بالمقاطعة ووصولهم فعلاً إلى مرحلة الاستغناء، وبحسب ناشطين حاول أحد فروع ماكدونالدز إظهار أنهم غير داعمين للكيان وقام بتعليق لوحة على الواجهة تقول «ندعم غزة» فرد عليه الأردنيون على وسائل التواصل الاجتماعي «والله لو تبثوا كلمة أبو عبيدة لايف من ماكدونالدز رح نضل مقاطعين».

المقاطعة سلاح يقصم ظهر العدو

شكلت المقاطعة خطراً كبيراً على إسرائيل إذ تهشم اقتصادها وتراجعت أرباحها ودخولها من المنتجات الداعمة لها في وقت قصير، فعاد الكيان وداعموه إلى حجتهم المعهودة «معاداة السامية» أي إن الشعوب حول العالم تعادي السامية لأنها قاطعت الشركات التي تدعم الكيان وتمده بالأموال لشراء السلاح واستمرار الإبادة والتطهير العرقي العلني بحق المدنيين والأطفال في قطاع غزة، وقد صنف مكتب حماية الدستور الألماني حركة مقاطعة إسرائيل الفلسطينية (BDS) كحركة متطرفة مشتبه بها، فبحسب وسائل إعلام ألمانية قدمت وزيرة الداخلية الألمانية نانسي فيرز تقريراً تهاجم فيه حركة المقاطعة، ويعمل الكيان بكل جهده للتضيق على الحركة ومحاربتها كخطر وجودي.

إسرائيل تفقد السيطرة

أكدّت صحيفة هآرتس الإسرائيلية في السادس من يونيو أن الحكومة الإسرائيلية وبعد ٨ أشهر من الحرب لا تملك إنجازاً واحداً يحسب لها، وأنها أمام سلسلة إخفاقات وأضرار لحقت بها على الصعد كافة الدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، وأوضحت هآرتس أن الكيان يتعرض لموجة عارمة من القرارات الأوروبية التي ستضر بالاقتصاد وبمكانتها، كما تتعرض بشكل شبه يومي لقرارات خارجية تؤدي إلى انهيار فكرة أنها جاذبة للاستثمارات العالمية، وأشارت الصحيفة إلى أن إسرائيل شهدت ارتفاعاً كبيراً في الأسعار خلال الأشهر الأخيرة وأن المقاطعة تتسع وستحمل تأثيراً طويل الأمد على تكلفة المعيشة وعلى القدرة التنافسية في إسرائيل، كما لفتت الصحيفة إلى أنّ الأزمة الاقتصادية تتفاقم بسبب الحكومة المشتتة «التي تفشل في معالجة مشكلة غلاء المعيشة»، ومن المؤشرات التي طرحتها هآرتس ارتفاع أسعار الشحن بسبب تهديد الصواريخ اليمنية.

وفي أحدث محاولةٍ لعزل كيان الاحتلال، دعت وزارة التجارة الكولومبية مؤخراً إلى الحد من صادرات الفحم إلى «إسرائيل»، مع مواصلتها الحرب على قطاع غزة، بحسب ما أفادت وكالة «بلومبرغ»، «وقدّمت وزارة التجارة الكولومبية توصية بفرض قيود على مبيعات الفحم لـ«إسرائيل»، وفقاً لوثيقة داخلية، اطّلعت عليها الوكالة».

إننا نتعامل مع عدو لديه من الاحتياطي ما يكفيه لسنوات دون أدنى شك، ليس علينا المقاطعة فقط وإنما الاستغناء الكامل عن كل المنتجات التي دعمت الإبادة الجماعية في غزة .

ليس بالمقاطعة فقط وإنما بالاستغناء، ليس الاستغناء فقط وإنما بالتظاهر والاحتجاج، بدل أن يفقد عقله كل إنسان على حدة أمام شاشات التلفاز ونشرات الأخبار، لنفقد عقولنا دفعة واحدة في ساحة عامة بكلمة ثورة.

دور المثقف في معركة طوفان الاقصى

حورية الصفدي - كاتبة سوريّة

يؤدي المثقف دوراً مهماً على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والوطنية كافة، ويُعَول عليه في تغيير الواقع لما يمتلكه من إمكانات، وقد أشار معظم الفلاسفة إلى أهمية دور المثقف على المستويات كافة ومركزيته.

يقول الفيلسوف الإيطالي أنطونيو غرافشي (إن المثقف يموت حينما يتخلى عن قضايا مجتمعه وعصره لينغمس كلياً في ممارسة الحياة، والأهم هو ملامسة عقول من حوله بالأفكار التنويرية التي تساهم في بناء مجتمع راق يعشق العلم والمعرفة ويتعامل مع جميع القضايا بحكمة وموضوعية وسمو ناشداً الخلاص والحياة.

فقد كان للمثقف الدور الريادي بقيادة الثورات وإذكاء روح الجهاد في النفوس التائقة للحرية والعدالة، فالمثقف ليس مجرد صاحب المعرفة الواسعة لكنه ذلك الذي تجعله معرفته ينحاز إلى قيم الحرية والعدالة والسلام والتقدم كما يقول (سارتر)، والمثقف هو الذي يقلص أكبر قدر من السلبيات ويوسع دائرة الإيجابيات بأي موقع كان.

المثقف لا يقتصر على المتحدث باللغة الفصحى والذي يملك كماً معرفياً فقط... المثقف هو الذي يسهم بانتشال المجتمع من المشكلات ويساهم بكل جدية بحلها قولاً وعملاً. المثقف ينخرط بالجماعة التي تناهض الظلم وتصرخ بالحرية والحق والعدالة وقدسية الأرض. المثقف ينحاز للجماعة.. للأرض.. للجذور المعتقة بالثرى... لأن المثقف وحده من يمتلك رؤية واضحة بعيدة ذات هدف سامي نبيل.

لكن هناك فرق بين مثقف السلطة والمثقف المرتبط بمصالحه الشخصية، والمثقف الفاعل أو المنتج الذي يرتبط بهموم مجتمعه بكل تفاصيله الذي يضع منهجاً عملياً لهدفه ووجهته التي تفضي إلى رفع المعاناة عن أبناء المجتمع والارتقاء به، ويناصر الغالبية العظمى ويناضل معها بثبات وقوة لرفع الظلم والأذى ويعمل بصف الجماهير التي يسلحها بالوعي باستراتيجية منظمة تخدم المبادىء والأهداف العامة التي تناضل من أجلها.

فالمثقف حجر الأساس لمكونات جوهرية هي الإنسان والطبيعة والكون. وحجر أساس هام في وعي الشعب والإعلام حيث يقع على عاتقه متابعة المجتمع وقضاياه لأنه يمتلك حساً نقدياً عالياً.

اليوم نلاحظ أزمة المثقف العربي الذي بدأ يتخلى عن الأفكار الثورية الهامة والنوعية ويتجه نحو روح الاستسلام والانهزام والتسليم بالواقع، في الوقت الذي يتطلب منه أن يكون على مستوى التحديات الكبرى التي تواجه الوطن العربي، إننا بحاجة إلى مثقف يمتلك منظومة فكرية ثقافية فلسفية عقلانية ثورية تكون أداة فاعلة لتغيير الواقع وتنظيم أهداف الجماهير بعيداً عن التخبط والفشل.

فقد شهد التاريخ مشاركة المثقفين بالثورات، كما شارك المثقفون الفرنسيون بالثورة عند الهجوم على الباستيل؛ الثورة التي هدمت الطبقات بالمجتمع وحاربت الاقطاعية والظلم وأنارت العالم بالعدالة والحرية والمساواة آخر القرن الثامن عشر. حيث رسّخ الكتاب طريقاً جديداً للبشرية ضد الظلم الذي جسده قصر فرساي والكنيسة عام 1789، وانتهى بسقوط الباستيل، لتولد فرنسا جديدة تحت شعار الحرية المساواة والأخوة.

وقد شهد تاريخ النهضة الغربية وحركة التنوير والإصلاح حراكاً واسعاً قام به المثقفون في مختلف المجالات وكانوا قادة مسيرة التغيير في بلادهم بجدارة لأن معظم الانتقادات الحضارية والفكرية الغربية كانت مرتبطة بالفلاسفة والمفكرين بدءاً من الفيلسوف الألماني (إيمانويل كانط) في عصر التنوير في القرن الثامن عشر الميلادي والناقد الفرنسي (جاك دريدا) وعالم الاجتماع (فرنسوا ليوتار) و(ميشال فوكو) في عصر ما بعد الحداثة.

أما في وطننا العربي الذي يعيش مرحلة تهاوي وانحدار خطرة وغير مسبوقة، وإذا تجاوزنا الفجوة الكبيرة التي تفصل مفاهيم مفكري ومثقفي مرحلة النهضة العربية أمثال (عبد الرحمن أحمد بهائي ومحمد مسعود الكواكبي من رواد النهضة العربية في القرن التاسع عشر والمفكر الإسلامي

سردية المقاومة
بين العمل الإعلامي والإنتاج الإبداعي

د. انتصار الدنّان ـ كاتبة سياسية وإعلامية فلسطينية ـ لبنان

يمثل الإعلام المقاوم مجموع الدراسات والممارسات الإعلامية التي تهدف إلى نشر ثقافة المقاومة على المستويين الفردي والجماعي، حيث يسعى لتعزيز الوعي بالصراع ومواجهة الإعلام المضلل، لذا، يجب أن نفهم أن الإعلام المقاوم يتجاوز الأدوات البسيطة، ويشمل البحث، والإنتاج الإعلامي، والتأثير على الواقع في مواجهة الاحتلال والهيمنة، ويعتبر ترسيخ سردية المقاومة، ومخاطبة الرأي العام جزءاً أساسياً من هذا العمل، لذا، لا بد من تسليط الضوء على العمل المقاوم، فسردية المقاومة من الضروري نقلها للعالم بحذافيرها، حتى يدرك أهمية عملها في التحرر والتحرير، لكن الأهم من ذلك، العمل على توثيقها حتى يطلّ عليها الجيل اللاحق، وتبقى له منارة يتمسك بها على درب التحرير والعمل المقاوم الدائم.

إن ما يحصل اليوم في غزة من إبادة جماعية بحق شعب أعزل عانى حصاراً لمدة سبعة عشر عاماً، لا بد أن يتم إلقاء الضوء عليها وتوثيقها ونقلها بشتى الطرق، ويأتي ذلك من خلال الصحافة المكتوبة، أو المرئية أو المسموعة، إضافة إلى ذلك، توثيقها من خلال الإنتاج الإبداعي، من أدب روائي وشعر وأفلام وغيره، وهذا يُرتّب على موثّقه أمانة ووطنية، ويتم التوثيق، من خلال تسليط الضوء على قوة المعلومات ونقل الحقيقة، ومع توالي الحروب والصراعات التي حصلت ومازالت تحصل في الوطن العربي، وتحديداً في فلسطين، يطفو نوع خاص من الأدب والمعاناة، يأتيان رد فعل على ما يحصل، أو استجابة لهواجس وتطلعات ومواقف ذاتية محددة، أو تفجيراً لأحاسيس معينة، وبنسب مختلفة لدى كاتب وآخر، وكل بحسب ما يشعر به تجاه ما يحصل. يشكل الصراع الفلسطيني الصهيوني جانباً أساسياً ضمن هذه المعادلة، بسبب حروب الكيان الصهيوني المتكررة، وعدوانه الإجرامي على فلسطين المستمر منذ عام 1948، ويأتي العدوان الأخير الذي يشنه العدو الصهيوني على غزة أكبر محفز للفنانين ليوثقوه بالطرق المختلفة وعلى صعيد فنونهم المتعددة.

وفي ما خص الإنتاج الإبداعي بسردية المقاومة، فإن المؤلف يعمل عليه، من خلال دمج عناصر عديدة، كاستخدام الرمزية وسيلة للتعبير، والاستعارة والتشبيه لإثارة المشاعر وتعميق اتصال القارئ بموضوع المقاومة، إضافة إلى التعابير التي تهيج الأحاسيس، وتشمل الحالات التي يتقاطع فيها العمل الصحفي والإنتاج الإبداعي استخدام تقرير إخباري ضمن السرد لكشف الحقائق المخفية وإلهام العمل، دامجاً الصحفي العمل الحقيقي بالخيال، وتساهم شخصيات متعددة بنقل العمل المقاوم، إما من خلال المشاركة بنشاط في الصحافة الاستقصائية أو استخدام مواهبهم الإبداعية لنقل سردية المقاومة، وإن إدراج كل من العمل الصحفي والإنتاج الإبداعي يثري سردية المقاومة من خلال نقلها إلى الآخر، من خلال نقل هذه الأحداث بطريقة غنية فعالة تؤثر في المشاعر، وبتقنية وحرفية عالية الجودة.

بعد نكبة فلسطين، ساهمت الرواية الفلسطينية، بإلهام الفنانين؛ أدباء، شعراء، مصورين، منتجين، مؤلفي أفلام، صحافيين، وغيرهم، حيث استوحوا جوانب من الصراع الفلسطيني الصهيوني، في أشكاله وتجلياته المختلفة، غير أن عملية التوثيق هذه تواجه تحدّيات عديدة، لناحية دقة النقل والتحقق من المعلومات، وسواها، فعلى سبيل التصوير، يواجه المصور تحديات عديدة، منها تحدي المكان، لناحية استطاعته التقاط الصورة من الزوايا المهمة في أثناء تصويره للأحداث، وتحدّي البيئة المحيطة، حيث إنّها تقيّد عملية التصوير، وكذلك الرؤية والمسافة.

كما يواجه تحدي الزمان الذي يساعده في التقاط المشاهد التي تخدم العمل الإبداعي الخاص بسردية المقاومة، حيث يتعرض للمخاطر خلال التصوير، ما يستدعي تحركه بشكل سريع من مكان إلى مكان آمن، بسبب إطلاق النار في أثناء الاشتباكات بين المقاومة والعدو، وفي هذا المجال، يقول متخصصون بالتصوير، وفي عصر حرب الصورة: إن هذه الحرب لا تقل مجابهة للعدو بهذا الجانب عن مجابهته عسكريّاً، حيث إنها توثق كل ما يقوم به العدو وبالتالي المقاومة، وإن عملية التوثيق بالصورة تعدّ تحدّياً حقيقيّاً في عملية الإتاحة بالنشر، حيث إن وسائل التواصل الاجتماعي تساهم بشكل كبير في حجب سردية المقاومة خدمة لسردية العدو الصهيوني، ما يشكل تحدياً كبيراً لعملية النشر.

وقد ساهم التصوير الإعلامي بنقل الوقائع كما هي، خلال حرب الإبادة التي يشنها العدو الصهيوني على غزة، وهذا النقل ساهم في تغيير نظرة الغرب والعالم بأسره لما تسمى دولة الاحتلال، لقيامها بحرب لم يشهدها التاريخ من قبل من مجازر بحق المدنيين وتحديداً الأطفال، وهدم لدور العبادة، والمدارس والجامعات، والمتاحف، وغيرها، غير عمليات الأسر التي يلاقي خلال التعذيب أبشع أنواع التعذيب، واغتصاب بعض الأسيرات، ودحض مزاعمه وروايته التي يدعيها، وأظهرت صدق الرواية الفلسطينية حيث لاقت تعاطفاً كبيرًا معها من قبل الغرب، حيث لاقت دعمًا واسعاً من قبل المؤسسات والجمعيات الطلابية وغيرها، وأثبتت للعالم مظلومية الشعب الفلسطيني وحاجته للمقاومة لرفع الظلم عنه، لما يلاقيه من قتل وتشريد وتجويع.

إضافة إلى ذلك، فقد ساهمت أقلام الكتاب والشعراء بنقل سردية المقاومة، وعملت على توثيقها، منذ ما قبل النكبة وبعد النكبة، وبرز كتاب وشعراء عديدون، كفدوى طوقان، وسميح القاسم، ومحمود درويش، وغسان كنفاني وغيرهم.

قراءة في
مفردات الخطاب الإعلاميّ الغربيّ بعد معركة طوفان الأقصى

رامي حاج سعيد ـ إعلامي فلسطيني ـ سورية

لم يعد الإعلامُ سلطةً رابعةً كما كان قبل ثورة الاتّصالات والتّكنولوجيا والإنترنت، فالإعلام اليوم بات أداة طليعيّة في تشكيل الرّأي العام، وتهجين الشعوب وفق أيدلوجيا منتج الخطاب، فهو بذلك السلطة الأهم، وتحديداً فيما يتعلّق بقدرته على إعادة إنتاج الجموع خارج محدّداتها القيميّة.

وعلى الرغمِ من كلّ الحوامل العَقائديّة والتّاريخيّة والثّقافيّة للأمّتين العربيّة والإسلاميّة، إلا أنّها ليست بمعزل عن سطوة الخطاب الإعلاميّ الغربيّ والرواية الصهيونيّة، وإنّما هي بعين العاصفة، وهذا ما تجلّى واضحاً بعد معركة طوفان الأقصى وظهور العديد من ردود الأفعال الشعبيّة المؤدلجة والمضبوطة، إمّا من خلال نمذجة أدائها وتدفّقها، والسيطرة على ممارساتها العمليّة وفق مجموعة من المحدّدات الأمنيّة والسياسيّة لبعض الأنظمة التي تعترف بتبعيّتها السياسيّة للغرب، أو من خلال تقييدها ببعض الآراء الهجينة، والنّماذج العقائديّة الغربيّة، حتى باتت تتعامل مع مشروع المقاومة كعبء سياسيّ وثقافي.

وبالتّالي فإنّه على الرّغم من تعاظم الأداءين السياسيّ والعسكريّ لقوى المقاومة، وطبيعة المنجز الاستراتيجيّ والأمنيّ في معركة طوفان الأقصى، وتطوّر الأداء الإعلاميّ من حيث القدرة على مواكبة الحدث ونقله، سوى أنّ خطابها الإعلاميّ لم يستطع حتى هذه اللحظة من إعادة لمّ الشمل العقائديّ بين قوى المقاومة وبين حواضنها العربيّة والإسلاميّة وذلك للعديد من الأسباب التي سنحاول أن نناقشها على قاعدة تفكيك الممارسات الخطابية للإعلام الغربي، وتتبّع المناخات المؤقتة التي عطّلت قدرة المقاومة على تفكيك هذه الممارسات:

أوّلاً: جملة التّحدّيات الدّاخليّة والخارجيّة التي تقف حائلاً أمام بناء خطاب إعلاميّ مقاوم موحّد، قادر على تبنّي مشروع المقاومة كظاهرة شموليّة، ولا تكتفي بعكس وتحليل الحقائق على مرآة الشاشة وصفحات الأنترنت، وإنما تقوم أيضاً بصناعتها وإعادة إنتاجها وتركيب شواهدها.

فالمقاومة ضمن هذه التحدّيات لا تعمل ضمن بيئة سياسيّة واجتماعيّة مثاليّة وإنما هي بحالة استنزاف دائم لإمكانياتها وحصار مؤلم لمقدّراتها، والأخطر ربما أنّها تتحرّك ضمن جغرافيا سياسيّة صعبة جعلت الأمن السياسيّ لدول الجوار مقدّماً على الأمن القومي، ومع هذا فإنّ أي قراءة متأنّية لصعود المقاومة على مستوى الفكرة وعلى مستوى الاحتضان الشعبي بعد معركة طوفان الأقصى، إنما يعزّز قناعتنا بخيريّة هذه الأمّة، ويؤكد مذهبنا بوجوبيّة الحوار الدائم مع هذه الشعوب.

ثانياً: تقييد الأداء الإعلاميّ لقوى المقاومة بالمنجز العسكريّ والسياسيّ والإنسانيّ، وتغييب أو تعطيل الممارسات الخطابيّة الخاصّة باستعادة هذه الحواضن، نتيجة لفقه الأولويّات عند قوى المقاومة، واستغراقها في تحصين البيئة الداخليّة، التي أثبتت التجربة العملية في معركة طوفان الأقصى، نوعيّة هذه الحواضن وقدرتها على تحمّل ما لا يطاق في سبيل تعزيز الانتصارات الاستراتيجيّة.

ومع هذا فإنّه من المهم جداً طرح العديد من الأسئلة التي تستدعي مناقشة جادةً ما بعد معركة طوفان الأقصى، فكيف يمكننا فهم الأسباب التي افقدت المنجز العسكريّ ضد الاحتلال أو بالحدّ الأدنى حجم المأساة والتّرويع والإبادة الجماعيّة من إعادة تصويب ما تشوّه من آراء وتوجّهات عند بعض المجتمعات التي تلوّثت بحمّى الخطاب الإعلاميّ الغربي، ولماذا لم يُلحظ أيّ تبدّل في قدرة الشارع العربيّ والإسلاميّ على تجاوز خطوطه الحمراء، والخروج نُصرة لمسار تاريخيّ جديد قد يعيد تركيب المشهد السياسيّ في المنطقة والإقليم.

ثالثاً: نفوذ الخطاب الإعلامي الغربيّ والرواية الصهيونيّة إلى عمق المجتمعات العربيّة والإسلاميّة كنتيجة منطقيّة لعقود من فوضى التّواصل المباشر، من دون أي أداة ضبطٍ أو حصرٍ وتنقية للمحتوى ولخلفياته التّعبويّة، ومنٍ دون أي محاولة لبناء خطابٍ إعلاميّ مضاد، مما أفقدنا السيطرة الايدلوجيّة على المجتمعات التي يفترض أنها تتمتّع بالمناعة العقائديّة والاحتضان الفطري لمفهوم المقاومة، وفتحَ البابَ واسعاً أمام هذا الخطاب لاكتساب المزيد من الخبرات التواصليّة مع شعوب المنطقة، والقدرات النوعيّة في التّحكم بطبيعة التدفّق المفاهيمي، وتركيب المصطلحات وتشويه المسلّمات والعبث بكلّ ما هو مقدّس.

وهذا حقيقة شكّل علامة فارقة في تاريخ قوى المقاومة ومحورها، وتحديداً في ما يتعلق بآليات التّعامل وبناء المعتقدات والتّصورات حولها، فبعد أن كانت المقاومة مُركّباً عقليّاً غير قابل للنقاش، أصبح هناك من لا يجد حرجاً في طرح مشروعيّتها على مستوى الأمّة، وخطورتها في توريط الإقليم بمعارك لا جدوى منها، وأصبحت المقاومة وجهة نظر قابلة للقياس والنقاش.

رابعاً: حيويّة الخطاب الإعلاميّ الغربيّ وقدرته المتجدّدة في استحداث أنماط فكرية جديدة وإخضاعها للممارسة العمليّة المباشرة عبر نوافذه الإعلاميّة وأدواته وأبواقه وجيوشٍ من الذباب الالكتروني، وبما يضمن إثباتها عبر التّداول والنّقاش.

فنلاحظ على سبيل المثال كيف أنّ الممارسة العمليّة لمفهوم وحدة الساحات خلال معركة طوفان الأقصى قد مكّنت قوى المقاومة ومحورها من إعادة إنتاج ذاتها خارج كل المحدّدات الطائفيّة التي كانت تُستخدم في الخطاب التقليديّ للإعلام الغربيّ، بل كانت تشكّل نقطة الارتكاز في بناء استراتيجيّاته البصريّة والخطابيّة والتواصليّة، ولهذا كان لا بدّ للخطاب الإعلاميّ الغربيّ من فرض معادلات ذهنيّة جديدة قادرة على استعادة مفاتيح خطاب الكراهيّة لقوى المقاومة، بغية تفريغ المعركة من أبعادها الشرعيّة والإنسانيّة وحتّى التاريخيّة، معتمدة على مجموعة من التقنيّات الخطابيّة المعقّدة ومن خلال تطويع وسائل التّواصل الاجتماعي ونشرات الأخبار وبرامج التّحليل السياسي، ومن هذه التقنيات:

- ربط الأبعاد الإنسانيّة للخسائر البشريّة المهولة في القطّاع بوجود المقاومة، وخارج أي سياق للوجود الاحتلالي، وبالتّالي يصبح من البداهة فرض جملة من المعادلات الذهنيّة عند المتلقّي البسيط قوامها بأنّ انعدام المقاومة هو شرط منطقيّ لحماية المدنيين، وهذا تحديداً هو جوهر ما تحدّث به الرئيس الأمريكي جو بايدن وخطته للسلام، إذ إنّه حصر المكافئ الذهني للسلام في فلسطين والإقليم بإلقاء المقاومة لسلاحها، مما يعني أنّ تعثّر النهضة السياسية والاقتصادية وتحسين ظروف الحياة وإيقاف نزيف الدّم إنّما يتعلّق بالضّرورة باستسلام المقاومة، وليس بإجبار قوى الاحتلال على إيقاف آلة القتل والتّدمير.

- تعطيل مفعول الثّبات السياسي لقيادات المقاومة كظاهرة تاريخيّة تستحق التبصّر وإعادة القراءة، وتقديمه كشكل من أشكال المراهقة الفكريّة وإنكارٍ لواقع التّفاوت العسكري، وبالتّالي تحميله المسؤوليّة المباشرة عن استمرار المعركة وعن حجم الخسائر.

- العمل على إعادة طرح الإبادة الجماعيّة التي يمارسها الكيان في قطّاع غزّة كمفهوم قابل للنقاش، وذلك من خلال استحضار العديد من الأسئلة الإنسانيّة الكبرى مع كلّ مجزرة يرتكبها الاحتلال، كأحقيّة الكيان بالدّفاع عن وجوده الحضاريّ أمام تجمّعات بشريّة تشكّل حواضن إرهابيّة.

ونلاحظ كيف تمّ تعزيز هذه التقنيّة في الخطاب السياسي للكيان، من خلال استخدام العديد من المفردات التي تتحدّث عن حقّ الدّفاع عن النّفس، وعن مصيريّة المعركة، وعن انتفاء الحلول خارج وجوبيّة الصمود وإلا فإن الكيان سيتعرّض للإبادة، وفي المقابل الطّرح المباشر لعدم انسانيّة الطّرف الآخر كما ادعى وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت بأنهم «يتعاملون مع حيوانات بشرية» ـو كما قال الأديب الإسرائيلي عزرا ياخين: «الفلسطينيون حيوانات لا ينبغي أن تعيش» وبذلك يتم تفريغ جرائم الحرب المرتكبة من محتواها الإنساني فالحديث عن معركة لا تتحمّل وجودين.

- تكثيف المعلومات المتناقضة حول منجزات المقاومة بما يضمن نفي الإنجاز، وطرح العديد من الأسئلة المعلقّة حولها لإخراجها من حيّز القناعة إلى حيّز وجهة النظر- ومن ثمّ توليد العديد من وجهات النظر لضمان تشتيت الحواضن وإخراجها من القدرة على تبني أي ممارسة عمليّة لدعم المقاومة، وضمان التخفيف من حدّة التّعاطي مع الصور البشعة القادمة من القطاع واستئناس مشاهد التّدمير والأشلاء.

ولعلّ هذه التقنيّة هي الأكثر شيوعاً ما بعد معركة طوفان الأقصى لجهة ضرورة استمرار المحاولة في تفريغ كلّ المنجزات العسكريّة والأمنيّة لقوى المقاومة من محتواها الإعجازي، ويمكننا في هذا الصدد رصد العديد من الأسئلة المباشرة عبر بعض البرامج الحواريّة على شاكلة «عن أيّ منجز عسكري للمقاومة نتحدث وقد مسح القطاع عن الخارطة؟»، «هل يوجد مكافئ منطقي بين حجم خسائر الاحتلال وحجم خسائر القطّاع؟، «كيف يمكن فهم رفض المقاومة لمبادرات التسوية مع الاحتلال رغم حجم الألم والمجاعة في القطّاع؟».

ولعلّ القدرة على توليد هذا الحجم من الأسئلة وجعلها تبدو منطقيّةً قابلةً للنّقاش وشكلاً من أشكال حريّة التّفكير والطّرح، فهذا يعني بالضرورة فرض ثنائيّات فكريّة على حساب أحاديّة المعتقد وخلفياته الشرعيّة، فعندما يستسلم المتلقّي لثنائيّة أنّ الصمود أو الاستسلام مجرد وجهة نظر!، وأنّ احتضان المقاومة أو خيانتها وجهة نظر! فهذا يحرّره نفسياً من تبعات التّخلي عن نصرة المقاومة ومظلوميّة الشعب الفلسطيني على المستوى الشرعيّ والعقائدي، لأنّ كلّ هذه الثنائيّات هي مجرّد وجهة نظر وليست أصلاً عقائديّاً.

- تنمية مَشاعر التّخلّي العَربيّ عن القضيّة الفلسطينيّة، وتظهير ردود الأفعال الشّعبيّة الفلسطينية التي تستنكر الصمت الرسميّ والشعبيّ إبان أيّ استحقاق عسكريّ أو سياسيّ فلسطيني، بما يخدم توسيع الفجوة بين الشعوب العربيّة والإسلاميّة وبينها.

أخيراً... يسعى الخطاب الإعلاميّ الغربيّ إلى فكّ الارتباط بين الشّعوب العربيّة وبين محدّداتها الدينيّة والثّقافيّة والسّياسيّة، بما يعزّز دعائم الغزو الثقافيّ وإلغاء عقيدة المقاومة.

ولكننا نجزم بأنّ المقاومة العقائديّة والحضاريّة والقيميّة بالإضافة للمقاومة العسكريّة والسياسيّة والأمنيّة والتي تتجلّى عبر ممارسات القوى الفاعلة في معركة طوفان الأقصى، لا بدّ لها أن تعيد تصويب البوصلة نحو قضايا الأمة وعلى رأسها تحرير القدس، وأنّ تطور أدوات الإعلام المقاوم وتصاعد أدائها وخطابها السياسي والإعلامي قادر على توطين القدرة على فهم أبجديّات تدخّل الخطاب الإعلاميّ الغربيّ في مجتمعاتنا، وصناعة الاستراتيجيات الحواريّة القادرة على تجاوز الآثار السلبيّة لهذا التّدخل، وإعادة تأهيل الأمّة لاستعادة دورها الحَضاريّ.

«طوفان الأقصى» وانعكاسه على المشهد الثقافي الغربي

(الصراع على رواية الضحية والقضية العادلة)

د. حاتم الجوهري ـ كاتب من مصر

تسببت عملية «طوفان الأقصى» وحرب اليوم الواحد التي قامت بها فصائل المقاومة الفلسطينية يوم 7أكتوبر 2023م، ومن بعدها الحرب الطويلة لجيش الاحتلال على غزة التي امتدت الآن لحوالي تسعة أشهر من القصف والحصار والتجويع والإرهاب واحتجاز المدنيين قسراً وتعذيبهم.، تسببت في صدمة لـ«الرواية الغربية» التي تقدم اليهودي في أدبياتها بصفته «الضحية» لثقافة الكراهية الأوروبية المسماة بـ«معاداة السامية».

وكذلك تسببت أيضاً في صدمة للمشهد الثقافي الغربي بالنسبة إلى صورة العربي، الذي كانت تقدمه في صورة المعتدي والوحشي واللاإنساني، بعدما شاهد العالم أجمع القصف المتعمد والممنهج الذي قام به جيش الاحتلال لموظفي الأمم المتحدة، ولمخيمات الفلسطينيين، ولتجمعات المدنيين في أثناء استلام المساعدات الغذائية، وتعمد تدمير المرفقات الصحية والتعليمية في عموم غزة.

هنا أصبحت السردية الغربية التقليدية في مأزق شديد بالنسبة إلى رواياتها التي تقدمها لطرفي الصراع في المنطقة العربية، فوسائط الإعلام المعاصرة التي تعتمد على وسائل التواصل الاجتماعي الشخصية، سمحت للأفراد العاديين -فضلاً عن الإعلاميين- بالتغطية المباشرة للأحداث، بما منع سلطة التأويل المعرفي وسلطة الرواية الرسمية الغربية من الانفراد بتشكيل عقلية الرأي العام الغربي والعالمي، فالعالم أصبح في قلب الحدث مباشرة ولا يمكن أن يمارس الإعلام التقليدي دور الوساطة والسلطة المعرفية، وتأويل الأحداث منفرداً وفق هواه مرة أخرى.

وسيحتد الصراع على من يمتلك القضية/ الرواية العادلة ودور الضحية المظلومة، تاريخياً ارتبطت صورة اليهودي الضحية إعلامياً بمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بشكل رئيس، استناداً إلى ما فعله هتلر تجاه الأجناس غير الآرية ومنها اليهود، حيث تحولت «صورة اليهودي المظلوم» إلى عقدة ذنب في أوروبا مرتبطة بتاريخ كراهية اليهود ودورهم في المجتمعات الأوروبية المعروفة باسم «معاداة السامية»، استناداً لأن اليهود في التوراة ينسبون إلى «سام» ابن النبي نوح عليه السلام.

وارتبطت الصورة النمطية للعربي الشرير في المخيلة الأوروبية بما قدمه الاستشراق وتصورات ألف ليلة وليلة، وإرث المرحلة الصليبية والعداء الديني إضافة إلى سلسلة العداء الحضاري التاريخي بين الشرق والغرب، منذ صراع الفرس والإغريق، فكان يتم تقديم العربي استناداً إلى صورة تاريخية قديمة علاوة على تقديمه على أنه امتداد لصورة النازي الألماني العنصري المعادي لليهود لمجرد كونهم يهوداً.

والأهم أنه كان يتم تقديم الصهيونية ودولة «إسرائيل» بوصفها الممثل للحضارة الغربية بتصوراتها المتنوعة ماركسياً وليبرالياً ووجودياً، حتى دينياً طور الغرب «المسيحية الصهيونية» باعتبار أن الصهيونية ستكون فعلاً يتم تأويله في سياق مسيحي، يرتبط بأحداث نهاية العالم وتعجيل عودة السيد المسيح عليه السلام.

الجديد في حرب غزة الدائرة حالياً؛ خلافاً للحروب السابقة وجولات الصراع العربية الصهيونية في القرن العشرين وكذلك بدايات القرن الحادي والعشرين، أن المتلقي العالمي أصبح فجأة في قلب الأحداث، ولم تعد لسلطة المعرفة أو الإعلام الانتقائية ذلك التأثير القديم في توجيه الرأي العام وتشكيله أو تأويله في سردية سابقة التجهيز، انتفضت جامعات أمريكا وتحديداً جامعات النخبة المرتبطة بدوائر صنع القرار، وتبعها العديد من جامعات أوروبا وعمت المظاهرات ألمانيا وإسبانيا ومعظم دول أوروبا ، المنظمات الأممية التابعة للأمم المتحدة دخلت على الخط، وأصدرت قرارات معظمها غير ملزم لكنه يدين الطرف الصهيوني بكل وضوح، حتى أن تلك المنظمات طالها التهديد من المؤسسات الرسمية الغربية في أمريكا على وجه الخصوص.

والحقيقة أن هذه المرحلة من انكشاف الأقنعة والسرديات الكبرى المرتبطة بها، عندما تحدث في تاريخ الأمم لابد أن يصحبها ارتدادات كبيرة حتى لو تأخرت، فهي كامنة تنتظر في هدوء لتنفجر وتعبر عن نفسها، فالعالم الغربي الآن سوف يضطر للكشف عن اختياراته الثقافية العميقة، دون رواية إعلامية أو صورة نمطية تقليدية تدعمها وتداري عليها، بالأصح سوف يكشف الغرب عن المسألة الأوروبية القديمة ومتلازماتها الثقافية تجاه الآخر، وتحديداً تجاه الآخر المسلم/ العربي بعيداً عن ألاعيب الدراسات الاستشرايية والصورة التقليدية التي كانت تروج لها.

وعند هذه النقطة قد يصبح الأمر مثيراً؛ لأن تناقض الرؤى والمواقف بين الأنساق الثقافية الكبرى الحاكمة للمسألة الأوروبية بوصفها -عند معتنقيها- مرحلة مقدسة من الحضارة البشرية، وبين المنتمين العاديين لها على مستوى الأفراد والأبنية الاجتماعية غير السلطوية أو من غير الفواعل الرسميين، قد يعمق من جراح المجتمعات الغربية برمتها، ويؤدي إلى حالة من التفسخ ربما لم يتخيل البعض أن تعود للواجهة!

عدما تعجز الأفكار الكبرى الحاكمة للجماعات البشرية من الاستجابة للتغيير، فإنها تكون معرضة لاحتمالية الاضمحلال أو الانكسار، أو التشققات الجذرية الحادة التي قد تترتب على أي منهما، سواء داخلياً أو خارجياً، ارتبطت ظهور المسألة الصهيونية بصعود المسألة الأوربية/ الغربية ووهمها الخاص بأنها النموذج المطلق والنهائي للحضارة البشرية.

ظهرت المسألة الصهيونية وبناء وطن قومي ليهود أوروبا حلاً للمسألة اليهودية وعقدة الذنب التي نشأت تجاههم فيما بعد الحرب العالمية الثانية، وفشل مشروع الحداثة/ العقل الأوربي، الذي أنتج من المذابح والفظائع باسم العقل ونظرياته ما يزيد عما أنتجته كنائس العصور الوسطى من حروب وفظائع، فكان من أبرز الأعراض الجانبية للمسألة الأوروبية ومتلازماتها الثقافية، أن ظهرت المسألة الصهيونية والمشكلات المرتبطة بوجود وطن قومي ليهود أوروبا على حساب سكان فلسطين من العرب الفلسطينيين.

وطورت المسألة الصهيونية هوساً جماعياً وشحناً نفسياً للمستوطنين الجدد في المنطقة العربية، معتبرين أنهم مازالوا يواجهون الاضطهاد النازي الأوربي، واستخدموا العديد من التأويلات والمذاهب والفلسفات الثقافية الأوروبية عن استخدام العنف وتحول العبد المضطهد إلى سيد مهيمن من خلاله، واستخدمت «المسألة الصهيونية» الدراسات المعرفية الانتقائية إرث المرحلة الاستشراقية، لتضع نفسها في صراع أبدي وسرمدي مع الآخر/ العربي وليس الفلسطيني فقط.

وطورت المسألة الصهيونية داخل «إسرائيل» عدة سياسات خارجية ضد العرب التقت مع السياسات الخارجية الأمريكية والغربية في مرحلة ما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ونظريات «الصدام الحضاري» عند هينتجنتون وفوكوياما وبرنارد لويس، ونجحت في حصار البلدان العربية التي وقعت في فخ التناقضات الداخلية والاستقطابات السياسية التي لا نهاية لها، وكاد حلم الشرق الأوسط الكبير الذي تهمين عليه «إسرائيل» أن يخرج للنور، مع مشروع صفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية.

لكن اختيار المقاومة الفلسطينية بالقيام بعملية «طوفان الأقصى» أو يصح أن نسميها العملية «الخيار شمشون»، كان هدم المعبد فوق رأس جميع التراتبات الإقليمية والدولية التي قام بها الغرب والصهيونية لتصفية القضية الفلسطينية، اعتماداً على تفكيك الحاضنة العربية والإسلامية وزرع التناقضات البينية والإقليمية بينهم.

والحقيقة أن عملية طوفان الأقصى تتطلب استجابة عربية شديدة الوعي لتعيد ترتيب أوضاعها الداخلية والخارجية وتنتهز الفرصة لتقوم بطرح حضورها الجيوثقافي مجدداً على العالم وفي مواجة المشاريع الإقليمية المتنافسة معها، وتعيد تأسيس ثوابتها وقيمها المرتبطة بمستودع هويتها وطبقاته المتراكمة والمتجاورة عبر التاريخ، وتسعى لتقديم مشروع جيوثقافي جديد يتجاوز مشاريع القرن العشرين التي تفككت بأبعادها الفكرية والأيديولوجية، والتي كثير منها كان رد فعل أو انعكاساً لهيمنة المسألة الأوروبية ومتلازماتها الثقافية والأيديولوجية أيضاً.

في خلاصة الأمر تملك الذات العربية فرصة للتأكيد على عدالة قضيتها ضد «المسألة الصهيونية» وما ارتبط بها من سياسات داخلية ضد العرب الفلسطينيين، وما ارتبط بها من سياسات إقليمية مدعومة أمريكياً وغربياً لحصار الحاضنة العربية برمتها وتفكيكها، واستهداف الهيمنة عليها واعتبارها ذاتاً أقل لابد أن تقوم «إسرائيل» بالوصاية عليها.

«الفلسطيني الضحية» ظل رواية مسكوتاً عنها لفترة طويلة في المشهد الثقافي الغربي، وهناك فرصة مواتية للغاية للتأكيد على الحق الفلسطيني وروايته، وأنه لا يتعارض أبداً مع حق يهود أوروبا المضطهدين، شريطة ألا يقام تأسيس الحق الوجودي الصهيوني الجديد ليهود أوروبا والعالم، على تفكيك وسحق الحق الوجودي لعرب فلسطين من جهة، ومن جهة أخرى تفكيك وإضعاف الحاضنة العربية عامة والسعي لحصارها وتفجير تناقضاتها الداخلية والبينية والإقليمية.

التقاء المسألة الصهيونية وسياساتها الداخلية تجاه عرب فلسطين وسياساتها الخارجية تجاه الحاضنة العربية عموماً، مع نظريات الصدام الحضاري وسياساتها تجاه المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط، يجب أن يتم تسليط الضوء عليها بشدة، لأن نظريات الصدام الحضاري تقدم العرب والحضارة الإسلامية بوصفهما عدواً جديداً للغرب، من ثم يسعيان لترسيخ الصورة النمطية للعربي والفلسطيني، بما يستلزم ظهور خطاب عربي نظري ودبلوماسي جديد، يؤكد عدالة القضية الفلسطينية وعلى ضرورة احترام الحاضنة العربية واستقلالها، وعلى أهمية ظهور نظام حضاري عالمي جديد يتجاوز المتلازمات الثقافية للمسألة الأوربية/ الغربية القديمة، وتمثلاتها الراهنة التي منها نظريات الصدام الحضري والممارسات العنصرية الصهيونية.

تحية الوداع..
مظهر من ثقافة المقاومة

سلامة عبيد الزريعي ـ عضو مجلس الجالية الفلسطينية بالجزائر

دأب الإيرانيون في تشييع شهدائهم على رباطة الجأش وبرودة العقل، في توديعهم أعزاءهم، من استشهدوا في سبيل مستقبلهم، من ترجلوا في معارك الشرف الوطني، تحية الوداع ونظره الوداع هي مقاومة لدى هذا الشعب البطل.

يشدون الرحال، ينتقلون من أقاصي الجمهورية لتأدية هذا الواجب الوداعي المهيب بعزم وصلابة وجدية وتصميم على الاستمرار على نهجهم، حضورهم شعبياً من المدن كافة، لتجديد عهدهم للراحلين فما من محب لوطنه وشعبة لم يهدأ عن العمل حتى أخر ساعة من عمره، يؤكد المشيعون التمسك بالنهج الثوري، إنما صنعه الشهداء، فالرئيس مثال خالد يبقى وذكرى لا تمحى للنموذج المميز، للحكومة الإسلامية، دبلوماسية نشطة ودفاع جسور عن غزة وفلسطين اختيار الشعب هي أهم مؤشر على الجمهورية الإسلامية الصادقة مع شعبها ليس كالأنظمة الفاشلة، مجلس خبراء القيادة وجه من وجوه السيادة الشعبية، تشييع حاشد عشرات الآلاف من الرسميين والشعبيين والعسكريين، دولة قوية شعب متماسك مع قيادته رغم جلالة الحدث وآلامه، مشهد مهيب يجعل الكل يقف إجلالاً واحتراماً، إيران قوة إقليمية ودولية تفرض حضورها وقوتها وتقول كلمتها وتدافع عن مصيرها دولة محترمة قوية، تفرض الاحترام والتعامل بمنطق الند، عظيم هذا الشعب الذي يناصر المظلوم ويدافع عن الحقوق دائماً ثائراً مع الحق.

لا شك بأن الشهداء تركوا بصمتهم في محيط إيران، عربياً، لاتينياً، أفريقياً، التشييع المليوني له دلالته، ناجماً عن الخدمة التي كان يؤديها الرئيس الإيراني الشهيد لم تكتمل دورته الرئاسية... بل كانت أقل من ثلاث سنوات، حقق نقلة نوعية كسر المؤامرة الأمريكية وأحبطها، وهي محاولة عزل إيران في زاوية ضيقة، لكنه قلب الطاولة على الولايات المتحدة التي أصبحت معزولة ومنعزلة فجعل الأمن القومي كله يقف ويعلن الحداد على الرئيس، ما يساند وما يدل على نفوذ إيران وموقعها في العلاقات الدولية، شهادة مباركة لرئيس الجمهورية، فقد كان سادناً للعتبة الرضوية المقدسة، يشرف على المضيفين، إدارة العتبة الرضوية المقدسة، همه الأول التركيز على الفقراء والمستضعفين، عمله في مشهد كان له بصمة مؤثرة جداً، عزز العلاقة على كل الأصعدة مع الدول العربية.

أما على صعيد القضية الفلسطينية فقد بكى في على غزة في إحدى لقاءاته عن لسان مترجمة، أقسم يميناً، بأن وجهه كان نورانياً قبل أن يودع ملتحقا للشهادة تسلم من الحرم الرضوي أقدم نسخة للقران «كان حزيناً كان لديه إحساس بالمغادرة» رحمه الله وأسكنه رضوانه وجنانه، فقد ضخت إيران دعماً مباشراً، وهي تدرك بأنها تدفع فاتورة ذلك غالياً، الاستراتيجية الإيرانية لا تأبه النابحين، طوفان الأحرار في شوارع إيران يودع الرئيس ويهتف لفلسطين ولمقاومتها مستضيفاً لمقاومته برموزها مبلغهم بان إيران على عهدها، فلسطين حتى النصر وعلى خطى الشهداء الرئيس ووزير خارجيته أمير حسين عبد اللهيان، في قاعدة المؤتمرات السياسية، هذا التداعي لشهداء إيران. مدينة مشهد يعلوها العالم الفلسطيني أينما جالت كاميرا المصور في جميع الولايات كذلك أعلام محور المقاومة خفاقة عالياً تقدمت الصفوف مشهد مليوني في كل الساحات رحمه الله عليكما أيها الشهداء. تحية الوداع ونظره الوداع هي جزء من ثقافة المقاومة.

على مهلٍ قشّر الحديد بدنه من الكسل

عبد النور الهنداوي - شاعر من سورية

وهتفتُ في شكلها
يا !!! إلهي
نحن الذين انتظرنا الخصب، وأسراره
نلوذ بأصوات الموالي التي افترشت الخراب،
نطرق اللحظات كيما نعود إلى بهجاتنا المرمّدة
نتسلّل من جَلَبَة مبهرة تعقّبت نخلها..
يا وعينا المبلّط بالجنايات، وعرائس الندماء
الخطى..
عورة شاهقة
واللغة تراود نفسها على الاختباء، لهدم أثاث أفواهها
المعبأة بالمجد،
الرقصات قصمت ظهور آبائها
واشرأبّت من قسماتها هداة الجمر
فتأرجحَت صور مريرة لأطلالنا، لتفحّ فيما لا يحصى
من النَدْب
هي الشمس ذاهبة بكل إيقاعها إلى الحرب
تراود الهرجَ، وجليد الهزائم، وهداياه المحلّقة بإشاراتها
وقصائد العوام
من يمسح الزبد الأخويّ عن العبيد ؟
ويتوهّج كبصمات ملطّخة - بزهوّها - العارم
هي إغماضة فضحتها المواجع
تهلّل لفراغ يطلّ على رطوبة تتعرّى أمام أصلها،
وأمام ولائم ناغلة في الشظايا
كنت حينها ولداً ساحَلَه الوهم
وصديق الأغوار، الذي أبدع في تربية الجفاف؛
الأجملُ
أن يكون لشهوات الأشباح رائحة
أو هضاب مبهجة يخاتلها ضياع بهيّ
إنّهم أبناء الخرائط المشعّة، وأرتال الفصاحة، والأبراج
الصبورة..
إنّهم أبناء الإيماءة، وغيبوبة الخصب، والزفرات
هي البلاد كثيفة بأولادها، واللمعان اللقيط
هي الضوء القليل الذي حاول أن يسّاقط حول قرميدهِ
باغت أحشاءه كي يرقّع ما سالَ من ستره
وما هبط من تجاويف حيضانه
كي يستتر
برحيل خديج؛
لا غرابة أن يكون لنا مناخ، ووحل باسق، ورصاص
ليله كنهاره
وسكاكين جليلة تتعثّر بأعناقنا
كان وحده مثلي
ذلك الطير الذي أخبرني عن أوكاره الكفيفة
وخيّرني بين المجد، وبين صلصال مدجّج بالإلهامِ ،
والزخارف المتوارية باليباب
ومثلما ارتديت اغتباطاً صريحاً
قذفت هياجي على خطيئة مسيجة بالرمل
كما لو أنني اغتسلت برطوبة مالحة
رأيت ما رأيت شجاعة مدلهمّة فاتكة
وبعض تراب اختزل أكاليله المعفّرة بالهياج
ليتوالد الغار الذي دمغته نظراتنا
وألقت برفاة من نحبّ / بظلٍّ حائط خجول
الآن نستتر برذاذ آبائنا
ونحوّم في الصباحات «كخُردة» أنهكها الوقوفُ
في الغيهبية
لست وحدي الذي ضمّخ الخصب بآهات جيراننا
ونظّف شناشيلنا من الطمي
ونضّد بياض عيوننا باللثغاتِ وبرودة الأصنام
أيها الذاهبون إلى مصبّ الظلمة وبريق الدهشة البتول
هاهم يقفون أمام الشتائم التي أرسلها الربّ
يبادلون الرقص بنقي الرخام
والشفاه العزيزة، بأثداء حبيباتنا..
هكذا تهبط السعَفَات محرورة بالدم
أواسي ملح برارينا، وأرفعه بين كفيّ كصَدَفَة محشوّة بالزبد
أساكن الأخلّاء، ولهاث الطيور

«فاغتسلتُ» بهضاب نائمة أمام حياءاتها؛
ثمّة عَجاج ما بين صورنا، وبيوتنا وأسرّتنا الفارغة
ثمّة جراح شيّعت أصلها وانذهلت من احتفاء زجاجها
فضيّعتُ ما لملَمتْهُ المدائح وفتافيت النحاس
الشهداء حاولو تغطية آثارهم بأي شيء
بالسواقي
وأعمدة المضارب، وتثاؤب الصدى
وخيانة الأحباب
و«قطايف» أعراسنا
منذ مدّة وأنا أبحث عن الفرق بين المجد، وبين الصلصالِ
وبين الزخارف التي تدثّرت برطوبتها
وبين عويل صارَ مأدبة أمام الفرار
هذا نشيدي وقد فاجأ موائد اللئام
هذه جلجلتي التي سقطت بشهوتها
وشيّعت أصلها كجنازة من النعناع
لهب يسّاقط مع أنقاضه
لهب حرّر نفسه من أسماء القادة العِظام وأظلاف العواصم
لهب نثر كلّ أعماله على من يعرفه، ومن لا يجيد الوجع
لهب أحاط بالخلاخيل، ودخان القرى
لهب وقف فجأة أمام الرنين، وأمام البلاد
لهب حرّم على نفسه الظهور
واختار هداياه المضروسة باليتم، والخطابِ، والضباب الحرون
ها هي العِظام صَهَرَتها الرموز
والسياط تنبّأت بخطيئة عزيزة على القلوب؛
في كومة عصافير تفحّمت أمام ظلالها
في وضوح تراكم أمام فصاحة الأنبياء الأحرار
في الهجوم الذي انتظرناه - وغياب السحنات الرجيمة
في غسيل تحوّل بقدرة قادر إلى جثث فارغة من أعماقها
في الرهائن المريرة، وذكريات صرخة تودّ النهوض
ما وراء الجرح
عربات محمّلة بما لذّ وطاب من السخط
نتوه في غمارِ ضباب يسخر من اختلاطه بالحليب،
وحانات الهزائم
نتصفّح ذمم الغابات، ونسأل عن حواف المصابيح
والنُذر الجليلة، وأمهات البكاء
هكذا صيّرت اللحظة التي داهمتني، مرفأ للخلوات
هكذا استفاقت العزلة وإشاراتها، وإشراقات كائناتها
فنامت الخلائق أمام ضحكٍ ملثّم بالهتاف
ولأن الأسطورة هي التي هوّنت من خطوها
صار مأواها كارثة
وأغمدت أصابعها بكل شيء يشبه الغَرَق
ويشبه المجيء
وما من فم أجهض جفافه أمام الجنون
وما من تراب افترش ظلّه أمام وطأة العدم
ولا نزْفَ «يقتات» وقار أنهارنا؛
هو الصمت وحده البطيء
ولا صرخة مباغتة مدفوعة بالوجع
كلّنا - يا- أيها الطائر المجيد عُدْنا من ضلالة الرجع
إلى رميم الرعاع
فاستبقنا حَطَبَ الرعد، وما تركه الصولجان
وما تركته لنا البركات
ثمّة خطى مؤجّلة داخل الحديد
وأحضان نزعت ستائرها أمام آجرّها المهجور
احذروا فراغ اليمام حين يغتبط الياقوت بالمذابح
أو حين يرتاب التراب من دلالهِ النفيس،
ومن هندسة وجهه بالفسيفساء
على مهلٍ
قشّر الحديد بدنه من الكسل
واجترّ شهوته كي لا تجتاحه المناحة
والرهانات
والأشلاء
ومخالب الدفء الطليق
ولعاب الحلبات
وأيدي النبوءة
وبهجة الآفاق
كلّنا خدّأم الفاكهة، والقلادات المهملة، وانطفاء الكنوز
المطمورة بأقلام الرصاص
نلمّ الشتائم كشرّاح المعلقات
ونفترش غواياتنا المجفّفة كمجدٍ يرتدي النسيان
ما من مدينة رأيتها إلّا وبعثرتها أمام شرفاتها
وتساقطتُ في حضنها أحاور ماضيّها، وأعراسها،
وبدنها المصمّم للغوايات والرثاء
ما من نار اختلستها إلّا وساورني ندم يختال بين الدفلى، وبين
ضباب تبجّح بما لا يكون
ركضت كثيراً أمام النوافذ المأهولة باليتم
ونبوغ المشردين
فتورّدت أصابعي في صميم قتلاها
وتمنّيت أن أكون ممّن يحتفظون بظلمة يرتديها المغيب
منذ أن تذكرّت شهْدَ المصابيح والريّبة العابرة للخلود
ما شككت بالدمّ وهو يخلع جلبابَ كارثته أمام الرنين.
موجع البقاء أمام نهاية لا تودّ تمزيق رايتها
ولا تريد الاحتجاب عن فصحاء الرذاذ، وصدأ الخزائن
المحرومة من زوّارها
هكذا استعرت من التراب ضلالته، وزاحمت هدير الذبائح
وطويت موائد الوحشة، مُذ رمّمَت الريح آثاثها
صراخ كثير..
أشلاء أغاني بعثرها الوكف، وأقدار الرهائن الأوفياء
في وجهي شتائم شتّى، ونبيذ مسجّى أمام غرقاه
واغتصاب أرضعتْه نفائس الفيروز، وغرق الحدائق الموشّاة بغلاصم
المغامرين
لا آباء لقبائل الحصى
لا شقاء لأولاد الزنى

لا شظايا أهدهدها كي نكافئ جيادنا المجرّدة من صراحتها
لا كشفَ
على أناشيد الله لتدوين الضحكات التي مرّت من هناكَ
كلّما اقتربت من رصاص الأحبّة فاجاتني أنوف من المرجان
وضحك شاهِد على تراكم الرطوبة، وسبايا فارغة من حظوظها
لا بكاء لديهم
لا صباحات، أو اسرّة نلقمها رائحة الخبز
لا حرائق نشكّلها في الزوايا، ولا قفزات في فراغ الذهب
يا حُماة الجفاف
أعيدوا لنا دفء الصخور، ونبوءات الطين الملكيّ
أعيدوا لنا زفرة المدن ولحمها الشفيف
أعيدوا
لنا
كل دم
صار
شَجَر
نشنشله بالأصدقاء والورع البطوليّ
أعيدوا
لنا
ما خبّاته
الخنادق
من جوعٍ،
ومن خيلاء
أعيدوا
لنا
قناديلنا
مطبوخة
بالجوارح والشهوات الأنيقة؛
لا بكاء توحّد بالتعب، وجرّد لمعانه من مائنا العليل
ولا دمعة آزرت أختها كي تهدأ الأناشيد من تمشيط أنقاضها
أزليّ ورد مقابرنا
أزلية شهوة البربرية وهي تسّاقط فوق المعاطف ماكثة
في صباح ينسج للغيهبية دُرّاعة من الرعشات
وعفاف يهدهد أمجاده الجسورة بالكرز البلديّ
يا ظلمة أولها زخم الطائرات
يا آ آ آ
ظلمة وقفت صامدة بين الرخام، وبين القلوب الغشيمة
تاركة ذعرها،
ندبة طريحة الوصال والصفير
يا
ظلمة ذاوية وذبيحة
أوّلها فاكهة الغرباء
وآخرها
سجّادة من رغوة الشرفات
هكذا يتوجب علينا أن نتحسّس هاوية ضيّعتها الفصاحة
واستقالت من ضلالتها، لتكسر ضحكة الحلّاج وبلّور الأعراب
إنها الروابط الواطئة
وهي تتحدّث بفرح أخّاذ عن تراب موغل بالدم
وعن سيادة الحطام وهو يعترف أمام عورته عن فرائض الله
سِلال عبّأت تخومها من أزقّة الأزل
وطوت دموعها الجموحة أمام عربدة الأحرار
وصدوع المعاطف الملبّدة بثغاء يتلوّى كفواكه الأبطال
يا إخوتي الأرقّاء
أنتم وصوركم، وأضدادكم، وما التقمتم من جِرار الهجر
وجراحكم المرميّة، وضحايا ولادتكم
ورماد مراياكم
وأعماقكم الغاصّة بكل مسامير الأرض
خالدة بأفانينها
والأبجدية التي نتداولها
فضيحة لاحتراف التورّم، والهتك، وسبي النزيف،
ها هي مزاميرنا المحلّقة بالهرج - ندّابة على يباسها
تتقصّف هي وأصواتها، لتترك أثراً باهتاً لشجاعتها
المرميّة على حوافّ الطرائد، وحديد الحصون.
آه منكَ يا سليل الاهتزاز وأنتَ تغصّ بوداعك الميهوب،
وأنت في العشق مثل قمر يصبّ الضحك فوق الرصاص
كي لا يخلد للنوم
كلّ الذي أبتغيه
أن تكون عميقاً قدّأم قواربنا التي صفّقت لأنقاضها
وحاولت جاهدة أن تنتصر على بياضها
ليظل فيها نكهة البحر الذي هرول للرحيل
وانتظر صلصال لياليا
كرمحٍ أرسله القتيل
آهٍ / منكَ وأنت تستغيث بالرمل، وبالأرض الطرية
وبالطير، وبالأطلال وهي تحدّق بالأعداء، وسبايا الحرير
أباغت أرصفتنا الوقورة ومصاطب الأمهات
وأصابعنا الفيّاضة بالمجد.. وبلاهة الرماد؟
داست حَطَبَها
واقتسمت نيازكها أمام عبث مكلّل بالحصى،
ورقصات المجوس،
وما لفظَته كمائن الجبروت
يا ويلي من صفعة ممهورة بالزعفران الأصيل، والأجنحة
ما بيني ورفوف الخلّان كنوز فشلت باقتسام الخراب
وضباب آخى ما بينه وبين الفجاءات وبين العهود
بينما صاحت الموائد وانبجست من جوفها أسرار
أحبتنا
وصيّرت كلّ أقدامنا
إشارات مكر،
للكائنات
التي
أثمرت
بالهبوب

ديوان «طوفان الأقصى»

د. صلاح جرار ـ سياسي ووزير ثقافة سابق - الأردن

عن دار الخليج للنشر والتوزيع في عمان الأردن صدر ديوان «طوفان الأقصى» الذي أعده وحرره وأشرف عليه الأديبان صلاح جرار وسعيد يعقوب، ويشتمل الديوان على مئتين وثلاثين قصيدة لمئتين وثلاثين شاعراً من شعراء الوطن العربي في الحديث عن ملحمة طوفان الأقصى المجيدة التي نفذها رجال المقاومة الفلسطينية في السابع من شهر تشرين الأول الماضي محققين فيها نصراً مؤزراً قلّ نظيره في العقود الأخيرة.

وهو ديوان شعري متميز يسعى إلى تخليد لحظة تاريخية مشرقة في زمن عربي قاتم، ويخلد حدثاً تاريخياً باهراً أحيا في الأمة أملها في النصر وثقتها بقدرة أبنائها على تحقيق الطموحات واستعادة المجد الذي خبا لعقود طويلة.

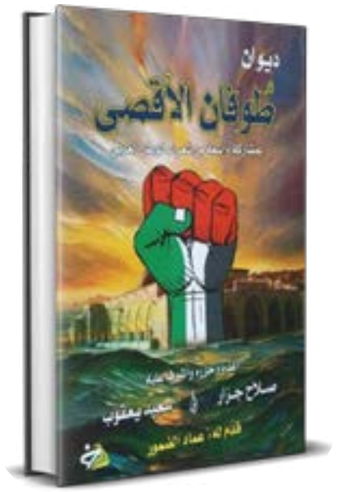

ولما كان هذا النصر ثمرة إرادة قوية وإعداد واستعداد وإيمان عميق بالحق، فقد كان من واجب الأمة بجميع طاقاتها وقطاعاتها أن تحافظ على هذا الإنجاز وتعززه بكل الوسائل الممكنة، ولا سيما أن الاحتلال الصهيوني وداعميه في الولايات المتحدة ودول أوروبا يحاولون بكل ما يستطيعون من الجهد أن يمحوا هذا الإنجاز ويطمسوه من الذاكرة العربية من خلال ما يرتكبونه من أعمال إجرامية غير مسبوقة في وحشيتها وهمجيتها، حتى لا يصبح هذا النصر حافزاً للأجيال القادمة على تحقيق مزيد من الانتصارات والإنجازات النوعية.

ومن هنا يأتي دور المثقفين العرب في جميع حقول الثقافة وميادينها من شعر وقصة ورواية ومسرح وموسيقى وغناء وفن تشكيلي ورسم كاريكاتوري ودراسات ومقالات وأعمال درامية وغيرها ومن خلال المؤسسات الثقافية والتعليمية والإعلامية المختلفة من مدارس وجامعات ومعاهد وهيئات ثقافية واتحادات كتاب ومساجد وكنائس ومنابر مختلفة مرئية ومسموعة ومقروءة، حيث يقع على عاتق المثقفين والفنانين والمؤسسات الثقافية واجب كبير ومسؤولية عظيمة، وكلما عظم الواجب والمسؤولية ازدادت الحاجة إلى المزيد من تطوير الجهود والارتقاء بها، وازدادت الحاجة إلى أفكار ومبادرات وإنجازات جديدة.

وللشعر دور بالغ الأهمية في الأزمنة الحرجة وفي حالات المواجهة مع الأعداء، يشهد على ذلك ما كان يقوم به قادة الجيوش في الأزمنة السالفة من اصطحاب الشعراء معهم في الغزوات والمعارك والحروب، حيث كان الشعراء يقومون بنظم القصائد الحماسية وإنشادها تشجيعاً للمقاتلين وإثارة لحميتهم، كما كان الشعراء قبل خوض المعارك يوجهون قصائدهم للجماهير يحضونهم على التطوع للجهاد.

وللشعر إلى جانب ذلك وظائف كثيرة في إسناد الفعل المقاوم، فهو يحث على الصبر والصمود وطول الاحتمال، ويستطيع أن يحافظ على الروح المعنوية للمقاتلين في الميدان ويحافظ على الروح المعنوية لأبناء المجتمع ويحول دون ضعفها أو تراجعها، كما أنه يستطيع أن يقوم بإثارة الحمية في النفوس واستنهاض الهمم والدعوة إلى وحدة الصفوف وتماسك المجتمع والتذكير بالأمجاد والتنبيه على قيم البطولة والشجاعة والصبر والشهادة وتمجيد الأبطال والشهداء وتعظيم الإنجاز ومؤازرة المقاتلين، وهو باختصار يقوم بدور فاعل ومؤثر في التصدي للحرب النفسية التي يشنها الأعداء من خلال وسائلهم الإعلامية المختلفة.

لقد كانت استجابة الشعراء العرب للمبادرة التي أطلقها الدكتور صلاح جرار والشاعر سعيد يعقوب لعمل هذا الديوان استجابة سريعة وكثيفة وواسعة ومن جميع الدول العربية مع أن المدة التي حددها المشرفان على الديوان لتلقي المشاركات كانت مدة قصيرة لم تتعد ثلاثة أسابيع، وقد وصلت خلالها مئات القصائد، ووصل بعضها بعد انتهاء المدة، وتم الاعتذار عن عدم نشر القصائد التي وصلت متأخرة والقصائد التي أخلت بشروط المشاركة، ويدل هذا الإقبال السريع الواسع على المشاركة في هذا الديوان على وحدة المشاعر العربية التي يمثلها شعراء الأمة من مختلف أقطار الوطن العربي، كما يعكس وحدة النبض العربي ووحدة الروح العربية التي يحاول أعداء الأمة تغييبها بكل الوسائل.

يشتمل هذا الديوان على مائتين وثلاثين قصيدة بالإضافة إلى قصيدة للشاعر العربي الكبير حيدر محمود التي جعلت في بداية الديوان تقديراً لصاحبها وأهمية مشاركته.

• وتوزعت القصائد بين الدول العربية على النحو التالي :

ثمانٍ وسبعون قصيدة من الأردن
تسع وعشرون قصيدة من سوريا
أربع وعشرون قصيدة من فلسطين
وإحدى وعشرون قصيدة من اليمن
وتسع عشرة قصيدة من العراق
وثماني عشرة قصيدة من مصر
وعشر قصائد من الجزائر
وثماني قصائد من المغرب
وسبع قصائد من عُمان
وثلاث قصائد من لبنان
وثلاث قصائد من قطر
وثلاث قصائد من السعودية
وقصيدتان من موريتانيا
وقصيدتان من ليبيا
وقصيدتان من السودان
وقصيدة واحدة من كل من تونس ولبنان

• وبلغ عدد الشاعرات المشاركات في هذا الديوان خمسين شاعرة موزعة حسب البلدان العربية على النحو التالي:

خمس عشرة شاعرة من الأردن
تسع شاعرات من فلسطين
تسع شاعرات من سوريا
خمس شاعرات من العراق
أربع شاعرات من مصر
ثلاث شاعرات من الجزائر
وشاعرة واحدة من كل من لبنان وتونس

والسعودية والمغرب واليمن.

وإضافة إلى قصيدتي صلاح جرار وسعيد يعقوب اللذين أشرفا على هذا الديوان نقرأ مشاركات لشعراء أردنيين بارزين مثل إبراهيم العواودة وجاسر البزور وخليل الخوالدة وعبد الكريم أبو الشيخ وعبد القدوس القضاة وعلي الفاعوري ومحمد سمحان ومحمد محمود المحاسنة ومحمود فضيل التل وسمير قديسات وجمانة الطراونة ولينا جرار .

ونقرأ من قصيدة حيدر محمود التي تصدرت هذا الديوان الأبيات التالية:

قدر أن تسيل منك الدماء
يا عروساً خطابها الشهداء
لست أرضاً كسائر الأرض لكن
أنتِ في أعين السماء سماء
منَ هنا تبدأ الطريق إلى الله
وقد مر من هنا الأنبياء
... الخ

ومن المشاركات الأردنية قصيدة الشاعرة جمانة الطراونة، ومن أبياتها :

نبكي جراح الأمس والأقصى غد
فالنور من رحم القتامة يُولَدُ
يا للفلسطيني كيف نظنه
يتنفس الصعداء إذ يتنهد
عزم يذيب الصخر، بارود إذا
نار المعارك أخمدت يتورد
... الخ.

ومن قصيدة الشاعر عبد القدوس القضاة:

كتبوا الشعر كما لم يُكتب
فاقرأوا الفصحى بحرف اللهب
إنها خنساء هاتيك القرى
وبنوها في متونِ اللَّهَبِ
شحت الأكفان عن تظليلهم
فادفنوهم في ظلال الهدب
... إلخ .

ومن شعراء فلسطين الذين شاركوا في هذا الديوان: جمال الجشي وجواد أبو هليل ورائد عبد الرحيم وعقل ربيع وابتسام البرغوثي وجوهرة السفاريني ونيفين عزيز طينة وغيرهم.

ومن أبيات قصيدة عقل ربيع:

أراني دونما وعي أراني
حتى رفعت الركعتين إلى ثمان
فإن المعجزات هبطن حتى
ذهلت عن المباني والمعاني
لقد بنيت لتصمد ألف عام
حصون كيف تسقط في ثوان؟
... إلخ.

ومن قصيدة الشاعرة نيفين عزيز طينة:

تشرين والطوفان والقدس
وحمية الصاروخ... والبأس
يوم يزف المجد فيه لنا
مستبشرين كأنه عُرس
نحن الذين تضافرت معنا
جند من الرحمن لا الإنس
... إلخ

ومن شعراء سوريا المشاركين في هذا الديوان: خالد البيطار وسعيد حاجي جاسم وشريف قاسم وعبد الرزاق درباس وعمار شيخوني ومحمد إياد العكاري ووليد القصاب وليلاس زرزور ولميس الرحبي وعزيزة الطرابلسي وغادة ياسين الأحمد وميساء الدرزي وهيام الأحمد وغيرهم. ومن أبيات الشاعرة ليلاس زرزور :

صالوا على الظلم إعصاراً وطوفانا
فالشمس قد أشرقت والوعد قد حانا
حطين عادت وأعداء السماء رأت منهم
كمثل صلاح الدين فرسانا
والقدس تنتظر البشرى وما فتئت
تزداد عزما وإصراراً وإيمانا
... إلخ

ومن الشعراء العراقيين المشاركين في هذا الديوان: إسماعيل حقي حسين، وحارث الأزدي وداود قبغ وعبد الودود القيسي وعبد الوهاب العدواني وفراس السوداني وعبد الحسين طاهر الربيعي ومحمد نصيف وسارة طالب السهيل وعهود عبد الواحد وكوكب البدري.

ومن أبيات قصيدة الشاعرة سارة طالب السهيل:

نادي زمانك فاغفري الزماني
يا قدس أنتِ النور في الأكوان
القبة الخضراء تنشر نورها
وعبيرها يسري بكل مكان
يا صخرة هام الفؤاد بقدسها
وبحبها تجري دما شرياني
... إلخ

وشارك في هذا الديوان نخبة مميزة من شعراء اليمن منهم: إبراهيم طلحة وعبد الولي الشميري ومحمد الجعمي ومنير الهتار ويحيى الحمادي وسواهم، ومن أبيات قصيدة عبد الولي الشميري:

بأي قافية أستلهم النغما
وأي مفردة أستنشد القلما
وأهل غزة أشلاء مبعثرة
وفي فلسطين أهلي أدمع ودما
تبكي مطوقة الزيتون غابتها
وكل بسمة طفل أصبحَتْ عَدَما
... إلخ

ومن شعراء سلطنة عُمان المشاركين في هذا الديوان حسين الفارسي وراشد الصوافي وسالم الكلباني وسليمان العبري وغيرهم.

ومن أبيات الشاعر راشد الصوافي:

من الطلقة الأولى إلى آخر الدرب
إرادة جبار تسير إلى الحرب
يزمجر فيها ضيغم يحمل اللوا
ولم تشنه عن قصده نذر الرعب
ولم يك ممن كبل الخوف كفه
وما فاوض المحتل في سعيه الصعب
... إلخ

وقد شارك من الجزائر في هذا الديوان عدد من الشعراء منهم بوبكر بوعافيه، وبولمدايس عبد الملك، ولزهر الحسناوي، وعائشة بلجيلالي، ووردة أيوب عزيزي ورفيقة بدياري وغيرهم.

ومن مشاركة الشاعرة رفيقة بدياري نقرأ:

قاوم وإني في المقام لشاعر
متفاخر ما قد حوته محابر
إني إليك القادم بعقيدتي
والله يعلم ما تضم سرائر
حب الجهاد يقيم بين أضالعي
في القرب لا أرضي ولا أتظاهر
... إلخ

ومن شعراء مصر المشاركين في هذا الديوان إبراهيم أبو علبة، وثروت محمد صادق وجمال مرسي وشعبان البنا، وصبري مقلد وصفاء عابدين زايد، وعبد الحافظ السيد، وعبد المجيد عيد وعلاء حسني، وفوزية شاهين وغيرهم. ومن قصيدة شعبان البنا:

من كل زاوية شهيد يصعد
وبكل ناحية ضحى يتولد
في غزة الأيام تحسب نفسها
الذي خرجت من التقويم لا تتردد
ولها بكل مرارة الحلق
تتقطر الأحزان منه فتشرب
... إلخ.

وتزخر هذه القصائد بالكثير من المعاني والمضامين مثل تمجيد الشهداء والتغني بالبطولة والحديث عن القدس وتوجيه العتاب إلى العرب على تقصيرهم في دعم المقاومة. وقدم لهذا الديوان الناقد الأردني الدكتور عماد الضمور وقال بأن ديوان الأقصى يبقى إنجازاً شعرياً مهماً في ظرف استثنائي تمر به الأمة العربية، وأن الديوان يمتلك مقومات القصيدة الفنية التي تتمثل رسالة الالتزام في الأدب بجوانبها كافة، مستندة في ذلك إلى ثقافة الشعراء التراثية وحسهم الوطني الصادق الذي أعاد إلى أدب المقاومة وهجه الثوري ودوره الحضاري في التأثير وتكوين وعي جمعي قادر على إكساب الشعر العربي المعاصر بمضامين فكرية خصبة.

غزة شقيقة أهل الكهف العربي

مروان عبد العال

روائيٌّ وعضو المكتب السياسيّ للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين

قرأت مرة حكاية غريبة وغير مألوفة اسمها (شقيق النوم) لكاتب إسمه شنايدر "روائي نمساوي" والذي يطرح قضايا فلسفية كبرى ..

بطل الرواية هو "يوهانس إلياس أدلر"، الموسيقي العبقري الذي انتحر في سنّ الثانية والعشرين، هل تعرفوا كيف انتحر؟ من خلال امتناعه عن النوم كليًا.

سألت كيف يموت من لا ينام ، وعندما يموت من ينام ! سيّما وأننا ننام والإبادة في غزة لا تنام ؟ قد يكون الجواب نموت عندما لا ينام النّازي.

فالموت القاتل كالنّوم القاتل تماماً، يرتفع الشّخير المقزز والمميت، إشارة للنزع الأخير، مع ضجيج الصواريخ وانفجارات القنابل و أزيز الرصاص وصراخ الجوعى والجرحى والثكالى، كي يوقظ النّيام ولكن لا حياة لمن تنادي، كلما ارتفع صخب الموت، تكشف عوارتهم أكثر وسباتهم العميق يساوي بين نوم الضمائر وموتها.

إنه "الاعتياد" أو قبول المشهد مهما كان وحشيًا عجائبيًا، نعتاد "اللا معقول" في نوم الشعور بالآخرين أو موته، وفقدان الإحساس والتألم من أجلهم، كبت التعاطف والتأقلم المزمن على جوعهم ونزوحهم ومعاناتهم، نوم الشعوب هو إغلاق لنافذة الحياة التي تطل علينا، لمجرى التنفس الذي ينبض بروحنا.

يحدث الآن في غزة على يد مجرمي حرب، وعلى الجانب الآخر نامت نواطير أهل الكهف العربي، عندما يخرج العالم في مظاهرات صامتة وصاخبة لكل الجنسيات حتى للصم والبكم، وللطلاب والشباب والشيوخ والنساء والرجال، وغزة تُحرر العالم وتهتف " فلسطين من البحر إلى النهر" وتوقظ بذلك سبات العالم وتصفع المجتمع الدولي وتخشّب قوانين العدل وحقوق الإنسان والنيوليبرالية والإمبريالية، وقد تعدت أيضاً كونها تعاطف بسبب الألم من مشاهد الضحايا والشهداء والأطفال، يوم العالم قرر أن لا ينام، ومع أن ذلك جزء من السبب، لكنه تضامن من أجل الحقيقة والتعاطف من أجل إنهاء الاحتلال والاستعمار.

ينقسم أهل الكهف العربي، منهم نيام ولكنهم يُعِدُّون لنا الجنازة وأخرون نِيَّام كذلك بإرادتهم ولكنهم يطربون ليقظة شعوب العالم، إنه سؤال الوعي بامتياز، الوعي النائم الذي يؤسس لسؤال الإرادة والحرية والعدالة؛ لو نام العالم مثل نوم أهل الكهف لما هبت جنوب أفريقيا تبادر إلى رفع دعوى لمحاكمة "الكيان المحتل" في محكمة العدل الدولية في لاهاي.

نعود لهذا الشاب المولع بحبيته "إليزابيث" وبالموسيقى في وقت واحد، يطوّر موهبة نادرة على تقليد جميع الأصوات التي يسمعها حوله في الطبيعة، أما رفضه النوم فسرعان ما نكتشف أنه ليس بالفعل شكلاً من الانتحار بقدر ما هو ولع بالحياة، على رأي أم كلثوم وما أطال الليل عمراً ... ولا قصر بالأعمارِ طول السّهر ..

ذلك أن الموت كما نستدل من عنوان الرواية هو شقيق النّوم، فلا تقتلوا غزة بنومكم، قدرها أنها شقيقة أهل الكهف العربي، وغزة تسخر منكم ولا تنام، تظل شاهدةٌ على قلوبكم وشوارعكم وساحاتكم وعلى برودة أعصابكم، لأنها نارنا التي تأبى أن تموت، فلا تنتحروا بنومكم فهي باقية قصيدة لا تنتهي.

ولكنها تقول لكم: وإذا الشّعبُ أرادَ الحياة فلا بُدَّ أن يحدق جيداً مستيقظاً، حذراً كالحلم، قد يكون قول شيمبورسكا محقاً "ليست الأحلام هي المجنونة، المجنونة اليقظة".

AL-HADAF الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية